الموجود في مخطوطة مكتبة
السيد العلامة محمد بن
محمد الكبسي رحمه اللّه

مُنتزع من مجمُوع مكاتبات

الإمَام المنصُور باللّه

عبد اللّه بن حمزة عليه السلام.

تحقيق عَبد السّلام بن عبّاس الوجيه

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

أولاً: الموجود في مخطوطة مكتبة السيد العلامة محمد بن محمد الكبسي رحمه الله



بسم الله الرحمن الرحيم

[المخطوط مبتور الأول وفي أوله رسالة إلى الشريف
قتادة بن إدريس وهذا ما تبقى منها]

[من رسالة إلى الشريف قتادة بن إدريس][1]

وبأبيات آخر أولها:

أبلـــغ قتـــادة عنـــا إن عرضـــت بـــه
جهــــد الرســـــالة لا مينــــاً[2] ولا زورا

وهي طويلة، والآن فقد بلغ الله سبحانه فيك الأمنية، وأجزل من عوارفه العطية، وملكك أعنة القياد، ونشر ذكرك في الحاضر والباد، وشكر[3] سبحانه لك الرياد، للقيام بما يجب من لوازم أمره والاجتهاد في طاعته، وبشره ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠] وهو سبحانه لا يقول إلا الحق، فانصر يا أبا عزيز دين ربك بأسرتك وحزبك، فحق عليك أن تقوم بما قعد عنه غيرك، فإن أمكنك الكبرى من الفضليين ففيها الأولى من الأخريين، وإن تعذرت فأنت معذور، وسعيك مشكور، وكنت توجه إلينا الكتيبة بعد الكتيبة، وتنوي بذلك للدين قوة، ولربك نصراً، وارض الله سبحانه بسخط الناس يكفك شرهم، قال جدك ﷺ: «من

(١) قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى، أبو عزيز الحسني، العلوي، جد الأشراف بني قتادة سنة ٥٢٧هـ إلى سنة ٦١٧هـ، ولد بينبع ونشأ شجاعاً عاقلاً، ترأس عشيرته واستولى على ينبع والضواء وقصد مكة وملكها سنة ٥٩٠هـ، وفي زمانه أذن المؤذنون بـ(حي على خير العمل)، وبينه وبين الإمام مراسلات كثيرة سيأتي بعضها هنا. له شعر جيد وأخبار كثيرة، انظر السيرة المنصورية ص٧٦،٦٨،٦٣،٦٢،٥٨،٥٧،٥٤، ٧٧، ٧٨، ٨٠، ٣٠٥، ٣٤١، ٣٤٢، ٤٤٤، ٥٣١، ٧٨٩، ٨٤٧، ٨٤٨، الأعلام٥/ ١٨٩، الجامع الوجيز(خ)، مطلع البدور (تحت الطبع)، طراز أعلام الزمن (خ)، ابن الأثير ٣/ ١٤٣، ابن خلدون ٤٥٠، وفيه وفي السيرة المنصورية وفاته سنة ٦١٨هـ، المقريزي ١/ ٣٠٦، السلوك، مراءة الزمان ٨/ ٦١٧.

(٢) المَين: بفتح الميم الحيف والجور.

(٣) كذا في الأصل، ولعلها وسخر.

أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرهم»[1] ولا نشك نحن ولا أنت في صدقه، بل كافة المسلمين يدين الله بتصديقه، وقد علمت أن الأعاجم تضربنا وأطراف العرب ومن لا خلاق له من الأمم، فكيف لا تنصرنا وأنت من السلالة المباركة، والذرية الطيبة، والعترة الطاهرة، أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة، فراجع في هذا الأمر أهل الأديان والبصيرة، والعقول الثاقبة، واعلم أنك تحرز به شرف الدنيا والآخرة، وتقمص به ملابسها الفاخرة، فكم لك على ذلك من حاسدٍ من شياطين الإنس والجن.

واعلم أنا قمنا على هؤلاء القوم وهم ينكرون اسم الشرف[2] رأساً، ويسخرون من ذاكره، فنصرنا الله عليهم، فزلزلنا بالله سبحانه أقدامهم، وأبطلنا آثامهم، وحزنا ممالكهم، وأسرنا أمراءهم، ونلنا ما وعدنا ربنا وكان حقاً عليه نصر المؤمنين، فلما توطت[3] العرب في مرادها، واستضعفت أمر عدوها، رمينا نفوس العداوة إلى (واترينا)[4] بأيدينا، فضروا نافعهم، ونفعوا ضارهم، فكان في صنعاء ما قد بلغ إلى حضرته، فلزمنا حدود بلادنا، وأرددنا[5] أكثر بلاد العدو، وغارتنا اليوم تصل إلى قرب باب صنعاء، والبلاد في أيدينا، وما بقيت إقامتهم في صنعاء إلا ليشغلونا عن تهامة وإلا فما لها اليوم أعمال، وجندنا قوي بحمد الله، وأعمال هذه الدولة ممتدة في جهة الشرق إلى قرب الجند بلاد بني حبيش وما والاها، وكذلك المغارب كلها وما معهم إلا الطريق لكثرة خيلهم، وقد تعين عليك القيام في هذا الأمر لثلاثة أوجه: إما للدين وطلب ما عند الله فهو الأصل والذي يعيا فيه الصالحون، وإما الحمية والعصبية على الأصل والحسب، قال الشاعر:

---

(١) «من أرض الله بسخط الناس» أخرجه ابن حبان برقم (١٥٤١)، وهو بلفظ: «من أرضى الله بسخط المخلوقين كفاه الله مؤنة المخلوقين» في إتحاف السادة المتقين ٦/ ١٣٩، ٣٧١، ٨/ ٢٩١، وهو بلفظ: «من أرضى في سخط الناس رضي الله عنه» في الترغيب والترهيب ٣/ ٢٠٠، وإتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٩١، ومجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٤، الطبراني في الكبير ١١/ ٢٦٨، انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ٨/ ٧١.

(٢) الشرف هم: الأشراف الهاشميون، ويكثر استخدامه بهذا اللفظ في عصر المؤلف.

(٣) كذا في الأصل، ولعلها تواضعت وتساهلت، ولعلها تواطئت بمعنى توافقت.

(٤) غير واضح في الأصل، ورسمه هكذا (وترأنا) ولعلها: (واترينا).

(٥) كذا في الأصل.

ومـــدَّت بأيـــديها إلينـــا فلـــم يكـــن

لـــدى حـــسبٍ عـــن قومـــه متخلـــف

وإما لطلب الملك والرفعة، فما شمس الدولة وسيف الإسلام بأعلى منك همة، هذا وذلك الملك حرام وهذا حلال، واعلم أنك لو وصلتنا أوامر من قبلك في أربعمائة فارس مع من يجتمع من الخيل والرجل ما حماهم منا إلا رأس حصن قولاً واحداً، ولا استولينا على جميع المدن والممالك، فانظر في ذلك.

ولا يرضيك بنصيبك من هذا الأمر ما لا ينصفك فيه، والله يعلم ما كثرة تطويلنا وإلا فإنه سبحانه أغير لدينه وأحنى عليه، إلا لما يبلغنا من شرف همتك، وعلو قمتك، وشدة عزمك، ولا بد أمرنا هذا -إن شاء الله سبحانه- يودع بطون الأوراق إلى يوم التلاق، فنحب أن يكون لك فيه أطيب ذكر، وهذا عزان بن سعد[1]، ومفضل بن منصور بن أبي رزاح[2] من عرض العرب وكانت بلادهما في بلاد العدو، فظهرت الدعوة الشريفة ورهائنهم أولادهم، قطع أكبادهم في الاعتقاد، فآثروا رضى الله سبحانه، فلطف بلطفه الخفي في إخراج أولادهم، فأنفذوا فيها الأحكام، وأمضوا الأوامر على سنن الاستقامة، وجرى لهم في العرب العاربة ذكر جميل، وسيروا الخيل، ووفروا الأموال، وقووا كلمة الدين، وعز في جانبهم أمر المسلمين، فالله الله دبر في هذا الأمر بما أراك الله، وفقك الله لرشدك، وأخذ إلى الخير بناصيتك، وجعل نصيبك التوفيق وحظك التسديد، وجمعنا وإياك على كلمة التقوى إنه على كل شيء قدير، وإنا نطلع الوارد من قبلك تطلع الأهلة والأعياد، والسلام عليك وعلى كافة المسلمين قبلك ورحمة الله وبركاته.

---

(١) عزان بن سعد: في السيرة ص١٠٣ سعد بن عزان، وفيها ص٤٢٢: الشيخ همام الدين سعد بن عزان القسيمي الحبيشي.

(٢) مفضل: الشيخ ظهير الدين مفضل بن منصور بن أبي رزاح كما في السيرة ص١٠٢، قال محققه: تولى الشيخ ظهير الدين مفضل القضاء في بلاد مذحج، وقال أيضاً: جاء في مصادر تلك الفترة أن الإمام ولى القضاء في بلاد مذحج الشيخ عزان بن سعيد والشيخ مفضل بن أبي رزاح الحدائق ج٢ ص١٩٦ والترجمان خ ورقة٨٧، وكان مفضل يراسل الإمام وقد توسط بين الإمام وبين سنقر في الصلح، كما حارب مع الإمام في بلاد مذحج وبني حبيش، وكان من أنصاره وقواده. انظر السيرة المنصورية ص١٠٣، ١٠٢، ١٠٩، ٤٢١، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٥٧، ٥٥٨.

[كتابه عليه السلام إلى أهل نجران]

وكتب عليه السلام إلى أهل نجران، وقد سألوا الأمان لمن يصل منهم إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

فهمنا ما ذكرتموه من الطاعة لله ولنا وذلك سبيل النجاة ومنهاج الحياة، وقد علمتم بأنكم بدأتم بالغدر، وتماديتم في الكفر، لغير حدث كان مناً ولا رأى تفيل[1]، ولسنا نرد تائباً، ولا نكره آيباً، فإن تبتم فالتوبة مقبولة، وإن تماديتم في طغيانكم وطعنتم في عيانكم، فإنما هي غدوة أو روحة وقد صرتم أحاديثا ﴿فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[المؤمنون:٤١]، وروحي محمد وعلي – صلوات الله عليهما وعلى آلهما– ما أريد روعة لأحد من أهل الشهادة ذكر ولا أنثى ولو شكوتكم عليّ ما خالفتم لأجله لأزيلنه عنكم، ولو أنكم لما قدرتم على الشريف الأمير علي بن المحسن – قدس الله روحه– مننتم وعفوتم لنلتم بذلك شرفاً ومجداً، ولكن اعترتكم خفة الأعراب، وجهالة البدو، فظننتم أن العاقبة للمفسدين، والعاقبة للمتقين.

ونحن أبناء الحرب، وليس القتل يروعنا، ولو قد جرَّدنا لكم العزيمة عشرين يوماً للفظناكم من تحت كل حجر وشجر، وجعلناكم عبرة لأهل الوبر والمدر، وإذا كان إسماعيل[2] في ألف وسبعمائة فارس فقد تركناه يكثر الالتفات وهو بين خاصته، وأخذنا أمواله، وقتلنا رجاله، وإذا كان أجل ما يخشى منكم الفرار والهرب في القفار، فإن في الإمكان أن نكنز المزاد، ونضاعف الزاد، ثم نطلبكم طلب الضالة حتى نوقعكم في الحبائل.

---

(١) كذا في الأصل، التفل: البصاق، ورجل تفل أي غير متطيب.

(٢) لعله إسماعيل بن طغتكين بن أيوب الملك المعز، توفي سنة ٥٩٨هـ وكان طاغية، تولى بعد وفاة أبيه سنة ٥٩٣هـ، ودخل زبيد، وتعز، وقويت به الإسماعيلية. انظر الأعلام ١/ ٣١٦.

فإذا استحكمت عليكم الأنشوطة[1]، وصرتم كالأضاحي المربوطة، أجرينا عليكم حكم حز الغلاصم، وفرقنا بين أجسامكم والجماجم، فأما الأمان لمن وصل فأمانه قصده إلى بابنا، وميله إلى جنابنا، لو جاء إسماعيل بابنا لما رددناه خائباً، وخولان وغيرها لا تقدر على فعل أمرٍ لم نأذن لها فيه، فأما العلاقة[2] فهي تصلكم ولكن لا تصل البدو، وحتى يوطنوا أنفسهم على الانقياد للأمر في الحلو والمر، والصبر على الخير والشر، وإلا فهم طرداء الدهر، وربائط القتل والأسر، ولا خير لمن خسر الدنيا والآخرة في حياته، والموت أخف عليكم من تبعاته، فاعلموا ذلك والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى قوم من يعوض]

وكتب عليه السلام لقوم من يعوض وقد أتوه إلى براقش[3] يسألون السقيا والدعاء إلى الله تعالى في رفع الطاعون من بلادهم، وكان قد أجلى أكثرهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على محمد وآله وانظر إلى كل أرض وصلها كتابنا هذا بعين رحمتك، وأسبغ عليهم فضول نعمتك، واسقهم سقيا هنية مرية تنشر بها النبات، وتجمع بها الشتات، وترد بها ما فات، وتحيي بها ما مات، بحقك يا رب البرية، وغافر الخطية، ولا تؤاخذهم إلى سيئ أعمالهم، وقبيح أفعالهم، فإنك ستار العيوب، وغفار الذنوب، بذلك استحققت معنى الإلهية، واستوجبت عظمة الملكوتية، فيا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، لا تخيب رجاء عبادك فيك، وجد بالعفو علينا جميعاً، واصرف عن كل بلادٍ وصلها كتابنا شر هذه البلية الناجمة، والمصيبة الهاجمة التي أنزلتها بمحلِّي ما حرمت، ومُصغّري ما عظمت، وإن تاب أولئك فتب عليهم، فقد وعدت ووعدك الحق بقبول توبة التائبين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) الأنشوطة: عقدة تمد بأحد طرفيها فتنحل ونشط الأنشوطة: عقدها وشدها.

(٢) العلاقة: ما يتبلغ به من عيش.

(٣) استقر الإمام في براقش بالجوف سنة٥٩٧هـ، وفيها صنف شرحه على الأربعين السيلقية.

[كتابه عليه السلام إلى أهل مأرب وقد امتنعوا عن الأذان بحي على خير العمل][1]

وكتب عليه السلام إلى أهل مأرب وقد امتنعوا عن الأذان بحي على خير العمل بعد الطاعة وامتثال الأمر:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

بلغنا أن أموركم على غير نظام، وأنكم ماضون على الخطبة لبني العباس، ولا تجوز الإمامة إلا لمن قام مقام رسول الله ﷺ في الدعاء إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطهير نفسه وأجناده من الفساد والمعصية، وأنتم من أمركم في الغالب على غرور، وقد شاهدتم أفعالنا وما نحن عليه أولاً وآخراً.

وبعد .. فنحن عترة رسول الله ﷺ وخزان علم الله، وورثة كتابه وكذلك أذاننا هو أذان رسول الله ﷺ وأذان أبي بكر بعده، وأذان عمر صدراً من ولايته، وهو رواية عبد الله بن مسعود، وهو أذان علي عليه السلام، وعليه أجمعت العترة الطاهرة عليهم السلام[2] وقد أمرنا إليكم بهذا الكتاب؛ فإن كنتم على ما بيننا وبينكم أمرتم المؤذن بالأذان بحي على خير العمل، وكان الخطيب من جهتنا، وحضرتم جمعتنا، فسيفان في غمدٍ إذاً لا يصلحان، واعتقدوا بعد ذلك ما شئتم. دعوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولنا الظاهر ولله الباطن، فانظروا لأنفسكم، وكونوا على بصيرة من أمركم، ولا تفرطوا في أنفسكم، فـ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ

---

(١) لعل تاريخ الكتاب وما بعده من كتب إلى هؤلاء كان سنة٥٩٧هـ، التي استقر فيها الإمام في براقش وجهز فيها جيشاً بقيادة الأمير سليمان بن حمزة إلى بلاد مأرب وبيحان فوقعت بينه وبين أهل تلك البلاد حروب كانت الدائرة فيها على أهل البلاد، ثم سار الإمام بنفسه إلى أهل بيحان بعد أن كرر الكتابة إليهم بلزوم الطاعة وإقامة الجمعة والجماعة فلم يمتثلوا واجتمعوا الحربه ففرق الله شملهم. انظر أئمة اليمن ١/ ١٢٢.

(٢) انظر (الأذان بحي على خير العمل) لأبي عبد الله العلوي (مطبوع).

اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ﴾[الرعد:١١]، وبلغنا أنكم منعتم اليهود من الغنار[(١)] والزنار[(٢)]، ولم يوفوا الجزية وهي عليهم حتم من الله سبحانه، وتركتم رسوم الجاهلية وأحكام الضلال باقية، وفدتم إلى بيحان معارضين على غير بصيرة، ولم تجيئوا بشيء يدل منكم على طاعة إلا طاعة اللسان، وذلك إيمان المرجية وهو لا ينفع، وقد قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي، لعنهم الله على لسان سبعين نبياً: القدرية والمرجئة. قيل: يا رسول الله، من القدرية؟ قال: الذين يعملون بالمعاصي ويقولون هي بقضاء من الله وقدر، الراد عليهم كالشاهر سيفه في سبيل الله. قيل: فمن المرجئة؟ قال: الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل»[(٣)].

واعلموا أنا أولاد الرجل الصالح صلى الله عليه الذي شرع هذه الشرائع، وسن هذه السنن، وأوضح رسوم العدل، وطمس رسوم الجور؛ فنحن أعلم الناس بآثاره وسننه وطرائقه وعلومه، فلا تهلكوا أنفسكم بالجهالة والعمل على غير بصيرة، واعلموا أنا روينا عن أمير المؤمنين أنه قال: أيها الناس، اعلموا أن العلم الذي أنزله الله على الأنبياء في عترة نبيكم، فأين يتاه بكم عن أمر تُنوسِخ من أصلاب أصحاب السفينة؟ هؤلاء مثلها فيكم، وهم كالكهف لأصحاب الكهف، وهم باب السلم فادخلوا في السلم كافة، وهم باب حطة، من دخله غفر له، خذوا عني عن خاتم المرسلين حجة من ذي حجة قالها في حجة الوداع: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[(٤)]، فلا تضيعوا كما ضيع الناس، فليس في الخطأ أسوة ولا ينفع الخاطئ كثرة الخاطئين ولا مع الحق وحشة، ولا يضر المحق قلة المحقين، واحمدوا الله الذي أوصلكم وقتاً تقتدون في

---

(١) كذا في الأصل ولعله (الغناء والزنا).

(٢) الزنار: ما على وسط المجوسي والنصراني، وفي التهذيب: ما يلبسه الذمي يشده على وسطه ويعرف حالياً بأنه خصلتان مضفورتان من شعر رأس اليهودي في اليمن لتميزه عن غيره.

(٣) ذكره في موسوعة أطراف الحديث النبوي وعزاه إلى مجمع الزوائد ٥/ ٢٣٥، ٧/ ٢٠٦، ٢٣٦، وإلى الطبراني ٨/ ٣٣٧، والترغيب والترهيب ٣/ ١٨٥، وكنز العمال بأرقام ٥٥٩، ٤٦٦١، ٤٧٠٩، وإلى مصادر كثيرة بألفاظ متقاربة.

(٤) حديث الثقلين حديث صحيح مشهور متواتر عن رسول الله ﷺ وأخرجه الحفاظ وأئمة الحديث في الصحاح والمسانيد والسنن بطرق كثيرة عن بضعة وعشرين صحابياً منهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وزيد بن أرقم وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله وغيرهم، والحديث أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٦٢٢ برقم (٣٧٨٦)، والطبراني في الكبير ٣/ ٦٣، والخطيب في المتفق والمفترق وعنه في كنز العمال وغيرها من المصادر.

دينكم بعترة نبيكم، تأخذون الحق من أهله، وتقتبسون النور من معدنه، وتنتسبون إلى العترة الطاهرة التي خلقت من طينة عليين، وربيت في حجور النبيين، ورضعت فيها در الإسلام، وربيت في حجور الإيمان، ودرجت في منازل عمرها التنزيل، وخدمها جبريل، فأين تطلبون الهدى من غيرهم؟! فانظروا نظراً يخلصكم، والسلام.

[كتابه عليه السلام إليهم مرة أخرى]

وجاء جوابهم بخط فقيههم بالامتناع والخلاف، فكتب عليه السلام إليهم هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة من بلغه كتابنا هذا من سبأ بمارب، سلام عليكم، فإنا نحمد الله إليكم، وبعد ذلك، فقد جاء منكم كتابٌ يدل على عمى بصيرة كاتبه، وخذلان صاحبه، فيه تعليم لمعلمه، ووعظ لواعظه

أريها السهى وتريني القمر

ولعمري إن هدية الخير مقبولة إذا كانت معقولة، غير أنه لو كانت له دراية في الدين، أو أنس بالعلم لذكرنا له من الاحتجاج بما يوضح المنهاج، ويقوم الاعوجاج؛ لكنكم وإياه (شن وطبقة)[1].

هذا السوار لمثل هذا المعصم

ونرجو إن شاء الله أن يقع في أيدينا، ويرى الذين فزعوا إليه في طلب الإرشاد مبلغه من العلم، يا أيها الجهال، للعلم أرباب، وللدين نصاب، أيعد من أهل العلم من يطلب على الصلاة والحكم أجراً ويتخذ الدين شيكة غبرا[2]؟ ويروم مع ذلك منازعة أهل العلم في علمهم!

(١) شن وطبقة: مقتبس من المثل المشهور: (وافق شن طبقة) وهو مثل يضرب للمتوافقين.
انظر مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٣٥٩.

(٢) كذا في الأصل.

اذهب فليس الدين قعباً من لبن
ولا سوى الجنة للدين ثمن

فأما ما ذكر من الشافعي رضي الله عنه فأي نقص فيه أو طعن عليه، ولكننا نعد من فضائله محبتنا معشر أهل بيت النبوة ومعدن الوحي، ومختلف الملائكة، وهو مع ذلك أحد دعاة الإمام الصابر، والليث الحادر، يحيى بن عبد الله[1]، الواهب نفسه لله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فلو كان هذا المنتسب إليه المتبجح بالكون على طريقته يعتقد مذهبه على الحقيقة لاقتفى أثره في محبتنا، ودعا إلى طاعتنا، ونابذ عنا؛ ولكنه من دعواه هذه على مثل ليله الصدر، ولا عين معه ولا أثر، فأما افتخاره بالكثرة فجهله بكتاب الله عاذره، وإنما هو يذريه بلسانه ولا يعرف معناه بقلبه؛ لأنه لو عرف معناه لعلم أن الله سبحانه ذم في كتابه الكريم الأكثرين ومدح الأقلين، فقال لا شريك له: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [المؤمنون:٧٠]، وقال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾[الأعراف:١٠٢]، وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف:١٠٣].

وأما مدحه للأقلين فبقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾[ص:٢٤]، وغالب الظن أنه لجهله بتفسير هذه الآية يحمله على أن المراد به أن الماء الذي يتطهر به قليل. ويقبل ذلك منه جنسه في المعرفة من العوام، الذين جعلوه إماماً لهم، وواسطة بينهم وبين ربهم، وتركوا عترة نبيهم وسفن نجاتهم، فالله المستعان، وقال سبحانه: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[هود:٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣]، وقال تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾[النساء:٦٦] فنحن القليل وأتباعنا من المسلمين؛ لأنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة، ونحن أهل الذكر الذي أوجب الحكيم سبحانه سؤالنا، وأولوا العلم الذين أمر تعالى بطاعتنا، ورد ما التبس من الأمر إلينا، وبنا يفتح

---

(١) هو الإمام الشهيد يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. أحد الأئمة الأعلام في العلم والفضل والشجاعة، والزهد، والورع، والجهاد، والثورة على الظلم، دعا حوالي سنة ١٧١هـ، جال متنكراً من الجزيرة إلى اليمن إلى العراق ثم إلى بلاد الديلم، واشتد طلب هارون العباسي له، وبعث من يخادع الديلم فيه ويعرض له الأمان، وجرت بينه وبين الرشيد عهود ومواثيق وعاد يحيى ثم غدر به هارون ونقض عهده وحبسه ودس له السم في سجنه سنة ١٨٠هـ.
[معجم رجال الاعتبار ت(٩٤٨)]

ويختم، ونحن سفن النجاة، وقال جدنا ﷺ: «أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك»[1].

وهل تمت لكم أبداً صلاةٌ
إذا ما أنتم لم تذكرونا

وهل تجب الصلاة على أبيكم
كما تجب الصلاة على أبينا

فأين أنتم، وا رحمتا لكم من أنفسكم، ولأنفسكم منكم، خذوا منها لها، وردوا ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ [الفرقان:٥٣]، واتركوا ﴿هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾، ولا تكونوا سيقة كل سائق، وأتباع كل ناعق، واستضيئوا بمصابيح الهدى، وأقمار الدجى، من عترة نبيكم المصطفى صلى الله عليه وعلى آله الأئمة الخلفاء ولا تجعلوا دينكم قلادة في عنق من لن يقدر على منع عينه من نظر النساء، ولا بطنه من مطاعم الرشا، ومن لو دهمتكم جنود الحق متواترة، وجاب الخيل في أثر الخيل كالسيل يتلوه السيل، وجاد مكيال الحسام في الكيل لقال ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٤٨]، ولقد ذكر في كتابه الاحتجاج على صحة ما هو عليه بأن مقام إبراهيم –زاده الله شرفاً– خارج من أيدينا، وأنه في يد غيرنا، فهل قيامنا إلا لنقر الحق في نصابه، ونرد الأمر إلى أربابه من أهل بيت محمد عليه وعليهم أفضل السلام؟ وهل منعنا من حقنا يكون عند أهل العقول نقصاً في ديننا؟ ولقد منع رسول الله ﷺ من مكة جملةً، ورد عام الحديبية من جانب الحرم، ومنع من العمرة والهدي معكوفاً أن يبلغ محله؛ فما زاده الله تعالى إلا شرفاً، فلقد أراد هذا الكاتب أن يذم فمدح، وأن يفضح فافتضح.

وأما احتجاجه بقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، فلقد ضحكنا عجباً

---

(١) حديث السفينة حديث صحيح وهو بألفاظ مختلفة، أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناده إلى أبي سعيد، وأخرج خبر السفينة أيضاً أحمد عن عمار، وهو والترمذي عن أنس والطبراني عن عمر، والحاكم عن أبي ذر، وأبو نعيم عن أبي ذر وابن عباس ...إلخ. انظر: الاعتصام) وتخريج الشافي، وشرح الغاية، ولوامع الأنوار ...إلخ (الموعظة الحسنة هامش للمولى الحجة مجد الدين المؤيدي).

لا طرباً، حيث جعل سبيل المؤمنين مخالفة أهل بيت محمد ﷺ وهل سبيل المؤمنين إلا اتباع أهل البيت ومودتهم، وهل مشاقة الرسول إلا مخالفتهم وبغضهم، ولكنه وافق عامةً ضالة؛ فكلما رغا هدرت[1]، وكلما شرب من الجهل سكرت، حتى أنه بلغنا أنه أكل في غرة الشهر الكريم رمضان –زاده الله على مرور الأيام شرفا– فتبادروا إلى منازلهم يأكلون، وما عن دليلٍ يسألون

فاعجب فمهما عشت عاينت العجب

وقد علم الله سبحانه أنا ما قمنا أشراً ولا بطراً ولا رئاء الناس، وإنما أردنا أن ندخل هذه الأمة في الألفة، ونفقأ عنها عين الفتنة، ونلبسها ثوب العافية، ونعلمها معالم الدين، ونهديها سنة أبينا خاتم النبيين؛ فمن أجاب دعوتنا هذه العادلة غير الجائرة، الجامعة غير المفرقة، فهو مناّ وإلينا له ما لنا وعليه ما علينا، ومن كره ذلك حاكمناه إلى الله سبحانه وحاربناه، واستعنا بالله سبحانه عليه فغلبناه إن شاء الله سبحانه؛ وإنما نحن نقاتل هذه الأمة على تأويل كتاب الله كما قاتلهم أبونا رسول الله ﷺ على تنزيله؛ لأنه خطٌّ بين الدفتين لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، ونحن تراجمته وورثته، وعندنا معرفة غرائبه، وعلم عجائبه، وقد قال جدنا ﷺ حيث قرنه بنا وقرننا به مخاطباً لأمته: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[2] وقد أمرناكم أن تُؤَذِّنوا بأذان رسول الله ﷺ وتخطبوا بخطبة أهل بيت نبيكم، ثم شأنكم بعد ذلك وما بدا لكم وما اخترتم لأنفسكم، فإن فعلتم ذلك فأهلاً بالوفاق، وإن أبيتم **﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** [البقرة:٢٧٩]، **﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾** [الأنفال:٥٨]، **﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾** [ص:٨٨]، **﴿فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** [البقرة:١٩٣]، وكنا أبرياء من كل عقد لبعضكم أو لكلكم ومن كل منشور كذلك، وكان الله الناصر لأولى الفريقين بالحق، والسلام.

---

(١) رغا: صوّت، وهدّر: صوّت في غير شِقْشِقَةٍ.

(٢) سبق تخريجه.

[كتاب آخر إليهم]

فعاد جوابهم في الامتثال إلا في تقديم علي عليه السلام فكتب إليهم عليه السلام في آخر كتاب:

أما ما ذكرتموه من التقديم في الخطبة فلم نقدم علياً عليه السلام شهوةً ولا هوى، ولا قدمناه إلا لأن الله سبحانه قدمه في كل مكرمة، لم يسجد لصنم أبداً، ولم يتأخر في حرب عن الحومة العظمى حتى كانت كلمة الله هي العليا وكلمة الشيطان وحزبه السفلى، ومنه ذرية رسول الله ﷺ وعلمه لا يخالف في ذلك أحد من العلماء، وأمس الخلق برسول الله ﷺ رحماً، وهو خامس أصحاب الكساء، وقد وقعنا نحن وإياكم في فرقة عمياء، لا رضيتمونا إلى الله تعالى أدلاّء فنوطيكم المحجة البيضاء، ولا نزلتم منزلة العلماء فنحاكمكم إلى كتاب الله وسنة المصطفى؛ إنما هو عجر أو بجر[1]، فلا تركبوا الدهماء فتخسروا الآخرة والدنيا، وارضوا بنا أئمة نرضكم لنا تبعا، ولا تأخذكم حمية الجاهلية الجهلاء.

وأما ما ذكرتم من خبث فحسابهم إلى الملك الأعلى، وقد جاءونا تائبين، وقد كان جدنا رسول الله ﷺ لا يرد تائباً؛ فإن ظهرت معاصيهم فلكل معصية عندنا وعند الله حكم، فكونوا في أنفسكم ولا تغرنكم أحاديث المنى، وانظروا لأنفسكم نظراً يخلصكم لليوم وغداً عند رب السماء، والسلام على من اتبع الهدى.

ولما عاد عليه السلام من غزاة بيحان وحط بالحزمة ذكر امتناع أهل مأرب فقال ارتجالاً:

إذا بدت مثل السعالى من دغل
وطلعت فوق الرماح كالشعل
وأيقنوا أن الحمام قد نزل
نادى مناديهم على خير العمل

(١) البجر بالضم: الشر والأمر العظيم والداهية، وفي القاموس المحيط: العجر والبجر: العيوب والأحزان وما أبدى وما أخفى.

[كتابه عليه السلام من براقش إلى أهل مأرب]

وكتب عليه السلام إليهم من براقش وقد جاء كتاب مذحج بسكون منهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة سبأ الحاضرين بمأرب، سلام عليكم سلام سنة لا رضى، وإنا نحمد إليكم الله تعالى، أما بعد: فإن أشقى الأشقياء من شقي بعد الرشد، وأضل الضُلاّل من ضل بعد الهدى، وإنكم لا تدرون أي عقبة تتسنمون، وأي دين تكرهون، وأي إمام ترفضون، ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[الأعراف:١٩٨]، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[فصلت:١٧] وإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد،﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ وَلاَ تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[الذاريات:٥٠،٥١]، وإنا إذا جهدنا كل جهدنا أخرجناكم منها أذلة وأنتم صاغرون، وإني أقول لكم ما قال عمي سليمان -عليه السلام- لأوائلكم: ﴿أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[النمل:٣١]، وإن الإسلام لا يتم إلا بطاعة عترة خاتم المرسلين، وإني كتبت هذا الكتاب أريد استبقاءكم لبلادكم وسلامتكم في أوطانكم، وأن تجعلوا الطاعة لله ولنا ستراً حاجزاً بيننا وبينكم؛ فإن من عرض صفحته للحق هلك[1]، ولا تطمعوا عند استحضار جهدنا وحشدنا لكافة جند الله وجندنا، أن التوبة تقبل منكم إلا بأمورٍ يجوز لنا فعلها، عرفناها وجهلتموها فتقولون عندها ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾[ص:٦١] ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾[فصلت:٢٩]، ولقد أبلغ في الإعذار من تقدم بالإنذار، وأنا أنتظر إتيانكم كما وعدتم أو إتيان كتابكم بالمعصية فنهتم بنشابكم مستعينين بالله عليكم، وإنا قد عقدنا لمذحج نراعيهم معكم أو صلب زراعتكم معهم، والآن وقد

---

(١) في نهج البلاغة قصار الحكم ١٨٨، والخطبة ١٦ (من أبدى صفحته للحق هلك) وإبداء الصفحة: إظهار الوجه، والمراد الظهور بمقاومة الحق.

زرعتم وأمنتم وأنتم قوم لا تخافون إلا ماشاهدتم وعند المشاهدة ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام:١٥٨]، فاقبلوا العافية معروضة مقبلة عليكم، لا تطلبوها مدبرة ممنوعة عنكم، ولا تعرضوا لنكال الدنيا وعذاب الآخرة ف﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾[الرعد:١١]، وإن البغي بمعصية إمام الحق يحل سفك الدم، واستباحة المال، وهدم الديار على مذهبنا ومذهب آبائنا من أهل البيت عليهم السلام، وإنا وإياكم كما قال الشاعر:

مطل على أعدائه يزجرونه
بساحتهم زجر المسيح المشتهر

وإن بعدوا لا تأمنون اقترابه
بسيوف أهل الغائب المتنظر

فيوم على نجد وغارات أهلها
ويوم بأرضٍ ذات شب وعرعر

وإنكم في استصغاركم لأمرنا كما قلنا لمن سلك بمثل سبيلكم:

وصغرتمُ أمراً كبيراً تزلزلت
له عدن مرعوبة وزبيدُ

ودونهما ملكٌ عظيمٌ حجابه
ومالٌ عريض واسعٌ وجنودُ

فإن لم أقدها لاحقات بطونها
حداها حديد والرجال حديدُ

إلى أن يبل الغير ثوب جلودها
وتبتل منها بالحميم لبودُ

فــــلا ذعـــرت حـــبلى الـــسوام مغـــيرةٌ

مـــع الـــصبح ســـعياً واللئـــام هجـــودُ

[كتابه عليه السلام إلى قوم من المطرفية]

وكتب عليه السلام إلى قوم من المطرفية ببلاد قانعة وقد أتاه قـوم مـن أهلهـا بـمالٍ إلى الحزمـه، وحكوا اجتهادهم في تنفير العامة:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هـو، ونـسأله أن يهـديكم سـبيل الرشـاد، وينفي عنكم أسباب الفساد والعناد، أما بعد:

فإن الدين لا يتبع بالهوى، ولا ينال بالمنى، ولا بد له من أسـباب وأبـواب، وأوتـاد وأطنـاب، أهل بيت محمد صلى الله عليه وعليهم أسبابه وأبوابه، وأوتـاده وأطنابـه، ورسـول الله ﷺ المنـذر ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد:٧]، من العترة الطاهرة، أئمة الدنيا وشفعاء الآخـرة، وقـد دعونـا دعـوة جامعة غير مفرقة، عادلة غير جـائرة، أجابهـا كـل فاضـل مـن العـترة الطـاهرة علـيهم الـسلام وأتباعهم من علماء الإسلام، وبايعوا عن خبرة وتجربة وتدقيق وتحقيق، ثـم هـذه سـيوفنا منوطـة بعواتقنا، ودروعنا على جلودنا نضرب بها الشرف والعرب حتى يستقر الأمر في نـصابه، ويرجـع الحق إلى أربابه، من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وقد قعد عنا نفر من الـشيعة قعـود العجـز والضعف عن القيام بلوازم الأمر والجهاد في سبيل الله سبحانه، ثم خافوا أن تنقد عليهم الأمة في تخلفهم عن الإمام ونصره فرفعوا الأمر بما هـو أكـبر منـه عنـد الله سـبحانه وجعجعـوا الأمـر في الإمامة، وأعانهم الشيطان على نفوسهم الأمارة بالسوء، فاتفق رأي الجميع، فالله الله في نفوسـكم لا تهلكوها على غير طائل، واعلموا أن الحقوق الواجبة قد صار أمرها مصروفاً إلينا؛ فكل مـسلم

أخذ منها شيئاً بغير أمرنا فحكمه حكم المغتصب، وإن أنكر الإمامة فحكمه حكم المرتد أو الناكث للعهد، وأنتم يا معشر الشيعة أولى الناس بالاستقامة، وقد قام عمود دينكم، ونطقت الخطباء على المنابر بذكر عترة النبي صلى الله عليه وآله الذين تعتزون إليهم، وأين يذهب بكم عنهم؟! واعلموا أنكم كنتم تستفتحون على الناس بالإمام؛ فالآن قد قام إمام الهدى لا توجد فيه وصمة إلا أنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

وقد بلغنا أن لكم عناية في أمر الدين، واجتهاداً في طلب العلم وذلك لا يراد لنفسه، وإنما يراد لما نحن فيه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس كل مجاهد معنا يضارب، ولا كل معاد لنا يحارب، من المجاهدين معنا من يجاهد بلسانه، ومن المعاندين لنا من يعادي بكلامه ولكل عمل جزاء، وكل آت قريب فلا يغبو عنا ما أنتم عليه، واعلموا أن أمرنا سيظهر ظهور الشمس -إن شاء الله- فإياكم أن تكونوا عند ظهورنا خفافيش فتذهب دنياكم وآخرتكم و﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[الحج:١١].

[كتابه عليه السلام إلى الأمير هلدري المرواني][(١)]

وكتب عليه السلام إلى الأمير هلدري بن أحمد المرواني وقد غزا دوبع[(٢)]:

لك الوقعات في شرق وغربٍ ... إذا ذكرت وفي يمن وشامِ

حميت ذمار دين بني علي ... حماك الله من كيد الأنامِ

(١) هلدري المرواني: لعله مبارز هلدري. انظر السيرة المنصورية ١/ ٩٤، ١٥٤، ٢١٢، ٢٦٧، ٧٦٥.

(٢) دوبع ذكرت في السيرة المنصورية ص٥٢١ ضمن قصيدة للأمير سليمان بن موسى كتبها للإمام إلى ذمرمر:

دخلت تهامة والذنائب أقفرت ... وكذا السويد معاً ودوبع أقفرا

وهي قرية من عزلة العبادلة ناحية أفلح الشام قضاء الشرفين.

ولما توافرت الأخبار بكون العسكر في دوبع أرجف المرجفون بأن الرهن قد غلق، والسهم قد علق، وأن الأسداد قد ضربت بين الأجناد والمواد؛ فلما كثر ذلك عندنا هرقنا كأس الكرى، ورضاب الخرد العرب، ونهضنا للعادة، ولعلنا كنا نكون مائة فارس بعضها لوابس، فلما وصلنا سوق الجوف الأعلى جاءتنا البشارة السارة بما أجرى الله من الفتح على يدي السلطان ومراحه[1] سالماً غانماً، وتلك عوائده سبحانه فيه وفينا، فله الحمد كثيراً ولم نر إلا إمساك أهل الجوف؛ لأنا أزعجناهم من شعوب كثيرة ولما يصلحونها.

[من كتاب له عليه السلام إلى قبائل حاشد وبكيل]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب عام إلى قبائل حاشد وبكيل:

وانظروا لأنفسكم نظراً يخلصكم عند الله وعندنا ولا تكونوا من الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، وكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[البقرة:٢٥٠]، وإياكم ثم إياكم أن تغروا نفوسكم في شيء من خيانة ربكم، ولا تسرقوا شيئاً من دينكم، ولا تغشوا إمامكم، وانصحوا لله وله في سركم وإعلانكم، ولا تعدوا ما يخرج من أموالكم مغرماً فتلحقوا بجفاة الأعراب، وعدوه قربة عند رب الأرباب، وثقوا بالله سبحانه رباً كافيا، وستراً واقيا لمن أطاعه وانقطع إليه ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾[هود:١١٣]، وتفكروا فيما أصبحتم فيه من تجديد شريعة محمد ﷺ واعلموا أنما نقص من الدنيا، وزاد في الآخرة، خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا، ولا تخاذلوا فتواكلوا؛ فانظروا إلى الله سبحانه بعين الطاعة ينظر إليكم بعين الرحمة، واخفضوا له جناح الذلة والاستكانة ينشر عليكم كنف الشفقة والرحمة، ولتكن هممكم ذكركم ما بعد الموت فهو نهاية كل شيء، ولا تكونوا من المفتونين فيما لا يبقى، المغبونين في الدار الأخرى، جمع الله على الهدى شملكم لولاة أمركم، والسلام.

---

(١) مراحه: عودته من المعركة.

[ومن كتاب له عليه السلام إلى وادعة وبني صريم]

وكتب عليه السلام إلى وادعة وبني صريم وقد قتل شريف من آل الهادي عليه السلام في وطنهم:

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن لله سبحانه عباداً عرّفهم طاعته فاتبعوها، ومعصيته فاجتنبوها، وأولياءه فوالوهم، وأعداءه فعادوهم؛ فكونوا من جملة الفائزين، واستقيموا.

وقد علمتم أنا لم نوقع بأحد حتى ظهرت معصيته وبدت خطيئته، وقد وقعت في البلاد أمور غير مرضية لله سبحانه، ولا محمودة العواقب على فاعلها -إن شاء الله سبحانه- وكان آخرها أكبرها عند الله وعند خلقه سفك دماء آل رسول الله ﷺ وإخوانهم من المسلمين وذلك استدراج من الله سبحانه لمن فعله لما أراد الله تعالى من تعجيل نقمته، وقطع دابره، واستئصال شأفته؛ فلا تغفلوا عما يلزمكم من القيام في أمره، والاهتمام في نصره؛ ولسنا بعادمين الأنصار عليه ولكنا لا نستغني عن نصرتكم، ولا لكم غنىً عن معونتنا ونحن الصادقون، وقد قال تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة:١١٩] وقد وجهنا إليكم يوم وصلنا علم الحادثة عبدين من عباد الله الصالحين لا ينامان عن الأحداث، ولا يغفلان عند الإبعاث، يأمران بأمرنا، وينهيان عن نهينا، أمرّا على الفساق من صرف العلقم، وأشدَّا على المرَّاق من سم الأرقم، وإنا على أثرهما بجنود وافرة، وجموع متكاثرة.

[كتابه عليه السلام إلى كافة بكيل]

وكتب عليه السلام إلى كافة بكيل:

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فإنكم لا تجهلون ما قد ألزم الكل نفسه من طاعة الله سبحانه وطاعتنا، والانقياد لأمره سبحانه وأمرنا، وقد قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩]، وقد طال على كثير من الناس الأمد، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[الحديد:١٦]، وقد حدث من الحوادث في ناحية من البلدان في ناحية الجوف ومأرب وتهامة وبيحان ما علمتم من خراب البيوت وأخذ الأموال، وقد سلمتم بلادكم بحسن طاعتكم، وقد حمدنا الله تعالى على ذلك، ثم قد نجم الفساد، وأظهر الشقاق مرة بعد أخرى، وتغاضينا لإبلاغ الحجة، وقد آل الأمر إلى سفك دماء آل رسول الله ﷺ والمسلمين وإفساد السبل، وقد وجهنا إلى بلادكم سيفين من سيوف الحق لا كليلي الحد ولا نابيي الضربة، أشد على الكفار من حريق النار، عماد الدين، وصفي الدين[1]؛ فما أمراكم به فامتثلوا، فمن حقَّت عنده الخطيئة العظيمة، والحادثة الجسيمة؛ فكونوا حيث الظن بكم، وقد علمتم حال الفقيه العالم سليمان بن عبد الله السفياني[2] وهو من عرفتم سيرته، وبلوتم سريرته؛ فكونوا عند أمره ونهيه، فهو لا يصدكم عن هدى، ولا يدلكم على ردى، وإنكم يا معشر بكيل أخص الناس بنا، وأعزهم علينا، ولكم سوابق بين أيدي أجدادنا، ونرجو أن تكون إن شاء الله بين أيدينا.

---

(١) عماد الدين يحيى بن حمزة بن سليمان أخو الإمام عبد الله وقائد معظم حملاته، ولاه الإمام ما يلي ظاهر بني صريم إلى الطرف، توفي سنة ٦٣٦هـ. السيرة المنصورية ص٤٣ وما بعدها.

وصفي الدين هو: محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن محمد بن حسين بن حمزة بن أبي هاشم النفس الزكية كان أحد قواد وأنصار الإمام. انظر (السيرة المنصورية).

(٢) سليمان بن عبد الله السفياني، كان من كبار المسلمين وعيون أهل الدين، ولاه الإمام المنصور بالله بكيل كافة كما جعل أمر القضاء في شوابة والحكم بين الناس وإمضاء الأحكام الشرعية إليه بعد نهوضه من شوابة إلى حوث سنة ٥٩٩هـ وقد قدم على الإمام من شوابة في محرم سنة ٦٠٠هـ شاكياً منهم عدم الطاعة، فكتب إليهم كتابا بليغاً. انظر: السيرة المنصورية ص٣٠٧ـ٣٠٨.

[من كتاب له عليه السلام إلى القاضي عمرو العنسي][1]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب إلى القاضي زكي الدين عمرو بن علي العنسي يحكي له أمور أهل نجران قال:

ثم نجم قرن المفسدين بنجران، فصببنا عليهم الخيل في إثر الخيل، كالسيل يتلوه السيل، حتى تفرقوا أيدي سبأ، وأمعنوا في الأرض هربا، فندموا ولات حين مندم، وعلموا أن الغريم ملهم، فهم الآن يسألون العطف والرحمة، فعجلنا لهم جواب الآخرة﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون:١٠٨]، فأنعامهم تموت هزلاً، وأكثرهم صاروا من الوقاع رُحّلاً.

إذا فاتوا الرماح تناولتهم
بأرماحٍ من العطش القفارُ

﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[هود:٤٤] وإلى الآن ما كففنا عن استنفار الخيل المنصورة، وعند اجتماعها بنجران، وقطع دابر أهل الطغيان ننهض بهم نهضة حميدة العواقب، إلى إحدى الجوانب مستعينين بالله سبحانه.

[ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الجوف]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب إلى أهل الجوف:

وقد أشفقت عليهم شفقة الأم البرة، فتجرأوا عليّ وأخشى أن تعود محبتي لهم محبة الهرة، فإن أحسنوا طاعتهم لله ولنا وإلا فإنهم حصائد سيوف الحق إن شاء الله، ولا والذي في السماء ملكه،

---

(١) قاضي القضاة عمرو بن علي بن سعيد العنسي، تولى القضاء في حوث وهو شاعر مجيد، له العديد من القصائد الموجهة إلى الإمام في مناسبات مختلفة. انظر: السيرة المنصورية ٢٠٦، ٢٨٩، ٣٤١، ٣٤٨ وغيرها، مطلع البدور (تحت الطبع)، المستطاب (خ).

وفي الأرض سلطانه؛ لقد خشيت أن تكونوا كالباحث عن حتفه بظلفه[1]، والجادع مازن أنفه[2] بكفه، وأن تضيق عليهم واسع الغيطان، ويسقطهم العشى على سرحان.

[ومن كتاب له عليه السلام إلى الأمير المؤيد بن قاسم]

وكتب عليه السلام إلى الأمير المؤيد بن قاسم في آخر كتاب وقد بلغه تفريط في إزالة المنكرات، وتوقف عن إقامة الجمعة خوفاً من الغز[3] قال:

وقد بلغنا أن في البلاد مناكير وقبائح ظاهرة لا يحسن إضافتها إلى بلدٍ لآل محمد -سلام الله عليه وعليهم- فيها ذكر طاهر، فكيف تكون بحبوحة دارهم، ومستوطن قرارهم؛ فأرحض درنها بشدة ظاهرة، تكسبك شرف الدنيا وعظيم ثواب الآخرة، وكن حيث الظن بك في الأمور وفوق الظن فما ذلك منك ببعيد، وكيف لا وأنت من ذروة المجد، وطينة الحمد، وذؤابة الشرف الأسنى، ومن شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وشمر في إقامة الجمعة فإنها عمود الدين، وفي تركها ضرر عظيم وخطر جسيم؛ لأنا روينا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تركها وله إمام عادل فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمره، ألا ولا صلاة له ولا زكاة له، ولا صيام له، ولا حج له»، ورسول الله ﷺ مقبول الدعاء، مضمونة له الإجابة؛ هذا وفي الخطبة ذكر آبائنا الطاهرين، وتقوية قواعد الدين، وذلك فرض الله على العالمين.

ولما حاربنا أهل مأرب، وهم أكثر أهل المشرق عصبية للباطل وقدرة عليه قالوا: ندخل تحت ما ترسم علينا في جميع الأمور إلا تقديم علي بن أبي طالب عليه السلام في الخطبة فلا نقدمه، قلت: إن ساعدتكم إلى ذلك كنت شرَّ ولد وَلَدَه والِدٌ، أن أكون مضطلعاً بالحرب، ممداً بالنصر، وأقدم على أبي خير الآباء سواه؛ فلو كان متأخراً في الحق وكنا نرى بإيثار الحمية لكان في الحمية

(١) بظلفه: أي بِكَلِّه: تعبه.

(٢) مازن أنفه: طرفه.

(٣) الغز: هم الأيوبيون.

والمنعة تقديمه مع القدرة، فكيف وهو سابق السابقين؟ وإمام المسلمين، ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[التوبة:٤٨]، فالبدار البدار إلى ما يرضي الله سبحانه، واذكره في الرخاء يذكرك في الشدة، وقدم أمره على هوى نفسك، ولا تستبد بالرأي دون الصالحين؛ فلو استغنى أحد لكمال العقل عن مشورة الخلق لكان رسول الله ﷺ، قال الله تعالى له: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[آل عمران:١٥٩]، وقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى:٣٨]، ولا تداهن في معاصي الله عز وجل أحدا، لا والداً ولا ولدا، على التمثيل، وكيف والله سبحانه يقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[المجادلة:٢٢] في الآخرة، ولا يريد العباد أكثر من ذلك.

[كتابه عليه السلام إلى الحجاز إلى الكافة من بني الحسن]

وكتب عليه السلام إلى الحجاز إلى الكافة من بني الحسن عموماً:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لصالح الأعمال، وبلوغ أشرف الآمال، وإيداع شكر نعمته، على ما اختصنا به من فضله ورحمته، وبجعله لنا من عترة نبيه، وإيراثه لنا علم كتابه، وجعلنا الحكام في بلاده، والشهود على عباده، واختار لنا ما لا تبلغ حيلتنا نيله، ولا تنتهي قدرتنا إلى إدراكه، رحمة منه أسداها إلينا، ونعمة أصبغها علينا، وأمانة حملنا إياها، وكلمات ابتلانا بها فأتممناها، ولم نبلغها إلا بإقداره لنا على فعلها وإعانتنا على ما بهض من ثقلها، وصيرنا العدول في بلاده، والشهود على عباده، وقرن طاعتنا بطاعته، ومعصيتنا بمعصيته إن هذا لهو الفضل المبين، والعطاء الثمين، وأقام بقيامنا قناة الدين، وأخمد نار المبطلين، وطمس رسوم الجائرين، وجعلنا رجوماً للشياطين، وأدلة على الحق المبين فله الحمد على ذلك كثيراً.

أما بعـد:

يا بني حسن، خصوصاً في اللفظ، عموماً في الحكم فإن الواعية قد قرعت أسماعكم، والدعوة قد غمرت بقاعكم، وأزلفت تلاعكم[1]، وهي دعوة لا يعذر من سمعها من إجابتها من سائر المكلفين عموماً فكيف بكم وأنتم جرثومة[2] الداعي إلى حياة دينكم، وأصل المجدد لشرعكم، وهو غصن من شجرتكم، وحبة من ثمرتكم، وعذق من ريحانتكم، ولكل عذر، لو لم يكن شرع إلا لكم

ومـــدت بأيـــديها النـــساء فلـــم تكـــن
لـــذي حـــسب عـــن قومـــه متخلـــفُ

فايم الله لقد كانت حروب الجاهلية يثيرها رجل واحد من أطرافهم فتهافت على الجهل فيها قرومهم[3]، وذووا أحلامهم، فتغمس أيديها بالدماء لكون الفاتح لها رجل ينتسب إلى تلك القبيلة، فترى أفراده عاراً وشنارا، وذلة وصغارا؛ فإن شئتم فابحثوا عن الجفار[4]، وحرب الفجار[5]، وحرب النسار[6]، وبعاث[7] والكلاب[8]، وفيف الريح[9] لبني جعفر بن كلاب؛ هذا

---

(١) التلاع الروابي، وازدلاف الربوة تقربها من النظر وظهورها له؛ لأنه يقع عليها قبل المنخفضات.

(٢) الجرثومة: الأصل والنواة.

(٣) القروم: جمع قرم، وقرومهم: ساداتهم.

(٤) يوم الجفار كان بين بني بكر وتميم، وهو ماء لبني تميم بنجد، قال بشر:

ويـــوم النـــسار ويـــوم الجفـــار كانـــا عـــذاباً وكانـــا غرامـــاً

مجمع الأمثال ٢/ ٤٣.

(٥) حرب الفجار: قالوا: أيام الفجار أربعة أفجرة: الأول بين كنانة وعجز هوازن، والثاني بين قريش وكنانة، والثالث بين كنانة وبني نصر بن معاوية، ولم يكن فيه كبير قتال، والرابع وهو الأكبر بين قريش وهوازن قبل مبعث رسول الله ﷺ بست وعشرين سنة، وسببه أن البراض بن قيس الكناني قتل عروة الرحال فهاجت الحرب وسمت قريش هذه الحرب فجار؛ لأنها كانت في الأشهر الحرم (مجمع الأمثال ٢/ ٤٣).

(٦) النسار: كان بين ضبة وبني تميم، والنسار جبال صغار كانت الوقعة عندها، وقال بعضهم: هو ماء لنبي عامر. (مجمع الأمثال ٢/ ٤٣).

(٧) بُعاث: بالعين المهملة يوم بين الأوس والخزرج في الجاهلية. (مجمع الأمثال ٢/ ٤٤١).

(٨) الكلاب بالضم والتخفيف ماء عن يمين جبلة وشمام، وللعرب به يومان مشهوران يقال لهما الكلاب الأول والكلاب الثاني أيام أكثم بن صيفي. (مجمع الأمثال ٢/ ٤٣٣).

(٩) يوم فيف الريح: وهو مكان كان به حرب بين خثعم وبني عامر وفيه يقول عبد عمرو بن شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب:

طُلِّقت إن لم تسألي أي فارس

(مجمع الأمثال ٢/ ٤٣٧).

وأنتم بحمد الله أهل النفوس الأبية، والأنوف الحمية، والمغارس الزكية، والمناقب النبوية، والعزائم العلوية، وأنتم أهل العير والنفير، وقد كنا نظن عند سماعكم لدعوتنا تبادركم إلى بيعتنا كل يبايع نفسه لنفسه لنا ولربه، ثم لا يكون همكم عند ذلك إلا تقويم الرماح، وصقل الصفاح، ونص الرواحل، وطي المراحل، وطرق المناهل، حتى تلتقوا بضالتكم الثمينة، وتظفروا بحجتكم المتينة، وتذل لكم رقاب الجبابرة، وتنزل بهم الفاقرة، وتديل دولتكم فقد دالت، وتقيموا صعدتكم فقد مالت، وتقتسموا تراثكم المغصوب، وتسترجعوا ما لكم المنهوب؛ فقد أذن الله برجوع الحق إلى نصابه، والملك إلى أربابه من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة، وحان حين العدل في الرعية، والقسم بالسوية، والانقياد للأحكام النبوية، وصعود المراتب العُلوية، بالهمم العَلوية، وطال علينا الانتظار، وتباعدت الأنصار على قرب الديار من الديار، وشن المغار على المغار، بيننا وبين الطغاة الفجار.

عاماً ولم ينتج رجاي وإنما
تتوقع الحبلى لتسعة أشهرِ

ولعمري لو لم يكن إقبالكم إلينا إلا بتخطي أعيان الأسود، ورقاب السود في الليالي السود، فوق ذات الوقود، لهان ذلك في جنب ما دعوناكم إليه من شرف الدنيا وثواب الآخرة، ولو كان انتقالكم من خير إلى شر لفزتم بشرف الدهر، وعلوتم كأهل الفخر؛ فكيف والحجاز فيما نعلم شر حجز بين خيرين، وجزرٍ بين بحرين ولذلك سُمي حجازاً، ونحن شركاؤكم فيه، فلم يفارقه أحد منا فيعود إليه، ففيما الرباط فيه على غير نعمٍ تحمونه، ولا ملك تمنعونه، ولا سد تبنونه، ولا ضد تعنونه.

هذه بنو عمنا بنو العباس الذين عرفنا بهم الناس، وبنينا لهم على أقوى أساس، لما قاموا معلنين بشعارنا، لينتقموا كما زعموا بثارنا، فما جفت الدماء الذي سفكها بنو أمية بنينوى والكناسة والمهراس وأرغوي وحران، وما كان في تلك الأوطان حتى حرفوا علينا رؤوس البلدان، وإنما أمر بإقامة شرائع الإيمان، وذلك كائن لو لم يملك من الأرض مكان، فمطلبه قد كان، على حالتي الزيادة والنقصان، لكنه أراد لكم استرجاع الضالة، ورد الزالة؛ هذه منابركم قد غشيها من

تعلمون في الجد والمجون، وأنتم عن ذلك لاهون، وعن الانتقام منه ساهون ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[الأنفال:٧٣]، وقد جعلناها تذكرة فإن الذكرى تنفع المؤمنين؛ فأما الدعوة فقد صارت لكم معلومة، وعندكم محفوظة مفهومة، فعلام تعرجون؟ وماذا تنتظرون؟ وأي إمام بعد إمامكم تنصرون؟ وأي مجد بعد مجدكم تعمرون؟ تفهموا معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]، فمعنى الآية ينتظمكم، والخاصم بها يخصمكم، فما عذركم عند الناس في يومكم، وغداً بين يدي خالقكم، وقد بليتم بحرب لا عذر في تركها إما للحمية أو العصبية، أو لطلب الفخر والثناء الجميل؛ وإما للمطلب الأعظم، والمتجر الأكرم، والفوز بالثواب الجسيم، في جنات النعيم، والظفر بالملك العميم، والفضل العظيم، والنجاة من العذاب الأليم؛ فهل يحسن لكم أن تأخروا عن أمر لكم في فعله هدى، وعليكم في تركه ردى؛ ما هذا فعال مثلكم يا أولاد الوصي، وعترة النبي –صلى الله عليه وآله الطاهرين– أترضون أن تطاردوا قبائل حرب وربيعة وبلى وبني عقبة ونفاثة وشعبة طراداً أهونه طعن النحور على المعافير والطراثيب والشيح والحراثيب، وأعداء الله في البساتين المونقة، والحدائق المغدقة يتفكهون، وفي القصور العالية المشيدة يتفيئون ويتنسمون

منزلة ما خلته يرضى بها
لنفسه ذو أدب ولا حِجى

فهلم رحمكم الله إلى المنازل السامية، والرتب العالية، والخيرات النامية، والمنازل الهنية، وإلى إمام حق منكم، وكفى به لكم فخرا، يعلي لكم كل يومٍ ذكرا؛ فلأي أمر تركبون الأعوجية، وتجرون السمهرية، وتهزون المشرفية، وأنتم هامة بني حسن جمعا، أكثرهم ضراً ونفعا، وقد نصبت رايتكم فلم تجتمعوا إليها، ولم تعكفوا عليها؛ فبادروا إلى فتح الممالك العظام، والخيرات

الجسام، وقد دعوناكم إلى الله، فوجب عليكم الإقبال والالتزام، ووعدناكم بوعد فوجب علينا الوفاء والتمام، وقد وفينا بما وعدنا الأمة في أنفسنا، يشهد بذلك ثقات أهل اليمن، وطواف أهل الآفاق أنا من يوم دعائنا إلى الله فارقنا أهلنا، وجاهدنا في سبيل ربنا، لم نلتفت إليهم على قرب الديار بوجوهنا اشتغالاً بالأمر المهم من أمر خالقنا، في هذه المدة درعي وسادتي، ونجادي[1] وشاحي وقلادتي؛ هذا وكم من ليلة مهرورة باتت عليّ فاعلموا مزرورة، فحتام وإلام تفيئون في ظلال البيوت؟ وتضجعون خلف أعجاز النساء، ودين الله قد طمست أعلامه، وضيعت أحكامه، وبكم يعضد؟!وأنزلت:﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[الذاريات:٥٠، ٥١] ﴿هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨]، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود:٨٨]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[كتابه عليه السلام إلى الأمير قتادة بن إدريس][2]

وكتب عليه السلام إلى الأمير الرئيس قتادة بن إدريس:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك التوفيق إلى سبيل الرشاد، وسلوك مناهج الآباء والأجداد، الذين كانوا أوتاداً للبلاد، وأقماراً للحاضر والباد، ترتع

(١) النجاد: الكرم، والنجاد: الضابط للأمور.

(٢) الإمام كتبه في ربيع الأول سنة ٥٩٨هـ في محروس صعدة بعد دعوته بأربع سنوات كما في نص الكتاب إذ يقول: واعلم أنك جعجعت بإمامك وابن أبيك وشجة رحمك وغصن شجرتك منذ أربع سنين، وهو من يوم وقعت هذه الدعوة.

سائمة الرعايا في رياض حلومهم، وتستضيء أجناس البرايا بأنواع علومهم، لجبوا[1] منهاج الحق للسالكين إلى تجبوبة العلم اليقين، فمن قافٍ آثارهم وهم الأقلون، ومن صادف عن سننهم وهم الأكثرون، كما قال تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[المؤمنون:٧٠] أما بعد:

فإن لله سبحانه عباداً ظاهر عليهم النعم، وضاعف عليهم التكليف، نحن يا أهل بيت محمد -سلام الله عليه وعليهم- منهم، بل نحن عيونهم، وخاصة خاصتهم؛ لأن الله سبحانه أنجز فينا لنبيه محمد ﷺ وعده، واستجاب فينا دعوته، وأعطاه فينا سؤله؛ فله الحمد كثيرا بكرة وأصيلا، فجعلنا أعلاماً في دينه، وعرفنا غوامض شريعته، وجعلنا تراجمة كتابه، واستثنانا سبحانه مع نفسه بما ألهمنا من هدايته، فقال لا شريك له: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[آل عمران:٧]، فنحن الراسخون فيه ولله المنة علينا، ولم تزل الأمة منذ قبض نبيه صلى الله عليه وأهله متحاملةً علينا بالخذلان والطغيان، فريقاً منا كذبت لاتباع الأهوية، وفريقاً قتلت تحت ضلال الألوية، وما نقموا منا إلا أن آمنا بالله العزيز الحميد؛ فلم نزدد على هجوم الخطوب الكوارث إلا شدة، وعلى استحرار القتل الذريع والحبس الشنيع إلا نجدة

لأنا من القوم الذين يزيدهم
قسواً وبأساً شدة الحدثانِ

يغبط آخرنا أولنا على إحراز الشهادة، ونيل السعادة، يقول من نجا منا سليماً لمن قتل: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[النساء:٧٣]، ويا له من فوز ما أعظمه، وملك ما أجسمه؛ قال رسول الله صلى الله عليه وعلى أهله: «أقرب الناس مني موقفاً يوم القيامة بعد حمزة وجعفر رجل منا أهل البيت قاتل إماماً ظالماً فقتل»، وكان أثقل الناس علينا وطأة العرب، وأشد العرب عداوة قريش، وبنا نفى الله ربق الذل عن أعناقهم، ووسع لهم في أرزاقهم، ومكنهم في البلاد، وملكهم رقاب العباد؛ فاتخذوا المصانع والعيون في بحبوحة دار العجم، وركبوا مراكب الذهب، وابتسطوا الديباج الأصفر، وجلّلوا القباب بالسندس الأخضر، واتخذوا عباد الله خولاً،

(١) لجبوا: وضحوا.

وملكه دولاً؛ فدان لهم الأسود والأحمر، هذا وهم يدعون الناس بزعمهم إلى دين محمد ﷺ ويحصدون مع ذلك ذريته، يسرون دعوة الكفر في دعوة الإسلام، كالذي يسر حسواً في ارتغاء[1] ولو استقام لهم الملك بعبادة الأوثان لقالوا ما حكى الله تعالى عن أسلافهم في محكم القرآن: ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[الزخرف:٢٢]، فيا أهل العقول السليمة، ومن لنا بأهل العقول السليمة؟!! كيف يدعو إلى دين محمد ﷺ من حصد ذريته بالسيوف، وجرعهم كأس الحتوف؛ فأيتموا الأولاد، وأرملوا الأزواج، وشتتوا الجمع، وسلوا سيف العقوق، وجحدوا واجب الحقوق، فحثوا في وجه الصنيع، وكفروا النعمة، وقابلوها بأقبح مكافأته، فوايم الله لو أن محمداً ﷺ من بعض الأعاجم ولم يكن داعياً إلى الله، وهادياً إلى الرشد وقد نالوا به رغد العيش، وتخلصوا من نكد الكد والتكسب، لكان أقل حقوقه عليهم أن يحفظوه في ذريته، فإنا لله وإنا إليه راجعون، لقد تعدوا الطور، وارتكبوا الجور، وصاروا عند الظفر بالقائم من العترة الطاهرة يتكاتبون بالتهاني كأنهم قد ظفروا بطاغية الروم، وسلطان الترك؛ فإن قتلوه تهادوا رأسه في الأطباق، ونصبوه على رؤوس الرماح، وطافوا به الأسواق، ورفعوه على منابر المساجد، وامتلأوا سروراً بما لو كان رسول الله ﷺ حياً لدمعت له عينه، وحزن قلبه، وظهرت كآبته، وعُزي بمصابه كما يعزى الوالد بولده؛ فيا لها غفلة سببها الخذلان لمن لم يقبل عن الله سبحانه موعظته، ولم يهتد بهديه، ولا تفكر في نجاة نفسه، هذا وإن كانوا لم يبلغوا بقتلهم ما راموه من استئصال شأفتهم؛ لأن مثلهم كما قال الله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[الفتح:٢٩]، فغاظهم فحصدوا فبذ الحاصدين حصده، وقدروا فقبضوا ففاض من قبضهم سنبله، وما ظنك بشجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، كلما وقعت فيها سيوف الظالمين ازدادت نمواً وسمواً، وشرفاً وعلوا؛ ثم هاهي الآن أعني العترة الطاهرة عليهم السلام مع ذلك قد صارت في

---

(١) يسر حسواً في ارتغاء ويرمي بأمثال القطا فؤاده

الارتغاء: شرب الرغوة. قال أبو زيد والأصمعي: أصله الرجلُ يؤتى باللبن؛ فيُظهر أنه يريد الرغوة خاصة ولا يريد غيرها فيشربها وهو في ذلك ينال من اللبن، يضرب لمن يريك أنه يعينك وإنما يجر النفع إلى نفسه، قال الكميت:

فإني قد رأيت لكم صدوداً ... وتحساء بعلة مرتغينا

(مجمع الأمثال ٢/ ٤١٧).

خاصة أنفسها جنوداً مجندة، وجموعاً متكاثرة وقد كانت تعتب تخلف الناس عن قائمها، والداعي إلى الله منها؛ فما عذرها هي في نفسها

لا تنـــه عـــن خلـــق وتـــأتي مثلـــه
عـــار عليـــك إذا فعلـــت عظـــيم

مع أنها قد عاينت الروم تجتمع على طاغيتها، والترك على سلطانها، والحبش وجميع أجناس الأمم على ملوكها، فما العذر لهذه الشجرة الطيبة في تخلفها عن إمامها بعد أن ظهرت دلائله، وانقطع سائله، وصدقت مخايله، ورجعت بقيامه الخلافة إلى أربابها، والإمامة إلى نصابها من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة، أهل العدل والإنصاف، والتوفيق والألطاف.

هذا وقد أصبحت بنعمة الله عليك نظاماً لفريدها، وجمعاً لوحيدها، وشمساً طالعة في سماء مجدها، وغرةً شادخة في وجه شرفها، وصمصامة قاطعة لأعناق أضدادها، وفئة مانعة لدهماء أودادها، ولم ندع إلى أمر تنكره فتجعل عذرك في تخلفك على إنكاره، ولا حالاً تجهله فيكون السبب في مشاحتك فيه جهله، ولا أنت بمأفون الرأي ولا مخشي الخطل، وكيف وقد قررت عن ذكاء، وشأوت السوابق إلى الغاية القصوى، ونشأت على تشييد معالم الدين، وقمع شياطين المعتدين، حتى طارت لك بذلك لسان صدقٍ في العالمين، وذكرت أحسن ذكرٍ في البادين والحاضرين؛ فحمدنا الله على ذلك حمداً يوازي نعمه علينا فيك، وإحسانه إلينا بك، وسألناه لك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد لتقوم قناة الدين بنفاذ حزمك، وتخمد نار المبطلين بوابل عزمك، وتدور رحى الإسلام على قطب تدبيرك، وتستقل أبنية الإيمان بصخر عنايتك، ويصبح جمع الفسق قضيضاً، وعظمه مهيضاً، وجناحه رضيضاً، وطرفه غضيضا؛ فتنال بذلك ثواب الدنيا والآخرة، وينجو بك الناجون فتحوز أجر نجاتهم، ويتسم العلماء المسلمون بأحسن سماتهم.

وأما ما تخوفت من العواقب فذلك ما لا شك فيه والعذر فيه واضح لو لم يكن لنا إلا هذه الدار، فأما وبين أيدينا دار الآخرة التي هي دار الحيوان ودار القرار، وجنة ونار، لا خير في شيء من شرها، ولا شر في شيء من خيرها؛ فها تلك التي يخشى عواقب شرها، ويرجى نوافل خيرها؛ فأما الدنيا التي لا دوام

لخيرها ولا بقاء لشرها فإنما نخاف العواقب على المتخلفين عن طاعة أولي الأمر فيها، قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء:٥٩]، فأولوا الأمر منا هم الأئمة من آل محمد عليه وعليهم أفضل السلام قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[النساء:٨٣]، وأولوا الأمر أيضاً هم آل محمد عليه وعليهم أفضل السلام فقد علمت بهذا أيدك الله أن مخالفة أمر أئمة الحق تورد صاحبها في المعاطب، وتنهيه إلى شر العواقب؛ فيخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين؛ لأن الدنيا بلا شك راحلة، والآخرة لا بد واصلة؛ فكأنَّ ما نحن فيه من الدنيا لم يكن، وما نصير إليه من الآخرة لم يزل، فرحم الله امرءاً نظر لنفسه، ومهد لرمسه[1]، ما دام رسنه[2] مرخى، وحبله على غاربه ملقى.

واعلم أيدك الله أن طالب الآخرة على إحدى الحسنيين: إما الفتح فخير الدنيا إلى خير الآخرة، وإما الشهادة فما عند الله خير للأبرار، ولن يغني عن العبد من عذاب الله الأهل والمال، كما قال تعالى لنبيه عليه وعلى آله السلام فيمن اعتل عن القيام بأمر الله فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة:٢٤]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[الصف:١٤]، فالله الله في نفسك وفي قومك فإن أوزارهم قد صارت تجتمع إلى عنقك، وثوابهم قد صار مكتوباً في صحيفة عملك، لكونك راعياً لهم وهم رعيتك؛ فإن أطعت كانت طاعتهم تبعاً لطاعتك، وإن عصيت -وحاشاك عن ذلك- كانت معصيتهم فرعاً على معصيتك.

واعلم أسعدك الله أنك أسعد رئيس إن قدت قومك إلى سبيل النجاة، ورحضت عنهم درن

---

(١) رمسه: قبره.

(٢) رسنه: حبله، وهو أي زمام على الأنف.

الأوزار لفتحك لهم باب الجهاد، الذي يَحُتُّ الذنوب والأوزار كما تُحَت الأوراق. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لوقفة الرجل في الصف في سبيل الله تعدل عبادة ستين سنة، يصوم نهاره ولا يفطر، ويقوم ليله فلا يفتر»، وفي الحديث: «ما خفقت راية حق على رأس رجل مسلم فطعمته النار، وما اغبرت قدما عبد مؤمن في سبيل الله فدخل النار»، و«عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين أمست ساهرة في سبيل الله»؛ فانظر أين أصبحت، وأي جواب أعددت لربك وأبيك وجدك صلوات الله عليهما إذا جمع الله الأولين والآخرين، وجيء بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فسئلت عن حقنا وهو القيام والنصرة، وسئلنا عن واجب حقك وهو البيان والتذكرة، فقلنا: قد أدينا ما علينا، ودعوناه أحسن دعاء، ووعظناه أبلغ موعظة، واستيقن الحق وعلمته نفسه، وعليه نشأ وإليه دعا، وقلت: شغلني عن الإمام المال والولد، والطارف والتلد[1]، وحب الوطن والبلد؛ فهل رأيت ذلك دام لك أو دمت له، أفليس هذه أموراً يفارقها ابن آدم كرها عند ازعاج النداء، قال الله عز من قائل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[الصف:١٠-١٣]، فهل مطلب –رحمك الله– أفضل من النجاة من العذاب الأليم، وحصول العيش السليم، في الجنات المعروشات، التي جرت تحتها الأنهار، في مسابل الورق والنضار، وأغشى نورها الأبصار، مع المساكن الطيبة؛ وهل بعد طيبها طيب، لا يزور سكانها طبيب، ولا في سكنها حريب، ولا يمس أهلها فيها نصب، ولا يمسهم فيها لغوب؛ نعم وهذا الفوز العظيم مع أخرى تحبونها ويد في الدنيا؛ لأن القلوب تميل إلى حبها، وتأنس بقربها، نصر من الله وفتح قريب وذلك النصر والفتح إما بالظهور على الأعداء، وإما بسكون الجنات العلى.

واعلم أيدك الله بتوفيقه وتسديده، ولا أخلاك من عونه وتأييده، أنك جعجعت بإمامك وابن أبيك،

---

(١) الطارف: الحديث من المال، والتلد: القديم من المال. والطارف أيضاً: الصاحب الممل، والتلد بالتحريك: من ولد بالعجم، فحمل صغيراً فنبت ببلاد الإسلام.

وشجة رحمك، وغصن شجرتك منذ أربع سنين، وهو من يوم وقعت هذه الدعوة. فما أَمَّنك أن تكون مت أو مات في هذه المدة؛ فكل ذلك جائز ولم تبسط في نصره يدا ولا لساناً، فقد عوقته في أرض اليمن هذه المدة وهو مع ذلك راضٍ عنك، مثنٍ عليك في الملأ بما أنت أهله من طيب النشأة وحسن السيرة، وعلو الهمة، داع لك بما يرجو وصوله إليه من كمال النعمة، وإحماد العاقبة، يتقرب الناس إليه بمدحك، والثناء عليك لما علموا من حسن ثنائه فيك، وطيب ذكره لك.

واعلم أنك لو أطلقت إليه ثلاثمائة فارس من قومه لأحكم بهم أمر اليمن مع من ينضاف إليهم من جهته في عامٍ واحد، وهذا أمر يصدقه من شاهد الحال، ولم ينطق بلسان المحال؛ لأن هذه العدة مع الخيل الرابطة التي معه من الشرف والأجناد كانت تحكم له أمر الخيل التي في بلاده التي قد ملكها، وكان الجميع يقرب من الألف الفارس مع ألوف مؤلفة من الرجل الذين ينهضون لنهوضه من غير أجر إلا طلب الجهاد، والتقرب إلى رب العباد، وإلى رسول الله ﷺ وخوفاً مما ورد به الوعيد، في ترك إجابته؛ وذلك ما رويناه عن النبي ﷺ : «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم»، وهذا وعيد عظيم، لا ينام عليه رجل حليم؛

فخذ بما سمعت منه أو دع
إنك إن يُصرَع أخوك تصرع

واعلم أنه لم يبق لك عذر في النصرة لنا في دين ولا دنيا، أما الدنيا فإنه قد ظهر على ألسن الناس في بلداننا هذه أنك قدت المقانب، وكتَّبت الكتائب في حق حرمة من آل أبي طالب، ظلمت شيئاً تافها، وها نحن قد ظلمنا حقنا وغصبنا أمرنا؛ فانت قادر على النصرة غير عاجز عن المعونة؛ فهذا في الدنيا لو لم يخطر الدين بنفوسنا، وأما أمر الدين؛ فإمام سابق من قومك يدعوك، قد أجمع على إمامته علماء العترة، ودهماء الأمة، وبيدك أعنة الخيل، وأنت مطاع في العشيرة؛ فهذه الدنيا قد أعطتك مقاليدها، والآخرة قد ملكتك زمامها، وأسعد الناس من حاز شرف الدنيا والآخرة، وقد صرت في حال يغبط من بلغها وهي أنك أدركت إمام الحق الذي سعد من لحقه وأطاعه، وشقي من حرم طاعته ولم يدرك زمانه، قال رسول الله ﷺ: «من مات وليس بإمام جماعة ولا لإمام

جماعة في عنقه طاعة فليمت ميتة جاهلية»، ولما كانت النصيحة للأقربين خاصة، وللأبعدين عامة وهي من أصول الدين بل هي رأس الدين، قال رسول الله ﷺ:«تهادوا النصائح ولا تهادوا الأطباق»، وقال عليه وعلى آله السلام: «ألا إن الدين النصيحة قالها ثلاثاً، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» [1]، فأوجب إيجاباً لازما، وعقد به عقداً حازما؛ وأنت شيخ عشيرتنا، وكبير جماعتنا، وقد قال تعالى لأبينا ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:٢١٤]، فجعل للقرابة حظاً في التأكيد والاختصاص وإن كان أرسل إلى الناس كافة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[سبا:٢٨]، وأنت وقومك عشيرتنا الأقربون، وأسرتنا الأغلبون، نطول بطولكم، ونعلوا بعلوكم، فلذلك لزمنا فرض تخصيصهم بالدعاء دون الخاصة ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[الأحقاف:٣١، ٣٢]، فانظر في هذا الأمر وشمر وبادر، ولا تقصر، واسمُ إلى التي هي أرفع، وسارع إلى التي هي أنفع، وكن حيث يرجو فيك الصالحون جامعاً بين الدنيا والدين، فالدنيا شرٌ جُلّها، والدين على منهاجه.

واعلم أن بين الحلال والحرام عقودا شرعية يستبعد الجاهلون تحليلها إن وقعت، وتحريمها إن رفعت وذلك ما لا يستبعده العالمون، قال الله تعالى حاكياً عن المشركين:﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[البقرة:٢٧٥]، إلى غير ذلك من الأمثلة، وقد صرت بلا بد متصرفاً تصرفاً تضطر فيه إلى سفك الدماء، وخراب المنازل والقرى، وقطع الأشجار، وفساد الثمار، وهذا يقبح على وجه ويحسن على وجه آخر؛ فيقبح إن فعلته بنيتك لنفسك؛ لأنه لا ولاية لك من الله سبحانه على الأمة ولو توخيت العدل، وقصدت إقامة الحق؛ ويحسن إن فعلته بنية إمامك؛ لأن له ولاية عامة على الأمة، وإطلاق يد حكما على البرية، وطاعة واجبة على الكافة، ويدا مبسوطة للعقوبة؛ وقد كنا قدمنا إليك مثالاً نعيده هاهنا تذكرة كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ

(١) الحديث بلفظ: «الدين النصيحة ...إلخ» في صحيح البخاري (١: ٢٢) وفي سنن الترمذي برقم (١٩٢٦)، وفي سنن النسائي (٧: ١٥٧)، وفي مسند أحمد بن حنبل (٢: ٢٩٧) وفي غيرها، انظر: (موسوعة أطراف الحديث النبوي ٥/ ٤٤).

الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥]، والمثال ما قطعنا على أن كل عاقل إذا قيل له: إن صدقت أعطيناك درهما، وإن كذبت أعطيناك درهما؛ فإنه لا يختار الكذب على الصدق أصلاً، وقد قلنا لك: إن اعتقدت الإمامة وتصرفت في الأعمال عن أمر إمامك كنت مطيعاً لله سبحانه، عادلاً في الأخذ والقتل والسلب والخراب وكان عملك لله رضى وللمسلمين وللإسلام صلاح، وإن لم تعتقد الإمامة أو اعتقدت ولم تمسك بالطاعة ولم تمتثل الأمر كنت فيما تعمل متعدياً عاصياً لله سبحانه، وإن أردت الصلاح وقصدت إقامة الحق لعدم الولاية فتأمل هذه النكتة أشد التأمل، واستعن على ذلك بأهل الأحلام والحجى من أصحابك، وأهل البصيرة والمعرفة من أقطاب حاشيتك وورواد غاشيتك.

واعلم أنك إن ذللت لله سبحانه في الدنيا أعزك في الآخرة عزاً لا ذل بعده، وإن تعززت عليه في الدنيا أذلّك في الآخرة ذلاً لا عز بعده أبداً، والآخرة أطول من الدنيا مدة، وأعظم في الراحة راحة وفي الشدة شدة، وما خير عز بعده الذل الدائم المقيم، الشديد الأليم، وإذا كنت أن تتواضع لصاحب بغداد ولأهل الشام، وأهل الشام بمنزلة مماليكك بعد العتق؛ بل مماليكك أرفع؛ لأن الصدقة تحرم عليهم تشريفاً لهم من الله وتعظيماً، والصدقة لا تحرم على أولئك، وصاحب بغداد إن سار كباقي هاشم وقرابة العباس رضي الله عنه بالعمومة، فأبو طالب بعباس وهو أعظم الرجلين دفاعاً عن رسول الله ﷺ ولنا ولك عليه فضل علي عليه السلام سيد الوصيين، وشرف فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين، وأبوة الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة أجمعين، وولادة رسول الله ﷺ سيد الأولين والآخرين، مع طهارة الخلال، وشرف الآل، إلا أن يعتد معتد بالملك الزائل، الذي لا يمنع عدمه من توسط بحبوحة الشرف، ولا يوجب حصوله توفل ذروة المجد، والأمر فيه كما قال أبو فراس بن حمدان في قصيدته الميمية التي أجاب بها ابن سُكَّرة عن قصيدته التي ذم فيها آل النبي عليه السلام وعليهم وفضل عليهم بني العباس بالملك فقال فيها:

لا يطغينّ بني العباس ملكهم
بنو علي مواليهم وإن رغموا

بنو علي رعايا في بلادهم
والأرض تملكها النسوان والخدمُ
أتفخرون عليهم لا أبا لكم
حتى كأن رسول الله جدّكم
فما توازن يوما بينكم شرف
ولا تساوت بكم في موطن قدم
دعوا الفخار لعلامين إن سئلوا
يوم السؤال وعمالين إن علموا
لا يغضبون لغير الله إن غضبوا
ولا يضيعون حق الله إن حكموا
تنشا التلاوة من أبياتهم أبداً
ومن بيوتكم الأوتار والنغم
بئس الجزاء جزيتم في بني حسنٍ
أباهم العلم الهادي وأمهم

هذا وإن كنا نعلم أنك لا تكاتبهم ولا تلاطفهم ولا تواصلهم إلا نظرا منك للبلاد في الأمور التي تعود عليها بالصلاح والسداد، إلا أن الإصلاح لما بينك وبين الله أولى؛ لأن الله تعالى أشد بأساً وأشد تنكيلا، ولا عاصم من أمره، ولا مجير من عذابه، ولا ينفع الفرار منه إلا إليه، والاتكال في مهمات تنزل إلا عليه.

فأما المطامع في هذه الدنيا وطلب عيشها الأدنى فقد علمنا أن ذلك لا يحك عذارك، ولا يطو رداءك.

واعلم أنا من يوم القيام بالدعوة النبوية، الطاهرة العلوية مستظهرين بما يبلغنا من انتظام أمرك، ووفور حالك على عدو الله وعدونا، شاهرين على دهماء الرعايا حسن نيتك في طاعة الله وطاعتنا، فقد صار من بجميع ناحيتنا فاخرين بأمرك، فارحين بنصرك، داعين لك بما يدعى به للدعاة إلى الله من هذه العترة الطاهرة، فالله الله في حفظ مكانك من الله ومن الصالحين.

واعلم أن الجنة لا تنال إلا بحمل النفوس على المكاره بالقول والعمل والاعتقاد.

واعلم أن أمر العدو الذي تحاذره وإن كان كبيراً في نفسه لكثرة ماله ورجاله فهو عندنا تالله وحده لا شريك له دون ما تركب في صدور الناس وظهر على ألسنتهم؛ لأنا قد علمنا خبره، وخضنا بحره، وهزمه الله على أيدينا هو وأجناده مرة بعد مرة، ولم يسلم من الأسر من أمراء أجناده منا إلا القليل، فكسرناهم في مقام بعد مقام، وقيام بعد قيام، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، فغوائرنا عليهم كل يوم مشنونة، وسيوفنا لضرب أعناقهم مسنونة، خيلنا تصل في البلاد النجدية إلى قريب من باب صنعاء، إذ لم يبق معهم في البلاد النجدية إلا صنعاء والقليل من أعمالها وسائر البلاد في أيدينا مقبوضة، نافذة فيها أحكامنا، ماضية أوامرنا، وما بقي حربهم لنا في صنعاء إلا خوفا على بلاد تهامة؛ لأن خرج صنعاء قد صار أكثر من دخلها، فلم يغن ذلك عنهم شيئاً بل توجهت الجنود المنصورة إلى ناحية تهامة، فعطلت ربوعها، وفرقت جموعها، وخربت زروعها، وجعلتها عبرة للناظرين كأن لم تغن بالأمس، ولم يدعوا لنا ما في أيدينا، ولا يعضوا على القوارع التي نزلت بهم من قبلنا رحمة لنا ولا شفقة علينا

ولم تفترق عنه الأسنة رحمة

ولا ترك الشام الأعادي له حبا

وقد تحقق لك بما حققنا أن العدة التي ذكرنا لو انضافت إلى من قد صار تحت أيدينا لأحكمنا بها أمر اليمن في أقرب مدة وكان الكلام لا يبقى إلا فيما سواه من البلدان، وسينجز الله لنبيه وعده في عترته من أن أمرهم يعم البلاد عموم الليل، فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لو لم يبق من عمر الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يقوم منا رجل من أهل البيت يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»، وكل قائم من أهل البيت يرجو أن يكون نجاز هذا الأمر على يديه، فقد قال الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام:

فلئن تؤخرني المنية فينة

إن المنية قد تغول وتصرع

فعـــــلي أن أوطـــــي الـــــسنابك عنــــوة

مـــــدن العـــــراق ومــــن بهـــــا يترفـــــع

فلا تيأس أن يجعلك الله الرجل الذي يكون نصر أهل البيت وظهور أمرهم على يديه، ولما تواترت المطالعات واستبهم جوابها، وانغلق بابها، لم نر إلا تجريد الفقيه الأجل الفاضل المكين، شهاب الدين، لسان الموحدين أبي القاسم بن الحسين بن شبيب السليماني -تولى الله توفيقه- لتحقيق ما نحن عليه شفاها، وينهي إلينا علم ما أنتم عليه يقيناً، وجعلناه رائداً نرجو إيابه بما يسر الأولياء، ويكبت الأعداء فإلى صدور هذا الكتاب، وكتب سلخ ربيع الأول من شهور سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بمحروسة صعدة حماها الله تعالى بعمارة المشاهد المقدسة وما وصلنا له نبأ، ولعل له عذر خير إن شاء الله، وقد صرنا ننتظر جواب هذا الكتاب انتظار أهلة الأعياد لرجائنا أن يأتي إن شاء الله بما يطابق المراد؛ وأحب الأشياء إلينا أن يكون جوابه:

خميـــــساً لهامـــــاً أرجوانـــــاً كأنـــــه

قمـــــيصٌ محـــــوك مـــــن قنـــــا وجيـــــاد

إذا زار أرضـــــاً زارت الـــــسمر والظبـــــا

بهـــــا كـــــل رأس أصـــــيدٍ وفـــــؤاد

كـــــأن هواديـــــه وجمـــــع جيـــــاده

عـــــلى ســـــنن الـــــصحراء رجـــــل جـــــراد

﴿إِنَّ فِى هَذَا لَبَلاَغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾[الأنبياء:١٠٦]، والله الهادي لما هو أهدى، والموفق لما يؤدي إلى الصلاح في الدين والدنيا، والحمد لله رب العالمين.

[كتابه عليه السلام من حجة إلى الأمير قتادة]

وكتب إليه[1] عليه السلام كتاباً من حجة مع تراكم الأشغال في جمادى الأولى من سنة ست وتسعين وخمسمائة:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

سلام عليك أيها الأمير الكبير الأثير الموفق، فإنا نحمد إليك الله الذي عرفنا معالم دينه، وجعلنا وإياك من ذرية نبيه ﷺ وهدانا وإياك إلى سبيل منهاجه، أما بعد:

فإن الدنيا دار غرور لمن اغتر بها، ودار نصح لمن استنصحها، فكم واثق بها قد خدعته، وساكن إليها قد صرعته، وذي تاج فيها قد أكبته لليدين والفم، سلطانها دول، وصفوها كدر، وحيها تعرض موت، وصحيحها تعرض سقم؛ فنوصيك وأنفسنا بتقوى الله العظيم الذي يرى ما أظهرنا، ويعلم ما أبطنا، ويجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى؛ وإنا قد كنا وإياك قليلاً فكثرنا الله، وأذلاء فأعزنا، ومستضعفين في الأرض فقوانا ومكننا لغير حق واجب وجب لنا عليه، ولا يد سبقت منا إليه، بل منة منه علينا، ونعمة أسداها إلينا، ذلك ﴿مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[النمل:٤٠].

وقد بلغنا كتاب من الموسم المبارك وما حققت فيها من الأعلام، ولا شك فيما ذكرت -أيدك الله بتوفيقه- غير أن الله سبحانه يقول: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[الحشر:٨]، ويا لله

---

(١) إلى الأمير قتادة بن إدريس.

ما أفقرهم إلا ما حكى أصدق القائلين من ابتغائهم فضل الله ورضوانه، وهجرتهم في سبيل الله، وما الأمر بحمد الله بمتساوٍ، بل قد رفع الله سبحانه معظم المشقة عنا، ونحن نعلم أنك إذا خرجت بجيشك انتقلت إلى ملك وسيع، وصيت رفيع، وعز منيع، ونعشة دين آبائك الطاهرين، الذين شادوا منار الدين، وأحيوا سنن المرسلين، سلام الله عليهم أجمعين، وارتجعت ضالتك المفقودة، وشدت قواعد مجد آبائك المهدودة، ونقمت ثأرك المطلوب، وسننت غرار سيفك المفلول؛ فقد طال ما تداول أمركم، الذي جعل الله لكم العبيد والخصيان، والنساء والصبيان؛ وإنما أخذوه باسمنا أولاً وآخراً، ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾[الفرقان:٤]؛ فكيف تسمح نفوسكم بأمر لو كان ملكا لحسن منكم بذل المهج فيه، وتلف الأرواح دونه، وأنتم لب اللباب، وقد فزتم برباطة القلوب وشرف النصاب، وذكاء الألباب، وطهارة الثياب؛ وإن لم يكن الأمر فيكم عامة ففيكم أكثره ومستقره، وإليكم مرجعه ومرده، وأنتم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الوحي، ومختلف الملائكة، والحكمة تربية حجوركم، والكتاب حليف صدوركم، والسنة ملاك أموركم، وفيكم علم الله سبق، وأنتم شهداؤه على عباده، وأمناؤه في بلاده، وما نال القوم ما نالوا إلا بالانتساب إلى أدنى سبب من أسبابكم، واحد قالوا: نطق القرآن بأنه صاحبه في الغار، وثانٍ ناصره على الكفار، وثالث صهره وقرينه.

ولما تقطعت الوصل بينه وبين معاوية وأمه الهاوية قالوا: خال المؤمنين لمكان أخته من رسول الله ﷺ فكيف بكم نالكم الخيرات وأنتم لحمه ودمه، وشعره وبشره، وعترته وذريته، وأهل الطعن الشزر، والضرب الهبر، واحدكم يهزم بأسه الصف، ويقوم مقام الألف، ولا يولي يوم الزحف، يصل السيف بالخطى، ويناطح شفار الظبا[1] على حمية أو عصبية، أو منع جار، أو حماية ذمار؛ فكيف بكم وهذه رايتكم منصوبة، وقباب عزكم مضروبة، وإمامكم مشهور، ومجدكم معمور، قد قهر جنود الظالمين بنصر ربه، فصاروا حيارى لا يهتدون يمينا ولا يسارا!! ملأ الله قلوبهم رعبا، فصاروا يرون البعد قربا.

هذه صنعاء أبوابها عليهم موصدة، وعماد الخوف عليهم ممددة؛ وهذه زبيد ليس فوق ما هي

---

(١) شفار الظبا: حد السيوف.

فيه من الرعب من مزيد، قد ضاقت بأهلها من أقطارها، ونبت بهم عن قرارها؛ وهذه بوادي تهامة، أجفلت إجفال النعامة؛ فأما قراها فلله عينا من يراها﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۞ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾[الطلاق: ٨، ٩]، فهذا المطلب الأول وهو أعظم المطلبين أمرا، وأعلاهما ذكرا، وأكبرهما أجرا، وأسناهما فخرا؛ وأما المطلب الآخر الأسنى، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[النساء: ٩٥]، فأن تواتر الإمداد بالأموال والرجال في الحال بعد الحال، حتى تستحكم الأمور، ويصلح الجمهور؛ لا ثالث لهذين المطلبين؛ فمثلك ممن له شرف أصلك، وكمال عقلك، واشتهار فضلك؛ ونحن نسأل الله أن يوفقنا وإياك لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، وأن يهدينا لرشدنا، ويعرفنا سبيل نجاتنا، وأن يعيننا على أنفسنا الأمارة بالسوء؛ فإن جهادها الجهاد الأكبر كذلك جاء في الأثر، عن خير البشر، محمد ﷺ وقد جاءتنا بشارات قبل هذه المطالعة بإقبالك إلينا في الجنود المتظاهرة، والعُدد الوافرة، والجموع المتكاثرة، فارتجت لذلك البلاد، واضطرب أهل الفساد، وارتاع أرباب العناد.

وأما ما كان بلغ إلينا من الأمر لمن يصلح لتقويم البلاد، وإرشاد باغي الرشاد، فما منع من ذلك إلا قلة من يصلح لمثل ذلك الشأن ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣]، فالله المستعان.

وقد بلغنا -أبقاك الله- ما خولك الحكيم من الاستظهار، وحسن الآثار، وأنت أهل لذلك، فالله تعالى يتمه عليك بإحسان، ويمدك بمواد الامتنان؛ فعليك بارتباط ذلك بلين الجانب للأقارب والأجانب، والصبر علي أذية الصاحب، لأمر ما يسود من يسود، وعليك بالانقياد لأهل الديانة والعلم فإنهم أعوانك على الحق، وأدلتك على الرشد وإن كان ذلك هو المأثور عندك، والمرجو فيك؛ وكن بينهم كأحدهم، وبين أهل الدنيا على حالة توجب الجلالة، وتكسب الهيبة؛ وإياك والغضب ودوامه فإن ذلك أخلاق السباع، وقصوره فإن ذلك من أخلاق الصبيان، فاتخذ بين ذلك سبيلا؛ وقد علمت أن الآن قد أطلق الله سبحانه سلاسل الاعتقال، فلتشكره على ذلك، واحمد الله حيث جعل أحكامك شرعية، وأفعالك نبوية، وسيرتك إمامية، ولك بذلك بلوغ الأغراض النبيلة، والمراتب الجليلة؛ وقد علمنا ما بينك وبين عشيرتك من الحروب والحوادث، والقدرة تذهب الحفيظة، ثم قد انحسم الشر، وظهر النصر؛ والمراد منك حسن العودة، وكرم

الجودة، ولطف الرفق، ولين الجانب حتى يظهر ذلك للأباعد والأقارب، فإن ذلك مما يكبت حسادك، ويصمي أضدادك وأنت أهل العفو ومستحقه، وقد وصل إلينا من وصل من جهتك فحبب إلى الباقين ممن يرى وصوله صوابا الوصول بما يراه من الصواب، ولا تخلنا من المطالعة في جميع أوقات الإمكان، والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته.

[كتابه عليه السلام إلى خولان في أمر محمد بن نشوان]

وكتب عليه السلام إلى خولان بحيدان في أمر محمد بن نشوان وقد عزل نفسه من الولاية وخرج من الطاعة[1]:

---

(١) ورد الكتاب في السيرة المنصورية: قال صاحب السيرة: وأتى كتاب من القاضي علي بن نشوان من القد اليماني [القد موضع قرب حيدان] وبلاد خولان يذكر فيه أنه وصلهم شعر من جهة اليمن لم يذكر صاحبه ولا عني اسمه يهجو فيه الإمام عليه السلام وشيخي آل الرسول السيدين الأميرين: شمس الدين وبدره يحيى ومحمداً ابني أحمد بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليه السلام وأن الشعر أنشد في البلاد عندهم تناقلته الألسن، وغلب الظن أنه من جهة القضاة، وذكر أنه أجاب عنه بشعر وأمر به إلى الإمام عليه السلام ثم لم يمض إلا أيام يسيرة حتى ظهر منه الشقاق، ونجم النفاق. وذلك أن القاضي محمد بن نشوان كان قد طلب الولاية من الإمام عليه السلام عقيب القيام والدعوة، فولاه على الكتاب والسنة، وجعل إليه أمر القضاء والحكم في بلاد خولان عامة في تلك الجهة، فأمضى الأحكام عن أمره عليه السلام وقبض الحقوق الواجبة من كل جهة، وتصرف إخوته معه في البلاد، وملأ كل منهم يديه وتمولوا أموال الله تعالى، واشتروا الأطيان لأنفسهم، وكانوا يأتون في كل سنة بشيء يسير ويعتذرون بأن خولان قوم طغام لا يؤدون واجباً، والظاهر منهم أن الأكثر والأعم منهم لا يدع واجباً عليه، فيقبل الإمام عليه السلام منهم ما جاءوا به، ويحملهم على السلامة ويحسن فيهم الظن، ويعاتبه بعض الأصحاب في أمرهم ويذكر له ما كان عليه والدهم من بغضة أهل البيت عليهم السلام وهجوهم بأشعار وادعائه للإمامة فلا يقبل منهم ويحملهم على ما ظهر منهم من الطاعة والمحبة، وعلم أن أحدهم لا يسد مسدتهم فرأى إقرارهم والإغضاء عنهم لما توخاه من المصلحة.

ولما انقادت خولان ونفرت أحكامهم منهم أرادوا أن يكون الأمر لهم، ولا يبقى للإمام عليه السلام تصرف في جهتهم، فقام محمد بن نشوان في سوق من أسواق خولان فشرح عليهم، وتكلم في أمر الإمام عليه السلام وعزل نفسه عن الولاية وأظهر التوبة والتعفف عن ذلك، واجتهد في تنفير خولان وبعدهم عن طاعة الإمام، وباين وناصب، وجعل عذره في ذلك ما بلغ إليه من أن الولاة بالظاهر قد أطلقت أيديهم في أموال الناس يأخذون منها ما يشاؤون، وأن المسلمين والمساكين ممنوعون من أموال الله، وأن الإمام عليه السلام ولّى هناك رجلاً باطنياً وأسند ذلك إلى ثقة له يأتيه بهذه الأخبار وغيرها مفصلة من جهة الظاهر وغيره، واختلفت خولان بينها، فمنهم من مال إليه واغتر بغروره لحق الجيرة وحلوله بين أظهرهم، ومنهم من استقام على طاعة الإمام عليه السلام والغالب على الكل طاعته ومحبته، فأنشأ إليهم كتاباً عاماً نسخته.
السيرة المنصورية ١٩٣-١٩٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وبه نستعين[1]

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ذا القدرة والحول، والعزة والطول، العلي العظيم، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد؛ أما بعد:

يا معاشر[2] المسلمين، فإن الله سبحانه خلقكم لطاعته، ونهاكم عن معصيته، وأسبغ عليكم نعمه، وأجزل فيكم عوارفه وقسمه، لم يتكثر[3] بكم من قلة، ولا تعزز من ذلة، ولا استأنس من وحشة، نصب لكم الأعلام، وبين[4] الأحكام، وأوضح شرائع الإسلام، وهدى إلى دار السلام، وفرق بين الحلال والحرام برسول أرسله، وبرهان أنزله، وقرآن فصله، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال:٤٢]؛ فلما بلغ الرسالة، وأوضح الدلالة، وكشف الجهالة، قبضه الله إليه وقد شكر سعيه، ورضي عمله صلى الله وملائكته عليه وعلى الطيبين من آله وعليهم رحمة الله وبركاته؛ فأوصى بالخلافة إلى شقيقه في المرحمة[5]، وشريكه في الملحمة، ووارث حكمه[6]، وباب مدينة علمه، ونص بالإمامة على ولديه النجيبين الكريمين الحسيبين[7] أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين -سلام الله عليهما حيين وميتين، ومبعوثين ومثابين- نصاً جليا، وكان بهما وبأبيهما[8] وأمهما حفيا، جلّلهم كساءً فدكياً فقال ﷺ: «اللهم إن هؤلاء عترتي أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالت أم سلمة رحمة الله عليها: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فدفع في صدري وقال: مكانك، فإنك على خير»[9]، ثم صرح

(١) في السيرة المنصورية: وصلى الله على محمد وآله.

(٢) في السيرة: يا معشر.

(٣) في السيرة: يكثر.

(٤) في السيرة: وسن.

(٥) في السيرة: الرحمة.

(٦) في السيرة: وارث حلمه حكمه.

(٧) في السيرة: الحسينيين، وهو خطأ.

(٨) في السيرة: يأتيهما، وهو خطأ.

(٩) حديث الكساء، حديث مشهور، وهو أحد الأحاديث التي أوردتها مصادر السنة النبوية، أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في مناقب أمير المؤمنين برقم (٩٢) عن عمر بن أبي سلمة، وكذلك الطبراني برقم (٨٢٩٥) ج٩ طبعة بغداد من المعجم الكبير وقال في تعليق =

بوجوب ولائهم[1]، وكفر أعدائهم فقال سلام الله عليه وعلى آله: «أنا سلم لمن سالمكم، وحـرب لمن حاربكم»، ومن كان رسول الله ﷺ حربه فقد برئ منه ربه، وأوبقه ذنبه؛ ومثلهم بسفينة نـوح العاصمة، وجعل مخالفتهم المهلكة القاصمة، فقال فيما رويناه[2] عنه صلوات الله عليـه وعـلى آلـه الطيبين صلاة دائمة إلى يوم الدين: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلـف عنها هلك»، وروينا عن أبينا علي بن أبي طالب سلام الله عليه وعلى آلـه المنتجبـين[3] أنـه قـال في بعض مقالاته التي احتج بها على الناصبين: (أيها الناس، إن العلم الذي أنزله الله على الأنبيـاء مـن قبلكم في عترة نبيكم، فأين يتاه بكم عن أمر تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة، هـؤلاء مثلهـا فيكم، وهم كالكهف لأصحاب الكهف، وهم باب السلم فادخلوا في السـلم كافـة، وهـم بـاب حطة من دخله غفر له، خذوا عني عن خـاتم المرسـلين[4] حجـة مـن ذي حجـة قالهـا في حجـة الوداع: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا، كتاب الله وعترتي أهـل بيتـي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، حكماً ماضياً[5]، وقضاءً نافذاً، فـما ظنكم -رحمكم الله- في بيت عَمَره التنـزيل، وخدمـه جبريـل، وذريـة درجـت بـين التحـريم والتحليل، والتأويل والتنـزيل، أعلام حجى، وأقمار دجى، وغيوث عطاء، وسيوف لقاء، ورماح وغى، دعاة إلى الله سبحانه في كل فترة، وناعشوا هذه الأمة مـن كـل عثـرة[6]، ينـص[7] أحـدهم جبينه للخميس العرمرم فيثنيه والحسام مثلم، يلف الكتيبة بالكتيبة، ويفجـع بالحبيـب حبيبـه، إن كانت له لم يبطر فرحاً، وإن كانت عليه لم يبخع[8] نفسه ترحاً، يشهد لهم بالثبات عـذب الألويـة،

الكتاب: ورواه الترمذي في الحديث ٣٢٥٨،٣٨٧٥ من سننه، وابن جرير في تفسيره ٢/ ٨، وهو حديث حسن، ورواه الحافظ الحسكاني في شواهد التنزيل ٢/ ٥٥-٧٩ طبعة أولى كلهم عن عمر بن أبي سلمة، كما أخرجه ابن عساكر برقم (٦٥٠) ترجمة أمير المؤمنين من تأريخ دمشق ٢/ ١٦٣ كلهم عن عائشة ...... وله طرق وشواهد كثيرة يصعب متابعتها.

(١) في السيرة: ولايتهم.

(٢) في السيرة: مما روينا.

(٣) في السيرة: المنجين.

(٤) في السيرة: خذوا عني حجة من خاتم المرسلين.

(٥) في السيرة: نافذاً.

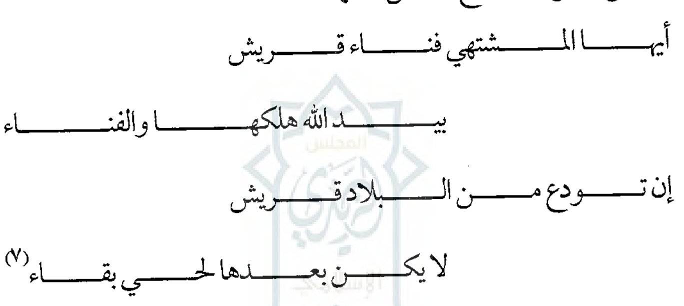
(٦) في السيرة: فترة.

(٧) في السيرة: بيض.

(٨) في السيرة: ينجع ويبخع نفسه: أي يهلكها حسرة وندماً.

وبالحكمة حفول الأندية، هممهم صلاح هذه الأمة وإن كانت عنهم نافرة، وردها إلى الحق وهي إليهم بالمساءات ظافرة، إلا القليل المستثنى من قادم الدهور، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣]، فكونوا رحمكم الله[1] من القليل المستثنى، وابتغوا عند الله سبحانه (الزلفة)[2] والحسنى، وتمسكوا بعترة نبيكم ﷺ وسفينة نجاتكم، ولا يفتننكم الشيطان عنهم، ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾[الأعراف:٢٧].

واعلموا أن من دعاكم إلى الضلالة لا يقول لكم: هلم إلى النار؛ لو قال ذلك لقل أتباعه، وتفرق[3] عنه رعاعه، وإنما يقول لكم: هلم إلى الرحمة والمغفرة؛ يحسن الإساءة[4] بلسانه، ويستشهد لكم عن طائفة من إخوانه؛ فتفكروا -رحمكم الله- وتبصروا، إذا فارقنا يا أهل[5] بيت محمد -صلى الله عليه- منهاج الهدى فمن بقي بعدنا يعصمكم من الضلالة والردى، ويلقى الكتيبة معلما[6]، ويجعل نصر ربه لفتح المدائن سلما.



أيها المشتهي فناء قريش ... بيد الله هلكها والفناء

إن تودع من البلاد قريش ... لا يكن بعدها لحي بقاء[7]

وأحسن القول لمن أوعى القول، وقل من يركب أمواج الهول، قول الرسول الصادق المصدوق ﷺ: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، والنجوم أمان لأهل السماء، فإذا زال أهل بيتي من الأرض أتى أهل الأرض ما يوعدون، وإذا زالت النجوم من السماء أتى أهل السماء ما يوعدون»،

---

(١) في السيرة: يرحمكم الله.

(٢) سقط من السيرة.

(٣) في السيرة: ويفزع.

(٤) في السيرة: الانتباه، وهو خطأ.

(٥) في السيرة: بأهل.

(٦) في السيرة: ملفما، ثم فسرها المحقق بقوله: اللفام: اللثام.

(٧) الشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات كما في تحقيق السيرة.

ولله در[1] الفرزدق في قوله في علي بن الحسين عليهما السلام:

من معشر حبهم دين وبغضهم
كفر وقربهم ملجا[2] ومعتصم
مُقَدَّم بعد ذكر الله ذكرهم
في كل شيء[3] ومختوم به الكلم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
أو قيل: من خير خلق الله؟ قيل: هم

بلغنا أن القضاة [آل نشوان][4] قبلكم عزلوا نفوسهم من الولاية، وتابوا لما بلغهم ما لا أصل له من رواية أهل الغواية، ولم يكن ذلك ظننا[5] بهم، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[الحجرات:١٢]، وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[الحجرات:٦]، وأمر سبحانه بالتثبت[6] في الأمور، والتبصر في الحوادث، ولو قبلنا فيهم[7] كل ما جاءنا عنهم لما اندمل القرح، ولا أمن السرح، ولكنا تحكمنا لقيود

---

(١) در: سقط من الأصل.

(٢) في ديوان الفرزدق: منجى.

ديوان الفرزدق٢/ ١٨٠.

(٣) في ديوان الفرزدق: بدء.

انظر شرح ديوان الفرزدق لإيليا الحاوي جـ٢/ ١٨٠.

(٤) ما بين المعقوفين سقط من الأصل وهو في السيرة.

(٥) في السيرة: ظناً.

(٦) في السيرة: التثبيت.

(٧) في السيرة: قلنا عنهم.

الإيمان، وحسّناً الظن بمن مان، وقلنا: الأصل براءة الذمة، وزوال التهمة بأهل الإسلام، وما أقل عتبنا[1] في الاعتزال، فما بال الأذى الذي ظهر في بلادكم وأنتم أنصار الدولة، وأحباب العترة، بكون[2] الهجو ينشد في بلادكم لأفاضل آل محمد صلوات الله عليه وعليهم ويكرر ويردد وأنتم في منعة إن أردتم الانتصار، ما هذا فعل الأبرار ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٤٠]، فأما الإمامة فقد صحت قبل حضور القضاة أبقاهم الله وقد دخلوا وخرجوا، ومن انعقدت به الإمامة مستقيم، وعوده في نصرة الحق قويم، وهم الصادقون، فكونوا مع الصادقين، ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾[الأنفال:٢١]، إن أحسن الناس فأحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا، للدين أرباب، وللحق نصاب؛ نحن يا أهل بيت محمد ﷺ أربابه، وفينا نصابه، والجنة محرمة على من أبغضنا، ونحن أئمة المسلمين، وقدوة أهل الدين، قال جدنا صلى الله عليه فينا مخاطباً[3] لأمته: «قدموهم ولا تَقَدّموهم، وتعلموا منهم ولا تعلموهم، ولا تخالفوهم فتضلوا، ولا تشتموهم فتكفروا»، فقضى - وهو ﷺ لا يقضي إلا بالحق - على من خالفنا بالضلال، وعلى من شتمنا بالكفر وقال: «من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً. قال جابر بن عبد الله الأنصاري: يا رسول الله، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم؟ (قال: وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»)[4]، فما أعظم الخطب لمن عقله[5]، وأوضح الأمر[6] لمن لم يتستر بالعناد خلله.

بلغنا أنه ظهر في بلادكم أن الإمام ولى رجلاً باطنياً، والإمام لم يقم يطالب الأمة بثأر، وإنما قام يدعو الأبرار والفجار إلى طاعة العزيز الجبار، فكم من ناج قبل قيامه صار بعناده له[7] من

---

(١) في الأصل الذي حققه محقق السيرة المنصورية: غبتنا، ورجح أن تكون رغبتنا.

(٢) في السيرة: يكون.

(٣) مخاطباً: سقط من السيرة.

(٤) سقط من السيرة.

(٥) في السيرة: غفله، وهو خطأ.

(٦) الأمر، سقط من السيرة.

(٧) له، سقط من السيرة.

الهالكين، وكم من هالك صار بطاعته له من الناجين.

والمذكور ممن تاب وأناب، ودعي فأجاب، والتزم أحكام الشريعة[1]، وترك الأفعال الشنيعة، وأكبر مما كان عليه عبادة الأصنام؛ فما من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ إلا من عبدها غيره وغير علي بن أبي طالب سلام الله عليهما وعلى آلهما وهم خير خلق الله، فمن عاب ذلك علينا فليطعن على رسول الله ﷺ بما روينا.

وأما ما روي من الجور في البلاد فذلك ما لا أصل له عند أهل السداد، ويكذب راوي الجدب[2] أغصان الشجر، ومنكر الغيث شآبيب المطر؛ من رأى البلاد وأهلها علم قدر النعمة لقدرة الحق عليهم، وظهور كلمته فيهم، عمرت المزارع والقرى، ورفلوا في أثواب الثراء اللهم إلا أن تنظرهم بعين السخط التي تريك الحسن قبيحا فتلك عين متهمة، وفي البلاد أخيار وأشرار، ولكل قوم دار، قد رضينا براوية الأخيار منا وفينا؛ فأما الأشرار فكراهيتهم للحق تحملهم على كراهة النعمة، واستطالة مدة الرحمة، وقد قال تعالى: ﴿**وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾[المؤمنون:٧٠]، وقال: ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾[يوسف:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ**﴾[الأعراف:١٠٢]، وقد وصلنا من وصل من المشايخ -أبقاهم الله- وحققوا من الجميع ممن خلفهم ما يليق لمثلهم من حسن الاستقامة على منهاج السلامة؛ فالله تعالى يبارك لهم في حسن اختيارهم، وطيب إسرارهم، وموالاة هداتهم من عترة نبيهم ﷺ الذين أوجب سبحانه ودادهم فقال تعالى ربا: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[الشورى:٢٣]، فقيل: يا رسول الله، من قرابتك الذين أمر الله بودادهم؟ قال: «فاطمة وولدها»، وقد أودعنا الجماعة الواصلين من الكلام ما يحققونه لكم، ولا بد لنا إن شاء الله من بعث وال إلى بلادكم ليقيم أمر الله بحسن طاعتكم فيكم [وبكم][3]، (وينفذ أوامر الله بحسن استقامتكم عليكم؛ فكونوا حيث أراد الله سبحانه فيكم وبكم)[4]، وأجيبوا الداعي إلى الخير إذا

---

(١) في السيرة: الأحكام الشرعية، وهو خطأ لما تقتضيه ضرورة السجع.

(٢) في السيرة: الحديث، وهو خطأ.

(٣) زيادة في السيرة.

(٤) ما بين القوسين: سقط من السيرة.

دعاكم، فقد سبقت لكم سوابق في نصرة الحق لم تكن لغيركم؛ فجددوا ما درس، وليسق كل (امرئ)[1] منكم ما غرس، والأعمال بخواتمها، وإنما يجازى العامل بأجر العاملين[2]، ولا تتركوا المعلوم للمظنون، ورِدُوا هذا عذباً فراتا، واتركوا هذا ملحا أجاجا، والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى أهل خولان وقد جاء جوابهم بالطاعة][3]

فعاد جوابهم بالطاعة والتمسك بالأوامر، فكتب إليهم عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى، أما بعد:

فقد بلغنا كتابكم وفهمنا ما ذكرتم فيه من استقامتكم على الطاعة، وانخراطكم في سلك الجماعة وذلك مراد الله منكم[4] ومن جميع المتعبدين أن يتمسكوا بطاعة إمام الهدى من عترة خاتم المرسلين سلام الله عليهم أجمعين.

فأما ما ذكرتم من آل نشوان ونفيتم عنهم من الشك والعدوان، فكان ذلك من أحب شيء إلينا أن ينسب إليهم، ولكن أبت شقاوة الجد وفتنة الاغترار حتى صرحوا بالذم لمن أوجب الله سبحانه عليهم الصلاة عليه في الصلاة[5] لغير حدث كان منه ولا ظلم باليقين ينسب[6] إليه إلا

---

(١) سقط من السيرة.

(٢) في السيرة: العملين.

(٣) نص الكتاب في السيرة المنصورية ص٢٠١ـ٢٠٤.

(٤) في السيرة: فيكم.

(٥) في السيرة: أوجب الله سبحانه عليه الصلاة.

(٦) في السيرة: نسب.

نزوع الطبع الردي إلى سب الأفاضل من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسداً من عند أنفسهم كما فعل أهل الشقاوة من اليهود مع آبائنا من الأنبياء عليهم السلام ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا**﴾[النساء:٥٤]، ففرقوا كتبهم إلى الآفاق ناشرين لما طواه فيما تقدم من خبث نياتهم في إمامكم[١] بتكاثف النفاق، واطلعنا على كتبهم من زادتهم عنده وعند الصالحين من[٢] أمثاله وأتباعه من الله بعداً، فرأينا فيها ما يشبه ما كان قد غفره إقبالهم إلى الله سبحانه وإلينا من خبث اعتقادهم في ولاة الأمر من العترة الطاهرة، والذرية الطيبة سلام الله عليهم ولامنا فيهم من كان يحذرنا منهم (ممن خالفنا)[٣] رأيه في أمرهم، وقلنا: شعبة[٤] من أعواننا وطائفة من إخواننا، ففيم نخفضهم ونرفضهم ونجليهم ونرمضهم، وقد وردت الحرائر والضرائر، وصلحت لنا الظواهر، ولم نكلف بابتلاء السرائر، فدخل العجب إيمانهم، وشاب الهوى أديانهم، فشردوا عن أمر الله سبحانه وأمرنا، وتعنتوا[٥] علينا، وتأولوا آي القرآن والتأويل لنا، فعلموا ظئرهم[٦] الإرضاع، وجنحوا إلى الابتداع ومجانبة الاتباع، فافتتنوا وضلوا، ونابذوا فذلوا، ولو صدقوا الله لكان خيراً لهم، ولئن لم يتداركوا أنفسهم بتوبة نصوح ينصحون بها أنفسهم، ويرضون خالقهم ليكونن شقاقهم عليهم كراغية الصقب[٧] في الأمم الخالية، وليؤخذن أخذة رابية، فلا ترى لهم من باقية، كعادة من سلف ممن جمح في طغيانه، وخالف إمامه في طاعة شيطانه[٨] ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾[الفتح:٢٣]، فأما أنتم يا رجال خولان فأنتم الأعوان والإخوان، ولسنا نريد لكم فرقة،

---

(١) في السيرة: في إمامهم.

(٢) من، سقطت من السيرة.

(٣) ما بين القوسين: في السيرة: مخالفنا.

(٤) في السيرة: شيعة.

(٥) في السيرة: وشنعوا.

(٦) في السيرة: طيرهم، وهو خطأ. والظئر بالكسر العاطفة على ولد غيرها، المرضعة له في الناس.

(٧) في هامش السيرة المنصورية قال محققها: في الأصل: (الصقب). والصقب: ولد الناقة، والمعنى أن المخالفين سيتم استئصالهم مثل ثمود حين عقروا الناقة فرغى أصقبها، وأصل المثل: (كانت عليهم كراغية البكر، أو أصابتهم راغية البكر. البكري، فصل المقال ص٤٥٨ـ٤٥٩، مؤرخ السدوسي ص٣٩، الميداني، مجمع الأمثال جـ٣/ ص٢٠.

(٨) في السيرة: سلطانه.

ولا تلحقكم[1] بسببنا مشقة، ولو أردنا إهلاكهم[2] بفرقتكم لكان الكتاب قد بلغ أجله، ووفى العامل عنا عمله، ولكن لنا فيكم ظن مصيب، وأمل لا يخيب؛ لأنكم أودادنا وأبناء أودادنا، واعتقادكم مشتق من اعتقادنا، ولكم أصول طيبة حمتكم من سوء الظن فينا، وقبح الاعتقاد بنا؛ لأن في الحديث عن أبينا رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يبغضنا إلا أحد ثلاثة» لا خير فيهم، ولا في تفصيل ذكرهم، وأنتم بحمد الله أعلى قدراً منهم، وأي وقت أحببتم الوصول إلينا فعلى الرحب والسعة غير مكروهين، ولا مملولين، وإن وصل معكم آل نشوان تائبين من قبيح ما ارتكبوا، وعظيم ما اكتسبوا؛ فالتوبة مقبولة، والذنب مغفور، وإن تمادوا في ضلالهم، وطغوا في مقالهم، وناموا على بساط الاستدراج مغترين، وأمسوا وأصبحوا بالإهمال مسترين، فكم لذلك من صريع أتي من وجه أمنه[3] فأصبح عبرة للناظرين، كما قال تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[الأنعام: ٤٤، ٤٥]، وحاشا لكم أن ترضوا بسب أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وعليهم (أو تكونوا فئة لمن سبهم وآذاهم)[4]، فتشركوهم في بلواهم، فلا وروحي محمد وعلي سلام الله عليهما[5] وعلى آلهما لقد جاءنا منهم ما لم نكن نظن أن مسلماً ممن اعتقد إمامتنا أو توقف في أمرنا، أو نابذنا بالحرب يقدم عليه، ولقد كان الغز[6] لنا حرباً فما أظهروا لنا شيئاً على أن ألسنتهم مطايا السباب وهم أشبه الحيوان بالسباع والكلاب، وقد علمتم ما ذكرنا وإن لم تعلموا فاستعلموا، وانظروا لأنفسكم نظراً يخلصكم عند الله سبحانه وعند محمد ﷺ غداً إذا جيء بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين[7] ﴿**وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[آل عمران: ٢٥]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) في السيرة: يلحقكم.

(٢) في السيرة: هلاكهم.

(٣) في السيرة: أمنيته، وهو خطأ، ولعلها في الأصل الذي اعتمد عليه: أمنه.

(٤) ما بين القوسين: سقط من السيرة.

(٥) في السيرة: صلوات الله عليهما.

(٦) الغز: المقصود بهم الأيوبيون.

(٧) والصالحين: سقط من السيرة.

[كتابه عليه السلام إلى ولده محمد يحضه على الصبر في درس العلوم]

وكتب عليه السلام إلى ولده محمد الأمين يحضه على الصبر والتشمير في درس العلوم[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وبه نستعين

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا فيك بلوغ المراد، والهدى إلى سبيل الرشاد[2]، أما بعد:

فإن أولى الناس بالفضائل من كانت النبوة أصل شجرته، والوصية بذر ثمرته، والخلافة سنخ[3] نسبته، ووشيجة لحمته، وكان مسرحه في كلأ شرع جدِّه شارعه، ومعقله في ذورة طود مجد [شامخ][4] والده فارعه، وإن أمير المؤمنين قد تفرس فيك فراسة رجا فيها الإصابة، وقضت له فيك بالأصالة[5] والنجابة؛ فإياك أن تكذب فراسته، أو تخيب ظنه، وعليك بالصبر فإنه مر المبدأ[6] حلو العاقبة، شمر في درس العلوم فإنها حياة النفوس، وجلاء القلوب، وآثر من ذلك الأهم فالأهم، فأول ما تبدأ به معرفة الله سبحانه فإنها رأس العلم، وقاعدة الدين، ومغناطيس النجاة؛ فتفهمها بالبرهان[7] وتوابعها، ولوازمها، وما ينبني عليها، وينضاف إليها من أفعاله

---

(١) الكتاب في السيرة المنصورية ج١ ص٢٩٠-٢٩٤.

(٢) في السيرة: فإنا نحمد الله إليك ونسأله لنا فيك بلوغ المراد والهدى إلى الرشاد.

(٣) في السيرة: نبج.

(٤) زيادة في السيرة.

(٥) في السيرة: الإصابة.

(٦) في السيرة: المبتدأ.

(٧) كذا في الأصل، وهو في السيرة وفي الحدائق الوردية: البراهين.

تعالى، وأحكام أفعاله، وما يجوز عليه، [وما لا يجوز، وما يجوز أن يفعله][(١)]، وما لا يجوز أن يفعله، والنبوات، والشرائع، والإمامة، وتوابعها، وما ينبني عليها، وأتبع ذلك علم اللسان العربي، إذ لا يصح علم الشرع الشريف إلا به، ثم بعد ذلك تعلم أصول الفقه[(٢)] وفروعه بأدلتها وعللها [وقياساتها][(٣)] وأسبابها وشروطها وما يشهد لها ويدل عليها من الأقوال والأفعال النبوية، واعتمد بعد ذلك على[(٤)] ما صح لك من إجماع الأمة والعترة، اجعل العمل[(٥)] مطيتك، والعلم دليلك، والحق سبيلك، ولا تركن إلى الاغترار، وتفكر عند سكون جوارحك من الحركات في طاعة الله لتكون قد ألزمت قلبك ما يجب عليه من طاعة ربك، ولا تسأم الدرس، وتمل إلى هوى النفس، واغتنم أيام الفراغ فيوشك أن يشغلك الناس بأمورهم عن أمر نفسك، فتكون لهم آلة[(٦)] إلى بلوغ أغراضهم إما مالكاً أو مملوكاً، وقد ضيعت الأهم من غرضك، وبادر أيام الشبيبة أن تنفد، فما فات منها فليس[(٧)] يرتد وليس له بدل ولا به عوض، وعليك بالحلم والتواضع لمن أخذت منه العلم[(٨)] خصوصاً، ولسائر المسلمين[(٩)] عموماً، والزم الرفق والأناة، إلا عن اكتساب الخيرات، وفعل الطاعات، فبادر ما استطعت فإنه ميدان سباق، وأكره نفسك على (مرارة)[(١٠)] الطاعة لتذوق حلاوة الجزاء والمثوبة، ولا تنس نعمة الله سبحانه عليك لشرف النصاب النبوي، وفضل النجار العلوي، الذي تقاصرت دونه الأنساب، وخضعت له الأعناق، وأهن نفسك في (كسب)[(١١)] العلوم لتعز في الدنيا والآخرة، وعليك بحسن الخلق فإنه عنوان الإيمان، وإياك والعجلة فإنها حبالة الشيطان، وتحفظ في[(١٢)] منطقك من عثرة اللسان، ولا تكثر

---

(١) ما بين المعقوفين: سقط من الأصل وهو في السيرة.

(٢) في السيرة: الشرع.

(٣) زيادة في السيرة.

(٤) على، إضافة من الحدائق الوردية.

(٥) في السيرة: العلم، وفي الحدائق الوردية ج٢ ص١٩٣: العترة.

(٦) آلة، سقط من السيرة.

(٧) في السيرة: فلن.

(٨) في الحدائق الوردية: العلوم.

(٩) في السيرة: الناس.

(١٠) سقط من السيرة.

(١١) سقط من السيرة.

(١٢) في الحدائق الوردية: من.

الضحك فإنه يميت القلب، ويورث الأحزان، وإياك ومجالسة السفهاء فإنها مجانبة للإيمان، وعليك بتوقير أهل الأسنان، واعرف لأهل الحقوق[1] حقوقهم، وأنزلهم في نفسك منازلهم، ولا تظلم عند القدرة، وأقل العاثر[2] العثرة، إلا أن تعلم [أو تظن][3] أن ذلك مؤدٍ[4] له إلى التمادي في الطغيان، واشكر على القليل، وجاز على الإحسان بالإحسان، وانصف خصمك من نفسك قبل أن يلجأ إلى حاكم لا يصغي إلى الإدهان[5]، واستشعر خيفة الرحمن في السر والإعلان، واعرف حق والديك وأده، وصل رحمك، واخفض للمؤمنين جناحك، وأحسن طاعة من وليك، وسياسة من وليته، ولا تكثر النوم فإنه يورث الفقر في الدنيا والآخرة، وشمر عن ساق الجد، ولا تيأس من إدراك المطلوب، ونفس إن استطعت[6] كربة المكروب، واحمد الله على كل حال، من رخاء و[7]شدة، ولا تجعل نعمة الله عليك دليل الرضا، ولا محنته لك دليل الغضب، فإنه قد يبتلي وليه[8]، ويستدرج عدوه، وكن[9] عند المحنة أرجى منك عند النعمة، واذكر ربك في الرخاء يذكرك في الشدة، ولا ترض لنفسك بصغار الطاعات مع طلبك كبار الدرجات، فليس مع الراحة رجاحة[10]، والسلام.

(١) في الحدائق: الحق.

(٢) في السيرة: العاثرة.

(٣) زيادة في الحدائق الوردية.

(٤) في الحدائق الوردية: مؤداه.

(٥) في السيرة: الأذهان.

(٦) في السيرة: ما استطعت.

(٧) في الحدائق الوردية: أو شدة.

(٨) قال محقق السيرة: في الأصل (المؤمن) والتصويب من الحدائق الوردية.

(٩) في السيرة: فكن.

(١٠) في السيرة المنصورية: حاجة.

[كتابه عليه السلام إلى أهل أثافت[1]]

وكتب عليه السلام إلى أهل أثافت:

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم الهداية إلى سبيل النجاة، والتوبة عند حصول الوفاة، والصلاة على من تجب عليه الصلاة وعلى آله المنتجبين الهداة، أما بعد:

فإنه بلغنا عنكم نكوص عن الرشد، وتمرد عن الحق، وسعي في أودية الضلال، وتثاقل عن إجابة داعي الله سبحانه، ونصرة وليه، وإسراع إلى معصيته، وإبطاء عن الطاعة؛ وهذه أسباب الهلاك –نعوذ بالله من المقارفة لها، والإنهماك فيها؛ ولئن كان لكم فيما ذكرنا شبيه فليس في الخطأ أسوة، وقد علمتم رأينا فيكم، وشفقتنا عليكم؛ فأحبوا لأنفسكم ما أحببنا لكم، واحفظوا أنفسكم من شفار الحق لا تفرق منكم ما تحبون اجتماعه، وتكرهون انصداعه، ولا تغتروا بمعرفة وألفة؛ فالحق كثير النفار إلا مما يلائمه، وليس له رحمة ولا فيه شفقة، ولا تنفع فيه المعذرة لغير تبصرة، ومن قتله الحق لعن، ومن غالبه غبن، ومن اغتر به فتن، ولكل شيء غاية، وغاية منكر الحق البوار في دار الزوال ودار القرار؛ فأي نفس عارفة تطمئن على خطرٍ هذا حالُه، أوفوا الحق من سألكم الحق مستورين مأجورين قبل أن توفوه غير محمودين ولا مشكورين، من أغلق عليه بابه لم نقرعه عليه للولوج، ومن لزم بيته لم نحمله على الخروج، ستر الله سبحانه على خلقه الانقياد لأمره، فمن أسبله عليه لم نكشطه عنه، إن حق الله سبحانه علينا أن لا نداهن في حقه، وحقنا عليه أن ينصرنا، قال وقوله الحق: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٤٠]، وقد كان الفرض عليكم أن تعينونا على الناس، فقد رضينا منكم أن تكفونا حوادث أنفسكم في عباد الله وبلاده، أقيموا الصلاة، واجتمعوا لها كما تجتمعون في الولائم والأعراس، وأدوا الزكاة طيبة بها أنفسكم فإنها العمدة والأساس، وامروا بالمعروف قبل أن يأمركم الناس، وانهوا عن المنكر

---

(١) أثافت: بلدة قديمة خاربة في دمّاج من بني قيس تسيع بني صريم من حاشد، عدادها اليوم من مديرية خمر وأعمال محافظة عمران. (معجم المقحفي ١/ ٢٤).

قبل وقوع الإبلاس، ومهما ركبتم من خطيئة فإنه دون جهلكم بحق تلك البنية، وقد بدديناكم إلى المعونة فيها فنبت أسماعهم عن داعية ذلك؛ فلو عقلتم لرحضتم أوزاركم، وأخشيتم جوارحكم، وعمرتم دياركم، ودأبتم ليلكم ونهاركم، وأطعتم إمامكم، وبادرتم حمامكم، فالدهر نهب، وإلى الله سبحانه المنقلب

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حايدا

فرحم الله امرءاً دعي إلى رضوان الله فلبى داعيه، وذُكِّر بالله فتلقى التذكرة بأذن واعية، وشمر عن ساق الجد، وبرز في ميدان السبق، وجعل عقله الرقيب على نفسه، وملكه زمام هواه، وعصى شيطانه، وحفظ إيمانه، ولم يتعرض لسخط ربه، ويتعجل عقوبة ذنبه، والسلام.

[كتابه إلى رجل من خولان في أمر آل نشوان][1]

وكتب عليه السلام إلى رجل من خولان في أمر آل نشوان:

فهمنا ما ذكر من أجل القاضي علي بن نشوان، وما جرى بينهما من الكلام، وما جرى[2] من أمر أخيه محمد بن نشوان، وما كان قد عزم عليه من[3] التأخر من الولاية منذ مدة إلى آخر فصله؛ وهذا أمر ليس مما نحن فيه سبيل، الناس يتأخرون من الولاية، وتبدو لهم الموانع، وتعرض الشبهة في العلم وما هذا بعجيب.

السب والأذى من أي الأودية؟ ومن أي فنون العلم هو؟ ما علم الله تعالى مع علمنا لاطلاع

---

(١) الكتاب في السيرة المنصورية ج١ ص٢٥٩ إلى ص٢٦٣.

(٢) في السيرة: وما ذكره.

(٣) في السيرة: عن.

القضاة على هذا الرفع، لا[1] نعلم له وجها إلا خبث المولد وإلا فأكثر ما يقع.

وثانياً[2] مما نزهنا الله عنه ونعوذ بالله منه أن نكون[3] ظلمة أو كافرين تقديراً لا تحقيقاً، فما نعلم إلا الإحسان[4] إليهم قولاً وفعلاً، والله عز من قائل يقول: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة:٨]، فقد أمرهم ببر مثلنا لو[5] كنا كما اعتقدوا فينا، فبدلوا[6] مكان الإقساط[7] السب والأذى، الذي لا يتجاسر اليوم على إظهاره أحد في بلاد الغز[8] ومدن الفسق وإن كان لشدة التحرز في الدين فليس منه الهجو، وقد علم الله[9] أن المصرحين بالظلم ما بينهم لهم شعر هجو في حيدان من القضاة.

وأما ما ذكر[10] القاضي من سرحه هو وولد السويدي في الصلاح؛ وما كان منا من خطأ حتى يقع الصلاح، فأما الحادث على أخيه محمد فهو كما قيل (في المثل)[11]: (يداك أوكتا وفوك نفخ)[12]؛ وإلا فقد علمتم حاله عندنا وعند الناس وعليه رداء الله[13] الذي كشفه عن نفسه، وما نحن بمفحمين[14] عن قول الشعر، فنحن قريش البطاح، ولكنا نصون ألسنتنا أن تكون مطايا السباب.

---

(١) لا، زيادة في السيرة.

(٢) في السيرة المنصورية: يقع في آبائنا.

(٣) في السيرة: أن يكونوا.

(٤) في السيرة: فلم يعلم منا إلا الإحسان.

(٥) في السيرة: ولو.

(٦) في السيرة: فيبدلوا.

(٧) في السيرة: مكان البر.

(٨) في السيرة: لا يتجاسر اليوم أحد على إظهاره في بلاد الغز.

(٩) في السيرة: وقد علم الكل.

(١٠) في السيرة: ما ذكره.

(١١) سقط من السيرة.

(١٢) يراد بهذا المثل أن يتحمل المرأ نتيجة فعله.

الميداني، مجمع الأمثال ج٣/ ص٥١٩، من أمثال العرب ص٢٨٧.

(١٣) في السيرة: رد الله، وهو خطأ.

(١٤) في السيرة: بمقحمين، وهو خطأ.

وأما كبر ما حدث على محمد فوراء الموت ما هو أشد منه، ولا يبعد الله إلا من ظلم وعلم الله وكفى به عليما وشاهداً على ضمائر القلوب مستقيما، لو كان سؤال محمد سؤال من غرضه البصيرة والإنصاف لنصبرن[1] لله سبحانه ولنبدأنه[2] بالكتاب ونرفق به في القول، ولكنا رأيناه قد أقدم إقدام المتهور، ومر مرور الجموح، فروى ما علم الله وخلقه استحالته في غير كلمة وأمور لا شك واقعة، ولكن على غير الوجه الذي ذكر، وكتب بوقاحة وجه وصلابة[3] إلى شيخي آل الرسول يحقق لهما ما علماهما وجميع من معهما استحالته، فمقته الجميع في قوله مع استيحاشنا من كذبه، ويحه؛ فمتى عرفت بالكذب، ولو كنت كاذباً سبق عليّ غيره قبل وصول هذه الحال، فلم يقع التشاد[4]، إلا بين الأضداد، فلم يعرف في صغر ولا كبر، فلما بلغنا هذه الحال وهذا السن ارتكبنا الكذب؟! يأبى الله ذلك ورسوله ﷺ والنفوس الأبية، والأنوف الحمية؛ وقد ذكر أهل المعرفة والخبرة أن من بلغ ثلاثين سنة ولم ينحص شعره، لم ينحص أبداً[5]، ومن بلغ ذلك القدر ولم يسمن لم يسمن أبداً في أشياء تجريبية[6] ذكروها للأغلب استقامة روايتهم فيها فنتجاوز الثلاثين ولا يتعلق علينا بكذبة ثم نكذب هذا مع دعوى الإمامة، ونشأة الحياء والمروة وأشياء كثيرة أضافها إلينا لا حقيقة لها ولا وجه للتأويل فيها؛ فعلمنا أن هذا تهتك وقلة مبالاة.

فأما ما ذكر من إعطائنا[7] لخولان فلسنا بأغمار نجهل ما ذكره، فالرامي إذا أخطأ بالسهم الأول وشج بالثاني عد شجه عجزا؛ ونحن بنو الحرب نشأنا فيها حاربت الظالمين قبل اخضرار عذاري فما رأيت العرض[8] ينال إلا بإهانة المال، فدونك عذري في ذلك[9] وكم ما أخطأت فلا بدها ما أصابت تفز[10].

---

(١) في السيرة: لينصرن الله.

(٢) في السيرة: ولنبدلنه.

(٣) في السيرة: وصلابته.

(٤) في السيرة: فلم تقع النشأة.

(٥) في السيرة: نحص بمعنى ابيض. الخليل بن أحمد، العين، مادة: نحص.

(٦) في السيرة: تجربتها.

(٧) في السيرة: إغضابنا، قال محققها: في الأصل: أعطابنا.

(٨) في السيرة: الغرض.

(٩) في السيرة: قد بورك لي في ذلك.

(١٠) في السيرة: نفر.

فقد علم الله سبحانه أني كابرت في آل نشوان الأكابر والأصاغر، وتالله[1] لقد وقع ما يشبه الشماتة في نأيهم، ولقد قال بعض من قال: لقد عجبنا من استمرارهم إلى وقت تجوم نفاقهم، وظهور شقاقهم، فإن كان قد وقع ثمَّ ندامة على ما فرط ورجوع إلى الله سبحانه فسبحان من لا يجوز عليه الخطأ، ولا يقع منه الزلل فما ذلك بعجيب[2]، وليس بمسيء من أعتب، وكان الكل يظهر التوبة على أعيان الملأ محمد وعلي ومراثد[3]، فهذا عليهم واجب وبه يجب العفو، وتلزم حرمة[4] الأخوة ولا يكون إلا محبوبهم.

وإن كانت ثمة شبهة كما قد أظهر محمد، وإن كان من تأمل كلامه من أهل المعرفة يعلم أنه كلام من ركب الدهماء عن غير عمى[5]، كان الكل يصل صحبة شيوخ خولان بالسكينة والوقار، ثم يورد[6] المسائل مسألة مسألة، فما وضح فيه الحق عمل عليه، وما التبس رد إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فإن وضح للإمام الحق واتبعه، رفع ذلك قدره عند الله سبحانه، وإن بان لهم الصواب ورجعوا فما المراد؟

وأما خولان وفرقهم، فما نريد لهم فرقاً، ولو أردناه لقد كان، فدوننا[7] بفرقهم، وأما ما ذكر القاضي علي من كراهة محمد، فهذه كراهة ليس لها وجه والرأي العمل بالعقل والحلم، وهم[8] أعرف بمعنى قول الشاعر[9]:

ومــن يعــص أطــراف الرمــاح فإنــه
يطيــع العــوالي ركبــت كــل لهــذمِ

---

(١) في السيرة: وبالله.

(٢) في السيرة: فماذا نعجب.

(٣) في السيرة: ومزايد.

(٤) في السيرة: وبه تجب وتلزم حرمة.

(٥) في السيرة: من غير غما.

(٦) في السيرة: يوردون، قال في الهامش: في الأصل: يوردوا.

(٧) في الأصل: قدوتنا. والتصحيح من السيرة.

(٨) في السيرة: فهو.

(٩) في السيرة: هو زهير بن أبي سلمى.

ومن تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر قصمه الله، وعلم الله سبحانه ما نريد لهم بعداً ولا شراً مع الإقبال إلى الله سبحانه.

فأما طاعة البلاد ومحصولها فقرية مما تحت أيدينا تأتي بمثله [و]لو توفر [إلينا] مثل شوابة وبعض دروب الجوف كالغيل، أو سدال.

وأما قول القاضي علي: إن محمداً غير كاره للإمام، فأي كراهة أعظم من أن يتمنى له الحمام، فإن استطالت مدته فلا بده -عني الإمام- ما مات،ولا باقي إلا الله.

وأما قوله: إمام الظلم؛ فإن صدق فهو أهون ما ينزل به، وإن كذب فلقد ارتكب عظيماً، فنعوذ بالله من الزلل، ونسأله التوفيق لصالح العمل، فإن كان إصراراً فليقع التشمير في العداوة، وإن كان رجوعاً فالتعجيل أحسن قبل وقوع ما لا يمكن تلافيه، وهذه نصيحة إن قبلت، وتذكرة إن عقلت، والسلام.

[ومن كتاب له عليه السلام إلى القاضي علي بن نشوان]

وجاء كتاب من القاضي علي بن نشوان يريد التقرب به ويذكر أنه غلب على رأيه، فكتب إليه عليه السلام[1]:

فهمنا ما ذكره من الأمور كلها وأنه غلب على رأيه فما في الخطأ[2] أسوة، وأما ما ذكر من نقل الناقلين إلينا[3] فيهم، فهيهات كنا قد زجرنا الواشي فيهم قصيا، فلم يكد[4] بعض المتوددين[5] إلينا يجد سلماً إلا الثناء عليكم، ومن عجائب الاتفاق أن علم هجوكم لنا بلغ إلينا ونحن في تسويد شعر نمدحكم فيه[6] فاعجب ومهما عشت عاينت العجب.

---

(١) السيرة المنصورية١/ ٢٦٥.

(٢) في السيرة: فما من الخطأ.

(٣) إلينا: زيادة في السيرة.

(٤) في السيرة: يكن.

(٥) في السيرة: فكم يكن المتودد، قال في الحاشية في الأصل: المتوددين.

(٦) في السيرة: يمدحكم ويحرضكم.

وهذا خذلان نعوذ بالله منه، لأن الله سبحانه إذا أراد خـذلان عبـده وكلـه إلى نفسه، وسـلبه توفيقه، وإلا فالشكوك تعرض، والمسائل تحدث، والمدبر يقبل، والمقبل يـدبر، ومـا هـذا بيـدي في هذي الدنيا[2]، والأفعال محتملة، تقبح على وجه وتحسن على وجه، والصورة واحدة وقـد يكـون الصواب عند أحد المجتهدين خطأ عند الآخر، ولا تفسيق ولا تكفير عند أهل العلم عموماً، ولا تخطئة عند المحصلين[3] حتى ظهر من قولهم (كل مجتهد مصيب) وإن كان عند القاضي محمد أنا لم نبلغ درجة الاجتهاد فالنـزاع[4] والحال هذه يكون في أصل الإمامة لا في فرعها وجاءت نـصيحته لإخوانه خارجة عن توجيهات العلماء لأنها[5] محض السب، وعين الطعن، ولـسنا نوجـه كـل[6] ذلك إلى جهل بطريقة العلم ولكن هذه سنة الله سـبحانه في معـارض الحـق عمـداً أن يـسلبه الله التوفيق والصواب[7] فيما هو فيه.

ذكر في كتابه أنه اصطفى من المحالب سبية، هي بـالوطء حريـة، ولا شـك أني [بالـشراء مـن غنائمهم][8] ملكت جارية حبشية، واستجزت أخـذ أملاكهـم عـلى حكـم[9] الـشريعة النبويـة، فالمعارض كانت معارضته تقع في الاحتجاج وكسر أركان الأدلة [في جـواز أخـذ أمـوالهم][10]، والهادي عليه السلام أخذ من أفقين في بلاد المهاذر البقر، والإبل، والشاء[11]، والعبيـد، والإمـاء

---

(١) النهنهة: الكف والمنع. لسان العرب.

(٢) في السيرة: وما هذا ببذئ في هذه الدنيا.

(٣) في السيرة: المخلصين، وهو خطأ.

(٤) في السيرة: والبراع.

(٥) في السيرة: لأنه.

(٦) كل: زيادة في السيرة.

(٧) في السيرة: إن سلبه الله التوفيق للصواب.

(٨) زيادة في السيرة.

(٩) في السيرة: على وجه.

(١٠) ما بين المعقوفين: زيادة في السيرة.

(١١) في الأصل: والنساء.

هكذا في سيرته عليه السلام إن اختلف اللفظ لم يختلف المعنى، وإنما أردنا ذكر العبيد والإماء وقسمها أخماساً أعطى الغانمين[1] أربعة أسهم قسمها على سهام الله تعالى بينهم، وجاءت المهاذر تائبين فرد الخمس تألفاً لهم ولو استبددنا بمسألة لم[2] يذكرها الهادي عليه السلام ولا غيره لجاز ذلك (ولم يكن منه مانع لأن الحوادث لا تنحصر وأحكامها كذلك)[3] كما يعرفه أهل العلم.

[ومنها ما ذكر في عقبة الحرار وقصة الدينار، فأنت تعلم حاله][4].

ومنها ما ذكر من الصلاة على مبارز التي لا أصل لها في علم الله سبحانه إلا أن يكون تأول فقد ارتكب المحظور في اتهام الخطأ.

ومنها ما ذكره من جفوة المساكين، وأنت تعلم حالنا في مالنا، فكيف في مال الله تعالى وإن كنا ندعي أنا لا نعمهم نفعاً لما يعلمه الله سبحانه من العذر، ومثل الذي قيل فينا قيل فيه أضعافه وقت ولايته كما تعلم.

وذكروا أنه ذبح المسلمين والمساكين كما تعلم في مخلاف حجة وغيره على أعيان الملأ، فتأولنا فيه ما يجب أن يتأول في المسلمين الفضلاء، وهذه أمور تؤذن بأنه لا يريد الرجوع إلى الحق أصلا إلا أن تداركه نعمة من ربه فنعمه لا تحصى، فإن رجع إلى الحق فالرجوع به أولى، وهو أحمد له عاقبة في الآخرة والأولى، وإن تمادى فلا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، وعلم الله سبحانه ولا له احتفت[5] علم الله باطلاً ولا بجراً، لقد قال طائفة[6] من أهل الدين: لقد كنا عجبنا من طول استقامة آل نشوان على الطريقة المثلى؛ لأن عادتهم لم تجر بذلك، ولا لهم صبر عن السب والأذى ولا سيما للطيبين من عترة المصطفى -عليه وعليهم صلاة الملك الأعلى- لم يذكروا هذا الكلام بهذا اللفظ وإنما ذكروه بالمعنى.

---

(١) في السيرة: على الغانمين.

(٢) في السيرة: ولو استبد بالمسكة ولم يذكرها الهادي.

(٣) ما بين القوسين: سقط من السيرة.

(٤) ما بين المعقوفين: زيادة في السيرة.

(٥) في السيرة: فلا أخفت.

(٦) كذا في الأصل، وفي السيرة: فلا تجد الغد قالت طائفة.

وأما قول القاضي محمد بأنا لم نترك للصلح موضعاً وأي فتق فتقناه عليه لنقصد فيه وجه الرضى، فتأمل بيت ابن الرومي (في هذا المعنى)[1]، فأما ما فعله الخولاني في محمد فبالله قسماً براً ما[2] مالئنا فيه سراً ولا جهراً إلا ما نطقنا به على أعيان الملأ، فلما فعل ما فعل في حقنا أظهرنا له الرضى، وهذه -أبقى الله القاضي- بينات الطريق[3]، والنهج الوسطى، وإلا فالآخرة أدهى من الأولى، وأكبر[4] ما يخشى من مضرة القاضي ومن سلك منهاجه ما يعتمد من السب والأذى، فنعم الأسوة لنا في قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران:١١١].

فأما ما ذكرت من مشايعتنا وإيثار جنبة الحق فلا نكره ذلك، ولكن لا انتظام له مع شقاق أخوتك؛ لأنه[5] يسوؤك ما يلحقهم في أنفسهم ويسوؤك ما يخرج من ألسنتهم، فانظر في ذلك، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، وإن جعل القاضي محمد نفسه من العلماء[6] فأقرب الناس رجوعاً إلى الحقِّ وانقياداً له العلماء، وإن كان من المسترشدين المتوسمين فأولى بالرجوع وأحرى، وهو لا يعد في الطبقة الثالثة السفلى، فانظر في ذلك نظراً مخلصاً، فهذا ما عندنا، ما أبقينا [علم الله سبحانه][7] في النصح وجهاً.

---

(١) سقط من السيرة.

(٢) في الأصل: فبالله قسم، والتصحيح من السيرة.

(٣) في السيرة: بينات الطرق.

(٤) في السيرة: وإلا فأكثر.

(٥) في السيرة: لأنهم.

(٦) في السيرة: إلى العلماء.

(٧) ما بين المعقوفين: زيادة في السيرة.

[ومن كتاب له عليه السلام إلى القاضي مفرح بن مسعود في شأن محمد بن نشوان]

وكتب عليه السلام وقد جاءه كتاب من القاضي مفرح بن مسعود بعد توليته في حيدان يذكر أنه لم يبق إشكال عند القاضي محمد إلا في الزيادة على الأعشار[1]:

الجواب عن هذا على وجه الجملة من طريقين:

أحدهما: أنه يجوز أن يجد الإنسان ما لا يجد الآخر، وأن يبدو[2] له من وجوه الاجتهاد والقياس ما لا يبدو للآخر وما هذا بمستنكر عند أهل العلم.

وأما الطريق الأخرى: فإن رسول الله ﷺ لما تحزب عليه الأحزاب عزم على المصالحة وصرم الأمر بثلث تمر المدينة أو نصفه، اختلف الرواة في ذلك إلى أن جاءه السعدان في حديث فيه بعض الطول، فقالا: يا رسول الله، هذا أمر من الله أم رأي رأيته؟ فقال: «بل رأي رأيته». فقالا: يا رسول الله، لقد كنا على[3] الشرك وعبادة الأوثان فما طمعوا في تمرة من تمرها[4] إلا أن يكون قِرَى أو شراء، فكيف وقد أعزنا الله بالإسلام وبك يا رسول الله؟ فلما علم ﷺ صحة قولهما عن نفوسهما وقومهما بما شاهد من صبرهم، وصدق نيتهم، فجزاهم الله (عنا و)[5] عن الإسلام خيرا، رجع وهو ﷺ لا يهم إلا بما يجوز أن يفعل وإن لم يفعل، كما استدل العلماء في نظائره من قوله: «هممت أن أحرق على قوم منازلهم» إلى غير ذلك، والثلث أكثر من العشر، ولم نرد بذلك إلا لندفع عنهم[6]، ولو علمنا من أهل الظاهر الكفاية والحماية ما كان لنا في أخذ المال منهم من غرض، ونحن لا ندخره ولا نستنفع به لخاصة نفوسنا هذا يعلمه أهل العقول، ومع ذلك فقد

---

(١) السيرة المنصورية ١/ ٢٧٤.

(٢) في السيرة: وأن لا يبدو له.

(٣) في السيرة: في.

(٤) في السيرة: في ثمرة من ثمارها.

(٥) سقط من السيرة.

(٦) في السيرة: ولم يرد بذلك إلا ليدفع عنهم.

رفضوا الجهاد بأنفسهم، ولا يصح عليه الإكراه؛ لأن الذي يُكرهُ، يَشرد[(١)] فيكون ضرره أعظم من نفعه، وبقي الجهاد بأموالهم[(٢)]، [وقد أمكننا أن نكرههم عليه؛ لأن الله تعالى تعبدهم أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم][(٣)] فوجوه جوازه عندنا كثيرة، إما لدفع الضرر الأعظم بالضرر الأهون ولنا ولاية؛ وإما لأن الله تعالى تعبدهم[(٤)] بذلك فلم يفعلوا، ولنا أن نكرههم على فعل الواجب[(٥)].

ومنها أن يكون[(٦)] عقوبة، فقد جوزنا العقوبة بالمال، واحتججنا بفعل علي عليه السلام في المحتكر، وقسم ماله نصفين، نصفاً حرقه، ونصفاً صرفه إلى بيت المال، وفعله عليه السلام عندنا حجة؛ فحرق ليستدل على جواز الاستهلاك، وصرف إلى بيت المال ليدل على جواز التمول[(٧)]، والشرح في هذا يطول، وأكثر ما في هذا أن نفعل فعلاً والأفعال محتملة، والأصل السلامة، فأكثر ما يعتقد الإنسان في صاحبه أنه أخطأ في الاجتهاد والخطأ فيه لا يوجب صرم الولاية ولا التبري، ولا العداوة ولذلك[(٨)] كان الصحابة -رضي الله عنهم- يخطئون بعضهم في مسائل الاجتهاد، ويتولونه كما قال ابن عباس: أما يتقي الله زيد بن ثابت، يجعل في المال نصفاً ونصفاً وثلثا، ذهب النصفان بالمال، فأين الثلث، من شاء أن يباهلني باهلته[(٩)]. إلى غير ذلك مما يطول شرحه، ثم لم يتبرأ بعضهم من بعض، فاعلم ذلك، وأوقف القاضي عليه؛ فإن كان غرضه الحق ففي ذلك ـ بحمد الله ـ له شفاء[(١٠)]، ولا نستبعد لمثله إصابة الحق، وما كان ذلك ظننا فيه فيما تقدم، وما نحن بمستبعدين رجوعه إذا كان الغرض الحق لم يقع اختلاف؛ لأن طريقه واحدة، والسلام.

---

(١) في السيرة: يرد، وهو خطأ.

(٢) في السيرة: في أموالهم.

(٣) ما بين المعقوفين: سقط من الأصل وهو في السيرة.

(٤) في السيرة: يعيذهم، وهو خطأ.

(٥) في السيرة: وإما أن نكرههم على فعل ما لزمهم.

(٦) في السيرة: وإما أن يكون عقوبة.

(٧) في السيرة: المثول.

(٨) في السيرة: فكذلك.

(٩) في السيرة: من شاء أن يتاهلني باهليته.

(١٠) في السيرة: نحمد الله له سلفا، قال المحقق: في الأصل: سفا؟؟.

[كتابه عليه السلام إلى الأمير المؤيد بن القاسم بعد مراحه من صعدة]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب إلى الأمير المؤيد بن القاسم بعد مراحه من صعدة:

وأنت تعلم أنك لست في غضاضة، وليس في بني حسن أعرق في الإمارة ولا أقمن بالرئاسة منك؛ أنت الأمير ابن الأمير ابن الإمام ابن الرسول ﷺ ولم تدخل في هذا الأمر عن ضعة وإنما كان ذلك منك رغبة في حيازة شرف الآخرة مع شرف الدنيا، ولا يحصل ذلك إلا بصبر شديد، وعرف النفس عن المراد، ولا سيما إذا كان أكثر الصحاب يسير بخلاف ذلك والرجوع إلى السيرة الأولى، وترك الطريق المثلى، فإن لم تر ذلك يستقم لك على الوجه الشرعي ولا تجد عليه معينا كنت تخرج من عهدة ما ألزمت نفسك من العهود التي لله سبحانه، وإن كان لا خروج عنها؛ إذ هي فرض الله سبحانه على جميع خلقه، ففي المسلك الأول سعة في الدنيا، واقتد بمن قرب من الآباء لأن الطبقة الأولى منهم كانوا أئمة هدى - سلام الله عليهم وعلى أرواحهم في الملأ الأعلى - فلقد كانوا على حياة للدين حراصا، ولقوا الله تعالى من حطام الدنيا خماصاً، وأظمأوا هواجرهم صياماً، وأحيوا دجنة لياليهم قياماً، فحصدوا ما زرعوا سرورا، ولقوا نضرة وحريرا، ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾[الزمر:١٨].

واعلم أنك إن فارقت منهاج الدين أشمت بنا من نابذناه عنك وإلى الآن نحن مكاسرون، فانظر في ذلك نظرا مخلصا، فلا يصلح الأمر المختلط، ورأس الدين الورع، وعموده الصبر، قال الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا**﴾[السجدة:٢٤].

واعلم أنا شُمُسٌ على الملوك الجبابرة الذين يملأون الدنيا جنوداً وهيبة، ذلل لضعفاء أهل الحق؛ لأن مدار الإمامة على أهل الدين، فجعلناهم بطانة، وصناديد أهل الدنيا ظهارة، ولكلٍ عمل لا يحسنه الآخر، فلا يغب عنا علمك بما يجمع عليه رأيك بعد الاستخارة لله سبحانه، والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى أهل نشوان]

وكتب عليه السلام إلى أهل نشوان في شهر المحرم أول شهور سنة ستمائة مع تراكم الأشغال عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

سلام عليكم؛ فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن أسعد الناس بالدنيا من اشترى بها الآخرة التي تبقى، وإن أشقى الناس فيها من كدح فيها كدحا استوجب به النار، وغضب الجبار الذي لا حد له ولا انقضاء، وإن لله عباداً اصطفاهم لدينه، وفضلهم على جميع بريته، واستخلفهم في أرضه، واستشهدهم على خليقته، هم عترة نبيه صلى الله عليه وآله المستحفظين بقية النبيين، وسلالة خاتم المرسلين، هم في الناس منزلة الرأس من الجسد، بل بمنزلة العين من الرأس، فأحلّوهم من الجلالة حيث أحلهم الله سبحانه، واقتدوا بهم تسعدوا وترشدوا، وفيهم خبث كما يكون في الذهب والفضة، ولهم خلاصة كخلاصتهما، فلا يصدنكم الخبيث عن التمسك بالطيب، إنا أهل بيت النبوة والكتاب بنص المحكم من الكتاب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[الحديد:٢٦]، فلم يمنع فسق الفاسقين من وجوب اتباع الوارثين الصادقين، ألا وإن أمير المؤمنين لما ولاه الله أمر عباده وبلاده محنة منه يجب الصبر عليها، ونعمة يتوجه الشكر إليها، دعا إلى سبيل ربه بالحكمة المتقنة، والموعظة الحسنة، وأجاب الناس بألسنتهم، وعصى الأكثر منهم بأفعالهم وقلوبهم، ونام أكثر المستيقظين، وعمى أكثر المستبصرين، وصم جل السامعين، وتفرقوا عن أمرهم أحوج الخلق إليه، وكرهوا فعلاً هم أسعد الناس به، و﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[الأنعام:٦٧]، ولما كانت بكيل سنان همدان، وكانت شوابة[1] هجر بكيل ورعينا في صلاح

---

(١) شوابة بضم الشين: وادمن أعمال ذيبين في بلاد بكيل ينحدر ماؤه إلى الجوف وإليه تنسب قرية شوابة في عزلة سفيان ناحية ذيبين. السيرة المنصورية ص٨١ هامش ٢.

أهلها اخترنا لها من يناسبها في الخير والفضل، ويشاركها في الحال والنبل، وهو الفقيه العالم الكامل سليمان بن عبد الله السفياني ـ تولى الله توفيقه ـ وجعل طريق الصالحين طريقه، وجرت قضايا الاتفاق العجيبة بأن كان من أهلها نسباً ودارا، وأصلا ونجاراً، فلما استقر فيها قراره، وعمرت داره مقوماً لأودها، طارداً للددها، معرفاً لها معالم دينها، وشعائر نسكها، ومنهاج سلامتها، وسبيل رشدها، ففوقت له سهام العداوة، ووترت له قسيّ العناد، وأجّجت نيران الفساد، ومنعته بالخذلان والمعارضة من إنفاذ الأوامر، وتنكيل كل فاجر، وركبت مراكب الهلاك، وشاع الربا، وظهر المنكر، وعلت كلمة السفيه، وصمت العاقل، وطغى الجاهل، وظن أن الإهمال، على مرور الأيام والليال؛ كلا لتكونن لأمير المؤمنين لا نستثني إلا مشيئة الله سبحانه ولكم أيام مناقشة تملأ قلب المحسن سروراً، وتصلي وجه المسيء سعيرا، تجد فيها ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[آل عمران: ٣٠]، هنالك يستقيل المفسد وقد جف قلمه، ويندم حين لا يغني عنه ندمه، ويروم الانتعاش وقد زلت به من حالق قدمه؛ فكم هنالك من فاسق طالما رفع رأسه تمردا وعتوا، يود لو تسوى به الأرض، ومن مرخى له في رسنه، طولب بالنفل والفرض؛ فأحزم الناس من أصلح نفسه قبل المناقشة والمحاسبة، وعلم أن العاقبة لمن وعده الحكيم بالعاقبة، فأنصف من نفسه نفسه، ومثل بيته رمسه، واستقال والإقالة مشروعة قبل أن يطلبها ممنوعة، فانظروا في صلاح أنفسكم قبل أن تحملوا عليه كرها، فلا تعذروا من الفعل ويكون لغيركم الأجر؛ فإن أجهل الناس من كان ثوابُ فعلِهِ لغيره، وأخسرهم من كان نفع كسبه لسواه، إن أقرب عقوبة تنزل بكم أن تطالبوا بحق الله، وتدعوا إلى حكمه فلئن كان ذلك ليذهبن من أكثركم ماله، ومن أقلكم أكثر ماله، وليعتبرن بكم من كان الصواب لكم الاعتبار به، فإن أشقى الناس من كان موعظة لغيره، عمرتم مجالسكم باللغو واللعب، وعطلتم مساجدكم من الذكر والأدب، وتثاقلتم عن الجمع، وسارعتم إلى البدع، كأن مُطالبكم نائم، ولئن نام أمير الأرض فإن جبار السماوات والأرض لا ينام ولا يغفل، ولا يضل ولا يجهل؛ فارحموا نفوسكم من التبعة في الدنيا ويوم القيامة، ونابذوا المفسدين، ولا تكونوا بطانة للمضلين؛ فإن مرتع الاغترار وخيم، وقواعد الظلم والعدوان لا تستقيم، وكم مغتر بالمهلة فاجأته، وأهلكته التبعة ولم تنفعه الندامة، ولا قبلت منه المعذرة، ولا مكن من الرجعة، فصار تفريطه عليه حسرة، وتذكاره له ندامة، ومعذرته عليه حجة، وندامته عقوبة؛ فعليكم بالنظر في

حلول العبر، فإن لكل أجل كتاب، ولكل نبأ مستقر، وإن كل عامل يوفى أجر عمله يوم القيامة، وإن عامل الدنيا آخره النار، وإن عامل الآخرة ثوابه الجنة، وليس بعد النار عقوبة، ولا بعد الجنة مطلب؛ وإن الخلود في النار أعظم أهوالها، وإن الخلود في الجنة أجل أحوالها، وإنَّ يوماً أو ليلةً يتوقع فيهما مفاجأة الموت لقمينان بأن يكونا موطن مخافة، ومحل فزع، ولئن تركنا والموت وما فيه وهو الموت ليخفن عظم الخطب، ويهونن فادح النكب، وإن بعد الموت أهوال الحساب، وفواقر العقاب، ولئن انقطع العقاب ليهونن عظيمه، ويصغرن كبيره، ولكن لا سبيل إلى الانقطاع، منعت من ذلك آيات الخلود، ووجوب صدق الوعيد؛ فعليكم بالصلاة فإنها عمود الملة، وتاج السنة، والزكاة فإنها طهرة المال، ونماء الكسب؛ والصيام فإنه جنة من النار؛ والحج، فإنه شريعة الخير، وسبيل التواضع؛ والجهاد، فإنه سنام الدين؛ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنهما عنوان الصلاح، ومفتاح النجاح؛ وإياكم وقذف المحصنات، وإتيان الفاحشات، وشرب المسكر؛ فإنه مفتاح كل شر، ما خير شراب يوجب في الدنيا الحد والنكال، وفي الآخرة العذاب والوبال، ألا وإن الربا من الكبائر، وإن فاعله حرب لله ولرسوله، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ۞ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٧٨-٢٨٠]، وإن حزب الله ورسوله حزب لنا، وعدو الله ورسوله عدو لنا، ولا صلح بيننا وبينه إلا بهلاك نفسه، واجتياح ماله، وما خيره بعد ذلك ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[الحج:١١]، وما ضركم لو جعلتم نصيبنا من أموالكم لمساجدكم فخففتم من ظهوركم، ونقصتم من أوزاركم. وكان على أمير المؤمنين معونتكم، وحمل ما بهضكم، وما عليكم لو سميتم عدة معلومة تبعثونهم إلى كل وجه من وجوه الجهاد التي يدعوكم إليها أمير المؤمنين، فيعلو بذلك ذكركم، ويعظم أمركم، وتودع بطون الأوراق أفعالكم، فتجددوا ما كان لآبائكم مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الذكر الجميل، وتحيوا بذلك سنن الصالحين؛ فإنا نرجو أن يطول الله سبحانه مدة دولة الحق حتى ينقطع في ضمنها أعناق الجبارين المتكبرين وهي قشيبة البرد، عالية الحد، دائمة السعد فما ذلك على الله بعزيز؛ أما إني أقسم قسماً ليزول ريب المتعللين، وينزاح تلبيس المتأولين بالأرواح المقدسة، والأشباح المطهرة، محمد أبي، وعلي جدي، وفاطمة أمي، والحسن والحسين سلفي؛ لئن

لم ينته المفسدون عما بلغني لأنزلن بهم قاصمة تحترق الطارف والتالد، وتنسي الولد الوالد، لا أستثني إلا مشيئة الله ربي، وعون خالقي حتى يقول قائلكم: هلك سعد فانج يا سعيد، فيروم سعيد ذلك وقد صار منه بعيد، وإذا له عن اليمين وعن الشمال قعيد، يحولان بينه وبين ما يريد، وليأخذن قوم مال قومٍ وهم ينظرون يقيناً لا تناهبه الظنون، فرحم الله من رحم نفسه، ولم يعرض للهلاك مهجته، ألا وإني وإياكم في وقت قد رد الله فيه الأمر إلى ورثة الكتاب من العترة الطاهرة، والذرية الطيبة، والشجرة المباركة أدلة الخير، وقادة الرشد، وأقمار الهدى، جبال الحلم، وبحار العلم، وثمرة الحكمة، ومفاتيح الرحمة وقد طال ما دالت دول الظالمين، والعاقبة للمتقين، وهم المتقون ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾[القصص:٥، ٦]، فهذا زمانهم وأوانهم، فلينقطع طمع الطامعين في زوال أمر قد أحكم الحكيم أسبابه، وشد أطنابه، وأعلى قبابه، وأهمى بغيث الرحمة سحابة؛ فكم من رافع بصره إليه يرجو نفاعته صبت عليه منه صاعقة، ومن شاخص إليه بطرفه اختطفت بصره البارقة؛ فأسعد الناس بدولة الحق من أطلق فيها عنانه، وسدد سنانه، وبسط يده ولسانه، ووطن على الصبر، واحتمال الأنفال جنانه، فلم تظهر دعوة ضلال إلا قمع شيطانها، ولا أغارت خيل جهالة إلا بدد أعوانها، ولا تمردت فرقة بغيٍ إلا ضيق ميدانها، ولا نبتت شجرة غلو إلا قطع أغصانها، ولا عمرت بنية ظلم إلا هدم أركانها؛ يا هذا عليك نفسك، كن جذيلها المُحكَّك وإن صرعك الحكاك، وعُذيقها المرجب وإن اخترمك الهلاك؛ إن الدار التي خلقنا لها أمامنا، وإن صبر ساعة أو عمل عمر من أعمارنا يورث دار الكرامة لأحمد صبرٍ وأسعد عمر؛ إن حق الرب جل وعلا علينا عظيم فيما مضى، فكيف فيما بقى من نعم الدنيا، وما نرجو من ثواب الآخرة غدا، الثبات الثبات رحمكم الله؛ فإنه من خاف الثبات لم ينم أبدا، شمروا فإن الأمر جد، وتزودوا فإن السفر بعيد، وتأهبوا فإن الرحيل قريب، وتخففوا فإن العقبة كؤود، ومن أمكنه أن يحمل من دار الدمار إلى دار القرار ما ينفعه فليفعل فإن ما خلف لغيره، لزوج ابنته أو زوجة ابنه، أو حليل زوجته من بعده، لهم نفعه وعليه تبعته ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾[الذاريات: ٥٠، ٥١]، وكونوا للمحق عوناً، وللمبطل خصما، ولا يغرنكم بالله الغرور، ومثلوا عند مغيب إمامكم حضوره، فإن لم يحضر فإن الله سبحانه لا

يغيب، وقد خاب من ليس له من رحمة الله نصيب، واشتروا أنفسكم من الله سبحانه بطاعته لتفوزوا بالسلامة في الدنيا ويوم القيامة، ووقِّروا الكبير، وارحموا الصغير، وأحسنوا يحسن الله إليكم، وكونوا لله يكن لكم، واذكروه في الرخاء يذكركم في الشدة، ولا تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة:٦٧]، ولا تغيروا ما بأنفسكم من طاعته فيغير ما بكم من نعمته ورحمته، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ﴾[الرعد:١١]، وتناصفوا الحق بينكم، وأجيبوا داعي الله، ولتكن أيديكم على المبطل واحدة، وكلمتكم متفقة، وأخلصوا لله سبحانه سرائركم، وساووا بين بواطنكم وظواهركم، ولا تتنابزوا بالألقاب، ولا تجعلوا مجالسكم أسواقاً للعصيان، ومجامع للطغيان فإن الأرصاد من الله سبحانه عليكم قائمة، قال عز من قائل: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٧، ١٨].

واعلموا أن من علم أن كلامه يكتب عليه ويحفظ، أحكم ما ينطق به ويلفظ، واعمروا قلوبكم بالخشية، ووطنوا أنفسكم على النصفة، ولتنفعكم التذكرة، وتنجع فيكم الموعظة، ولا تجعلوها عليكم حجة، وادعوا لإمامكم بالنصر والثبات فإنه ظلكم، وباب حطتكم، وفلك نجاتكم، ولا تستطيلوا مدة الحق، وتستثقلوا أيامه فإن الله سبحانه أراد به زيادة الإيمان، وقطع دابر الطغيان، وهلاك الظلم والعدوان؛ فلا تعرضوا للحق فإن من أبدى صفحته للحق هلك، والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى وادعة وبني صريم][1]

وكتب عليه السلام إلى وادعة وبني صريم:

إلى كافة من بلغه هذا الكتاب من الوادعيين والصريميين، سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

(١) الكتاب في السيرة المنصورية ١/ ٣٤٦-٣٤٧.

فإن الله سبحانه أقدر على نصرة دينه وإهلاك أعدائه[1]، لكنه تعالى بحكمته، وعموم رحمته، عرض الخلق لثوابه ونزول دار كرامته، بما فتح الله لهم من باب الجهاد في سبيله، وقد علمتم ما كان من الغشميين، والدوكليين[2]، إلا من تمسك بالحق من التمرد[3] عن أمر الله سبحانه والسعي بالفساد في الأرض ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[المائدة:٦٤]، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[الأنعام:١٤٧]، وقد أعطيتمونا لله سبحانه صفقة أيمانكم، على نصرة الحق بأموالكم وأنفسكم، وصبرتم على زلزال الخوف حتى أخمد الله نار الباطل، واشتدت قواعد الدين، ثم نجم من هؤلاء القوم ما نجم لغير أمر منا يعتدونه[4] حجة لهم عند أهل العقول، والله عز من قائل يقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:٢٢]، فكونوا من حزب الله رحمكم الله، وشمروا، وافعلوا ما ترضوا به إمامكم الأدنى، ونبيكم الأسنى، وربكم الذي له الأسماء الحسنى، وبيده الممات والمحيا، فإنا ما نخاف من تمادي ضلال هؤلاء القوم إلا أن يكلفونا على أن نحمل البلاد من العساكر المنصورة، الكثيرة الموفورة، ما يبغتها[5] ويضر بأهلها، ونحن نفرح بقوتها، ودفع المضار عنها، فقد علمتم أنا أمرنا بالصائح في قطع ضيفة تكون من قبلنا وعلف الخيل، ونحن نحوطكم حياطة الأم البرة، فاعملوا لله سبحانه، وأخلصوا نيتكم في طاعته، وشمروا في حرب القوم حتى يكون الدين كله لله، ومن العجائب أنه يبلغنا أن الأمير جعفر بن القاسم يبايعكم على نفي الظلمة؛ فإن كنت أنا الظالم، فأنا أتولى دفع شر نفسي من المسلمين، ولكن الله يعلم أني لو تأخرت عن البلاد لأخذ السحر عمامته شارداً[6] على الحقيقة، وإلا فأي يوم قد كاسر[7] فيه الظلمة، وإن كان من أهل ذلك ولكنه لم يفعل، والله المستعان؛ فانظروا في أمر يخلصكم عند الله تعالى، والسلام.

---

(١) في السيرة: على نصر دينه وهلاك أعدائه.

(٢) من أهل دوكل من بلاد بني صريم.

(٣) في السيرة: من المتمردين.

(٤) في السيرة: يعتبرونه.

(٥) في السيرة المنصورية: ما يتبعها.

(٦) في السيرة المنصورية: لأخذ الشحر عما منه شارداً، وقال المحقق في الحاشية: كذا في الأصل والعبارة غير مفهومة!!.

(٧) في السيرة: كاشر.

[كتابه عليه السلام إليهم أيضاً]

وكتب عليه السلام إلى وادعة وبني صريم أيضاً:

سلام عليكم فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى، أما بعد:

فإن الله سبحانه خلقنا وإياكم لطاعته، ونهانا عن معصيته، ولم يرد بطاعتنا زيادة في ملكه، ولا يخش[1] من معصيتنا نقصا في سلطانه؛ وإنما أراد ذلك بنا لمصلحة تعود علينا، وقد أصبحتم في دولة الحق[2]، بين يدي إمام محق؛ فأصلحوا ضمائركم لله سبحانه يصلح ظواهركم لكم[3]، ولا تمكنوا الشيطان من أنفسكم فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فمن ساعده نزع به إلى شر غاية، وقد وضعتم أيديكم بأيدينا، وكانت يد الله فوق أيدي الجميع ﴿**فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[الفتح:١٠].

ولما نجم الحادث من الناكثين ببلادكم من بعضكم، ومن انضاف إليهم من المارقين من بعضنا، قمنا بما يجب علينا لله سبحانه في حربهم[4]، ولم تقوموا بما يجب عليكم لله سبحانه من حرب أصحابكم، رعيتم حرمة المخلوق لقرابته منكم، ولم ترعوا حرمة الخالق لحقه عليكم، وقد علمنا سفك أحدكم لدم صاحبه في حق جاره، أو عصبته[5] حمية، أو طمع، [في دنيا فلم لا يفعلوا ذلك في حق ربكم الذي نعمه عليكم متواترة باطنة وظاهرة][6]، (فلم نسيتم حق الله)[7] وحق

---

(١) في السيرة: ولم يخش.

(٢) في السيرة: في دولة حق.

(٣) لكم: سقط من السيرة.

(٤) في السيرة: لله سبحانه وحزبه.

(٥) في السيرة: أوغضبة.

(٦) ما بين المعقوفين: سقط من الأصل وهو في السيرة.

(٧) ما بين المعقوفين: سقط من السيرة.

إمامكم الذي قذف بنفسه في[1] الأهوال دونكم[2] حتى أخمد نار الفتنة، وفقأ عين الضلال، ونمتم في منازلكم آمنين، وأكلتم ما قسم الله لكم وادعين، وعرفكم طرق السلامة، وخلط نفسه منكم بالخاصة والعامة كأحدكم إلا فيما يعز الدين فهو أخفكم إليه، وأصبركم عليه، وما نريد أن نمن عليكم، وإنما نريد تعريفكم؛ فاستيقظوا رحمكم الله وأعتبوا فليس بمسيء من أعتب[3] ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾[النور:٣١]، ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[الذاريات:٥٠]، فإن السر عنده علانية، والغيب شهادة، وإنه المطلع على ضمائر قلوبكم، فاحرسوا أنفسكم[4] من الله سبحانه، وقد عزم إمامكم مستخيراً الله سبحانه، مستعيناً به على الخروج إلى ذرية النار وبقية أهل الشقاق والنفاق من أهل مأرب، فاشحذوا عزائمكم وشمروا للنفير[5] في سبيل ربكم، وارحضوا درن أوزاركم في مداهنتكم قومكم[6]، وخلافكم[7] إمامكم، وجاهدوا في سبيل ربكم لتحرزوا ثواب المجاهدين، وتذكروا في سيرة الأئمة [السابقين، وتجددوا ما درس من فعل سلفكم][8] الصالحين، مع جدنا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين -سلام الله عليه وعلى آله الطيبين- واعلموا أنكم إن تركتم هذا الأمر وقضى الله تعالى أن ينصرنا فإنه ينصرنا ولو غاب عنا أكثر العالمين، فلا تخلفوا عنا فتصبحوا نادمين، ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد:٧]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[الأنفال:٢١]، ولا من الذين قالوا لنبيهم: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[المائدة:٢٤]، واجعلوا الجواب نفوسكم مع الواصلين من المسلمين إن شاء الله[9]، والسلام.

---

(١) في: سقط من السيرة.

(٢) دونكم: زيادة في السيرة.

(٣) في السيرة: من استعتب.

(٤) في السيرة: نفوسكم.

(٥) في السيرة: للسير.

(٦) في السيرة: نفوسكم.

(٧) في السيرة: وخلاف.

(٨) ما بين المعقوفين: سقط من السيرة.

(٩) الرسالة السابقة في السيرة المنصورية ١/ ٣٦٨-٣٧٤.

[كتابه عليه السلام إلى ولده الأمير محمد يعزيه في والدته][1]

وكتب عليه السلام إلى ولده الأمير محمد بن عبد الله يعزيه في والدته رحمة الله عليها ورضوانه:

الأمر لمُدبِّر[2] الأمور، ومقدر الآجال للصغير والكبير، وهو الخلف من كل سالف، والعوض من كل فائت، وإليه مرد ما بدأ، ومرجع ما ذرأ، وكل[3] عظيم يصغره جليل عوضه، وجزيل ثوابه و﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[آل عمران:١٨٥]، وإنك إن صغر سنك عن احتمال الرزية فلن يصغر عنها حسبك، فعليك بالصبر الذي هو شعار سلفك الصالح، ولك في جدك رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وقدوة مستحسنة؛ فقد مات أبوه وأمه فلم يضيعه ربه، ولا أفرده خالقه، وقد أبقى الله تعالى لك أباك إلى أجل هو بالغه، ومتعك بوالدتك حتى عقلت كثيراً من أمرك، وهذا من نعمه عليك[4]، فأحدث[5] لله عز وجل شكراً، وأقبل على ما أنت عليه من الدرس فلن يرد الأسف ما مضى، ولا قول لنا ولك إلا ما قال الصالحون: إنا لله وإنا إليه راجعون، نرضى بأمره وإن اشتد موقعه، ونسلم لحكمه وإن مرّت جُرعُه، ولا تغفل عن تعزية أختك فهي شقيقتك، وابنة أبيك وأمك عن والدتها، وطيب لها نفسها، ولا تحرج[6] بالمضايقة والمشاقة صدرها وإن كانت أكبر منك في السن، فلك عليها حق الذكورة التي فضل الله بها الرجال على النساء، قلوب الرجال أقوى، وبأسهم أمضى، ونسأل الله تعالى بحقه العظيم أن يجبر مصابكما فيمن مضى، وأن يحسن لكما عنه[7] العزاء، ويخلف عنه[8] لكما خلفاً صالحاً، والسلام.

---

(١) كتاب يعزيه والدته في السيرة المنصورية ١/ ٤١٤ـ٤١٥.

(٢) في السيرة: لمسير.

(٣) في السيرة: وكم.

(٤) في السيرة: من نعمة الله عليك.

(٥) كذا في السيرة وفي الأصل: فأحدب.

(٦) في السيرة: ولا تجرح.

(٧) في السيرة: فيه.

(٨) عنه: زيادة في السيرة.

[كتابه عليه السلام إلى صعدة وقد استشهد أخوه صارم الدين][1]

وكتب عليه السلام إلى صعدة وقد استشهد أخوه صارم الدين إبراهيم بن حمزة رحمة الله وبركاته عليه:

لا مطمع في البقاء، ولا زاد إلى المعاد[2] إلا البر والتقوى، أما بعد:

فإن الموت حوض مورود، وسبيل مقصود، وبعده حساب وعقاب، وجنة ونار، ولا بد لكل نفس منه، ولا محيد لمخلوق عنه، وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران:١٨٥].

وإن أشرف أنواعه القتل في سبيل الله سبحانه، الذي جعله الحكيم تعالى ثمناً للمصير إلى جنانه[3]، والخلود في رضوانه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة:١١١]، ولما فرض الله سبحانه علينا الجهاد، وألزمنا حكمه، نهضنا له مشمرين، وبه مستعينين؛ فمن الناس من أقبل، ومنهم من أدبر، والمقبل فائز، والمدبر عاجز، ولما كانت ليلة[4] خلت من شعبان جهزنا المجاهد في سبيل الله، المتجرد لأمر الله جيشاً[5] فيه الأميران: صفي الدين محمد ابن إبراهيم، والصنو المرحوم صارم الدين إبراهيم بن حمزة؛ فلما وصلوا مطرة نفروا شيع

---

(١) الكتاب في السيرة المنصورية ج١ ص٤٢٦-٤٢٨.

(٢) في السيرة: ولا راد للمعاد.

(٣) في السيرة: جنامة.

(٤) في السيرة: ولما كان لليلة.

(٥) جيشاً: سقط من السيرة.

الضلال من سهولها والجبال، وقبضوا رهائنها، وجرت الحرب، وتواترت جنود الضلال[1]، كقطع الجبال، وخذل الجند الصابر بعض[2] من وثقوا به من العوام الضلال، فصبر أهل الحفاظ، فقام الصنو صارم الدين مجاهداً صابراً في عصابة يسيرة من الأمراء والطالبين ما عند الله من حماة الورى، فركبتهم الجنود الظالمة [كقطع الحبال][3]، فرزق الشهادة، (وفاز بالسعادة)[4]، وعند الله نحتسبه[5] صابرا محتسباً مقبلاً غير مدبر، فجزاه الله عنا وعن الإسلام خيرا، فلقد جدد ما درس من مآثر آبائه الأطهار، وأحيا من[6] الصبر سنة في وقتنا كانت عافية الآثار، فأحسن الله للكافة من الإخوان من المسلمين فيه العزاء، وجبر لهم عظيم المرتزى، وخلفه علينا وعليهم بأحسن الخلافة وفيمن أصيب معه من المسلمين، فرحمة الله عليهم أجمعين؛ وقد قطعنا التعزية إلا بالمواعظ في الكتب، والتذكير بالله سبحانه، لأنا في شغل بجهاد الظالمين، ونسأل الله تعالى النصر عليهم، وأن يديلنا منهم[7]، والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى الأمير جعفر بن القاسم][8]

وكتب عليه السلام إلى الأمير جعفر بن القاسم وقد أتاه إلى حوث يطلب الولاية عقيب منابذته وخلافه بدرب شاكر[9]:

فهمنا ما ذكره الأمير من وقوفه في غير قضاء حاجة، وعندنا أن أصول أمرنا قد انصرمت،

---

(١) في السيرة: شيع الضلال.

(٢) في الأصل: بعصر.

(٣) ما بين المعقوفين: زيادة في السيرة.

(٤) ما بين القوسين: سقط من السيرة.

(٥) نحتسبه: سقط من السيرة.

(٦) في السيرة: في الصبر.

(٧) في السيرة المنصورية: وإن يمكنا منهم، قال المحقق في الحاشية: في الأصل: يزيلنا!!.

(٨) جعفر بن القاسم القاسمي، خالف الإمام ونابذه وحرض عليه أهل درب شاكر وغيرهم سنة ٦٠٠هـ وتسبب في معارك كثيرة انتهت بأسره على يد قوم من بني صاع فسلبوه وخلوا سبيله. السيرة المنصورية ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٥.

(٩) الكتاب في السيرة المنصورية ١/ ٤٦٤-٤٦٧.

ومواد العناد قد انحسمت؛ وذلك أن الأمر إذا بني على الصحة وصحت الإمامة كان العناد والخذلان إن وقع من موجبات الحسرة والندامة في الدنيا ويوم القيامة، وما ذكره من مشورة الخاصة والعامة؛ فنحن في أمر لا يغبى وجه صوابه، ورضى الله تعالى منوط بالتمسك بأسبابه، وقد صرت من كبار الشرف سناً وقدرا، ونحن في وراثة نبوة؛ وهل علمت في سيرة الأئمة السابقين أو سيرة النبيين[١] أن تولَّى الأعمال من سألها؟ فإن شككت في شيء فلست تشك في وصولك إلى الجوف وما جرى من الأمور التي لم تقع فيها مساعدة، فلما جرت منك المعاونة دعيت إلى ذلك، وطلب منك ما هنالك.

فأما ولاية السوم فهي لغير الذرية الزكية، الطاهرة المرضية، ولست أخاف ما يخاف الملوك، هم يخافون خروج الممالك من أيديهم، ويصلحون دنياهم بما يجوز وما لا يجوز، ونحن نخاف معصية الله سبحانه، فنصلح ديننا بما يهون وما لا يهون[٢].

وأما ما ذكر من أنه لا لوم عليه بعد ما عرض نفسه للخدمة، فكرهنا، فليس من تكره خدمته ولا تنكر لحمته، وخدمة مثله قود عسكر، وصعود منبر؛ وأمر بمعروف ونهي عن منكر، ومن كره له هذا فكرهه الله، وأما جباية الأعشار، وجمع الدرهم والدينار، فذلك شغل غيره ممن يطلب[٣] بالحساب، وينهر عند الخطاب، وأما تسرعه للمصدر[٤] فغير ذلك به أجدر؛ لأنه من شيوخ الحضرة، وأكابر العترة، وعند استقامته في الطاعة[٥] لله سبحانه ولإمام الحق ينساق إليه من الأرزاق[٦]، ويتصل به من الإرفاق ما يوفي على آماله، ويصلح المختل من أحواله، وهو فليجعل الدين أساس أمره، ويخاطر بدنياه، فلا يمتنع أن يجمع الله له الدين والدنيا فما ذلك عليه بعزيز،

---

(١) في السيرة: أو سنة خاتم المرسلين.

(٢) في السيرة قال: إلى هنا ينتهي توجيه الخطاب إلى الأمير جعفر بن القاسم ثم يبدأ الإمام بعد ذلك بتوجيه الحديث إلى شخص آخر يشرح فيه موقفه من الأمير.

(٣) في السيرة المنصورية: يطالب.

(٤) في (ب): وأما سرعة المصدر.

(٥) الطاعة: سقط من السيرة.

(٦) في السيرة: تنساق إليه الأرزاق.

فلا يجعل طلب نفع[1] الدنيا أساس أمره فيخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

ويعلم[2] أنه إذا شمر في أمر الله سبحانه، وتجرد للجهاد في سبيل الله[3] كان المطالب لـه[4] بـما يستحق من لا تجد سبيلاً إلى دفعه وهو الله سبحانه؛ لأن معونته تكون واجبة ديناً ودنيـا، وعقـلاً وشرعا.

وأما قوله هو بنفسه، فلا يكلفه الله إلا[5] نفسه، وما نفسه بقليل، فينظر في هـذا الأمـر بفكـرة صائبة[6]، وروية ثاقبة[7]، ويعلم أن رسول الله ﷺ يقول في خـبر طويـل: «مـن أصـلح سريرتـه أصلح الله علانيته، ومن عمل لآخرته كفـاه الله أمـر دنيـاه»، هـذه شـهادة عادلـة مـن صـادق لا يكـذب، شـفعت قولـه تعـالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق: ٢، ٣]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق: ٣]، فما بقي للمظلوم[8] بعد هذا.

اعـلم أن من طلب الثواب قبل العمل خالف حكم الباري عـز وجـل، قـال تعـالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[السجدة: ٢٤]، وإذا صبر الإنسان ونصح استحق مـن الخـالق الثواب ومن المخلوق الثناء، وفاز بأوفر[9] الأجزاء، وقد طال الـشرح واقتـضى ذلـك داعـي[10] قرابته، وإيثار حاجته[11]، وحفظ صحابته، والسلام.

---

(١) نفع: زيادة في السيرة.

(٢) في السيرة: وتعلم.

(٣) في السيرة: في سبيله.

(٤) في السيرة: به.

(٥) إلا: سقط من السيرة.

(٦) في السيرة: بصائبة، وقال المحقق في الحاشية: والأصل صائبة.

(٧) في السيرة: باقية.

(٨) في السيرة: المطلوب.

(٩) في السيرة: بأجزى.

(١٠) في السيرة: واقتضى ورعي قرابته.

(١١) في السيرة: إجابته.

[من آخر كتاب له عليه السلام إلى الشريف سالم بن القاسم بن المهنا الحسيني صاحب المدينة]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب إلى الشريف سالم بن القاسم بن المهنا الحسيني صاحب المدينة على ساكنها محمد وآله أفضل الصلاة والسلام[1]:

لقد بلغنا في حرم جدك رسول الله ﷺ ما يسوؤنا من الملاهي والمعاصي وشرب المسكر، وعدوان السفهاء على الزوار، بسرق الأمتعة؛ فما عذرك وأنت وليه والقائم عليه، ولك من وراثة النبوة ما يتضاعف عليك به التكليف، ويتضاعف لك بالتزامه الأجر، فتيقظ أيدك الله بتوفيقه.

وقد بلغنا ما بينكم وبين الشريف الأمير أبي عزيز -أعز الله الجميع وجمع شملهم- من قطيعة الرحم، وسفك الدماء، والتعرض لما يقع به التدابر والتواتر[2]، وما هذا يليق بتلك المعارق الرضية، والأصول الزكية[3]، والمنابت النبوية، والمناصب العلوية؛ وإذا أردتم الحق جميعاً لم تختلفوا، وإذا أردتم الباطل فلا خير في الجميع؛ لأنه لا يليق بأهل هذا البيت إلا الصلاح، واقتفاء الأثر، ولا تلحق الذرية الطيبة السلف الصالح إلا بذلك، [قال الله تعالى][4]: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[الطور:٢١]، وقد تقدمت منا مطالعة إليكم وما رجع لشيء منها جواب، وكدنا

---

(١) السيرة المنصورية ٢/ ٥٣١-٥٣٢.

(٢) في السيرة: التدابير والتهاجر، وفي حاشية المحقق: وقعت الحرب بين الأمير قتادة الحسني أمير مكة وبين الأمير سالم بن قاسم الحسيني أمير المدينة بذي الحليفة بالقرب من المدينة وكان قتادة قد قصد المدينة ليحصرها ويأخذها فلقيه سالم وأجبره على الانسحاب، ثم تبعه إلى مكة وحاصره بها، فأرسل قتادة إلى أصحاب سالم من الأمراء واستمالهم إلى جانبه وحالفوه، فلما رأى سالم ذلك رحل عنه عائداً إلى المدينة وتوطد أمر قتادة في مكة.

ابن الأثير، الكامل جـ١٢ ص٢٠٥، عمر بن فهد، إتحاف الورى ص٣-٤، عز الدين عبد العزيز، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام جـ١ ص٥٥٢-٥٥٤.

(٣) في السيرة: بتلك المعارف والأصول الزكية.

(٤) زيادة من السيرة.

أن ننقد[1] في ذلك، وإن كانت الغيوب محتملة، والظن جميلا.

واعلم أيدك الله أنه إذا اجتمع أهل البيت سلام الله عليهم وقد كثرهم الله سبحانه واستجاب دعوة جدهم صلى الله عليه وآله فيهم حيث قال لعلي وفاطمة سلام الله عليهما وعلى الطيبين من آلهما: «جمع الله شملكما، وأطاب نسلكما، وأخرج منكما كثيراً طيباً»، فله الحمد[2] كثيراً، نالوا أغراضهم، وجددوا معالم دينهم، وكبتوا أعداءهم، وهم لا يفتقرون إلى جند من غيرهم إذا اجتمع شملهم، واجتهدوا[3] في جمع الشمل، ولم الأمر.

وبلغنا أنكم قد بدوتم والبادية جيدة[4] وفيها طيبها وشذاها ونزهتها ومتعتها ولكنا نخشى معها الجفوة، وقلة المعرفة بسير الآباء، وعلوم السلف الصالح من الأئمة النجباء سلام الله عليهم فلا تقع غفلة عن طلب العلم واقتباسه، فإن به يستضاء في الظلمات، وتحل الشبهات، وتفك المشكلات، وتعلو الدرجات، ولو جاء من ناحيتكم إلينا من تكون له رغبة في العلم، وحرص في طلب الخير، فلا ضير، وقد قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة:١٢٢].

[جوابه عليه السلام على كتاب من الفقيه علي بن يحيى][5]

وكتب عليه السلام جواب كتاب أتى من وقش من الفقيه علي بن يحيى يذكر فيه كلاماً بلغه في أذيتهم من بعض أهل المدرسة بذمرمر؛ وذلك أنه حكى طرفاً من مذهبهم بحضرة رجل منهم فعده سباً:

---

(١) في السيرة: ننفد.

(٢) في السيرة: فالحمد لله.

(٣) في السيرة: فاجتهد.

(٤) في السيرة: وبلغنا أنكم بدأتم بداءة جيدة، هكذا أثبتها المحقق وأشار في الحاشية إلى أنها في الأصل: بدوتم والبادية.

(٥) هنالك كتاب آخر في السيرة ص٦١-٦٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

-وفي صدر الكتاب هذه الأبيات- جواباً عن أبيات وصلت منه:

دعــــاني أبـــو لـــيلى وللخيـــل قـــصفة

وللنبـــل خـــسف مـــن أمـــامي ومـــن خلفـــي

وكـــان امـــرءاً ممـــن أبـــث سرائـــري

وأمنحـــه محـــض المـــودة بـــل أصـــفي

فـــلما جـــاءني وداً ولكـــن تقلبـــت

قلـــوب وأعـــدى الـــشر عاديـــة الحلـــف

أحـــين أشـــاحت واســـتقلت رجالهـــا

وخـــاض بنوهـــا في بحـــارٍ مـــن الحتـــفِ

وماجـــت بأمثـــال الجبـــال وإنهـــا

لأعظـــم ممـــا قـــد تـــضمنه وصـــفي

توقـــف قـــوم حـــين لات توقـــف

ولم أقـــف عـــنهم بـــل أقـــرب أو أقفـــي

فـــإن يقبلـــوا فـــالنفع والـــضر واحـــد

وإن يـــدبروا فـــلما نزلـــت عـــلى خـــسفِ

فكـــم زاخـــر طـــامٍ بـــسطت لـــه يـــدي

وكـــم حـــادث صـــعب بنيـــت لـــه عطفـــي

وأيـــة يـــوم قلـــت للحـــرب جنبـــي

ومـــن أيـــما خطـــب عضـــضت عـــلى كفـــي

أما والجياد الجرد تردي إلى الوغى
بصيد كأمثال المهربة الغصف
لئن لم يقم سوق الهدى لا تركتها
تنام إذا ريع السنام من الخفِّ
أأشياع زيد دعوة علويةً
أجاب لها قلبي وصاحبها طرفي
هلموا إلى داعٍ دعاكم إلى الهدى
بصبر يحط اللج ممتنة القف
فما يستوي المستنصرون بدينهم
وقوم حيارى يعبدون على حرفِ
ومستقدم فيما أتاه على هدى
وكالقهقرى غاوٍ يسير إلى خلفِ

[كتابه عليه السلام إليه مرة أخرى]

فعاد جواب الفقيه يعتذر فيه ويذكر أن المطرفية لم يساعدوه، فكتب عليه السلام جوابه:

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك التوفيق لما يحب ويرضى، أما بعد:

فإن كتابك وصل إلينا بتحقيق الموجب لما تقدم وتأخر من المراجعة، فيما يقطع المشاحنة والمنازعة، ويؤدي إلى الألفة، ويمنع الخلفة، وتلك سبيل الصالحين، وشعار أهل الدين، وقد كان ذلك كما ذكرت أولى، وجرت به السنن أولا، ثم نجم بعد ذلك ناجم الخلاف بالطعن والتخلف

لغير حدث أوجب ذلك ولا رأي يقبل، بل على منهاج السلف الصالح سلام الله عليهم وسنن الحق الواضحة المبينة، زادها الله على مرور الأيام ظهوراً، ورد طرف كارهها حسيرا، وهذا لم يكن ظننا بمن ينتسب إلى الزيدية من بين فرق الإسلام؛ لأنها المختصة بأهل هذا البيت عليهم السلام كما روي عن المتسمى بالرشيد أنه قال: (والله ما بيني وبين الإمامية خلاف، ولئن خرج إمامهم على صفتهم لأكونن أول من يتبعه ويسلم له، وإنما عدوي هؤلاء الزيدية، كلما خرج من أهل هذا البيت خارج تحنطوا، وأصلتوا أسيافهم بين يديه، يطلبون الجنة).

وهذه صفتهم رحمهم الله خرج منهم بين يدي محمد بن محمد رضوان الله عليه بالكوفة أربعة آلاف متحنط، فهزموا هرثمة بن أعين وهو في عشرة آلاف فارس وثلاثين ألف راجل، وحق الآخر من العترة عليهم السلام على الآخر من الأمة تولى الله رشدها كحق الأول على الأول حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، ومعرض الشك قائم في الجميع وقد استوى الكل من المكلفين على عهد رسول الله ﷺ في العلم بمعجزاته، فلم يعقلها إلا العالمون، ولا اهتدى بها إلا المهتدون؛ فكيف بمن هو دون رسول الله ﷺ في أدلة استحقاق دعاويه، فيما جعله الله سبحانه ولم يقصد بما قمنا له مع العلم بعظمه وصعوبته إلا الخروج عن عهدة ما لزم المستحفظين، من ورثة الكتاب المبين، وأهم الأمور علينا ما يعود على الزيدية أصلحها الله بلم الشمل، وطرد دواعي الجهل، وقد كان فيما تقدم لهم عذر وإن كان غير واضح في الاختلاف، فما العذر بعد قيام قائم آل محمد صلوات الله عليه وعليهم إنما الخلاف قبله، وعنده يرجع الجميع إلى رأيه، وتنقطع دواعي الفتنة بميمون نظره ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء:٥٩]، فلم يخلقكم الحكيم سبحانه عبثاً، ولم يهملكم سدى، فله الحمد كثيراً، وقد قال ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» [١].

ومعلوم أن أمة نوح عليه السلام هلكت إلا من ركب السفينة، كذلك هذه الأمة إلا من تمسك بالعترة، وليس لقائل أن يقول: نتمسك بمن تقدم دون من تأخر؛ لأن ذلك لم يكن عذراً لليهود لعنهم الله في إيمانهم بموسى عليه السلام ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام مع رفض

---

(١) سبق تخريجه.

عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وعلى الطيبين من آله وكذلك النصارى لعنهم الله في عيسى وإيمانهم به وبمن قبله، ورفضهم لمحمد ﷺ وذلك لأنهم فرقوا بين النبيين، كذلك لا عذر لمن فرق بين الأئمة الهادين سلام الله عليهم أجمعين ودعوى من يدعي على الآخر خلاف الأول غير مخلص لأن الكل داع ولكل نبي عدو من المجرمين، ولكل إمام عدو من الفاسقين الناكثين والقاسطين والمارقين، وما نفرت عن أحد منهم فرقة إلا جعلت لنفارها علة، وتمسكت بأمير، وادعت أنه الدين، وشنعت وطعنت وربما تعدّت فلعنت؛ وذلك لا يرد صاحب البصيرة عن بصيرته ولا يلبس عليه ما تجلى من معنى مقصوده وصورته، قال ﷺ: «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يُكاد بها الإسلام وليا من أهل بيتي موكلا، يعلن الحق وينوره، ويرد كيد الكائدين، فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله»، وفي الحديث عنه صلوات الله عليه وآله: «من قاتلني في المرة الأولى وقاتل أهل بيتي في المرة الآخرة كان من شيعة الدجال».

قضى ﷺ بكون معادي أهل بيته من اليهود حكماً وإن برأ عنه لفظاً، يؤيد ذلك حديث جابر: «من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً، قال جابر قلت: يا رسول الله، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم؟ قال: وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»، ولا شك عند أهل التحصيل أن الفسق من جهة التصريح لا يترجح على الفسق من جهة التأويل.

وقد علمت أيدك الله أن الكل من مخالفي فرق الإسلام مجتهد يرجو السلامة، وكل قائم من أهل البيت عليهم السلام يدعي أن دعوته باب الجنة وبيعته مفتاحها، قال ﷺ:«من مات وليس بإمام جماعة ولا لإمام جماعة في عنقه طاعة فليمت ميتة جاهلية»، والحديث الظاهر: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، فعند الزيدية أن لا بد منه، ولا يخلو الزمان طرفة عين عنه إما استحقاقاً وأمسك لعذر من قبل الأمة، وإما ظاهراً يدعو خلاف قول الإمامية ومن انتسب إليها، وفي المعنى الثاني: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم»، وأقل أحوال هذه الآثار الشريفة أن يظن العاقل صدقها فيقع في خوف عظيم، وقد استوى في العقل وجوب دفع الضرر المظنون كما تقرر وجوب دفع المعلوم؛ فإن رأيت أن تأتي بجماعة من

أهل العلم والعقل والإنصاف، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة:١٢٢]، فإن كانوا على بصيرة في تأخرهم ازدادوا يقيناً، وإن كانوا على غير بصيرة فأهل التدين أولى من رجع إلى الصواب؛ لأن غرضهم طلب النجاة وسبيلها، وهي ضالتهم، فلا تأس في ذلك بل هو عين الصواب.

وأما ما ذكر مما كان في صعدة، فعلم الله تعالى ما علمناه إلا من كتابك، وقد بلغنا من الناحية كلام يطول شرحه

تمناني ليلقاني لقيط

أعادم لك ابن صعصعة بن سعد

الكل إلى غير ذلك أحوج، هذي منابر آل محمد صلوات الله عليه معطلة من ذكرهم منذ دهر طويل، وفيئهم مأخوذ، وحقهم مغصوب، وثارهم مطلول، والفرقان فيما اختلفوا فيه موجود ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[النساء:٨٣]، فأما إذا لم يبق إلا المغالبة فما أحد يخبئ على نفسه النجدة كما قال ضرار بن الخطاب:

وعن أي نفس بعد نفسي أقاتل

وكان صاحب الأمر إذا اضطرته الحرب هادن، وإن قام عمودها باين؛ فأي الفريقين كان أوهى وصل الأرض قبل صاحبه؛ فانظر في ذلك بما يوفقك الله سبحانه له، ويعينك عليه؛ فصاحب هذا الأمر على وجهين: إما أن يظهر فأقبح الأمور على من ينسب إلى الدين أن يظهر عليه وليس معه لسان صدق، وإما أن لا يظهر وقد حق له استحقاقه كانت حسرة؛ فأكبر الأئمة لم يطبق على إمامته إلا بعد موته وإن لم يظهر له حجة على استحقاقه كانت شبهة يجب أن يكون في حلها على يقين ولم يرتكبها على الخطر، ويتمسك بحبل الغرر وهو متمكن من الاستبصار بالوصول إليه، والمراجعة له في أموره، والسلام.

[من آخر كتاب له عليه السلام إلى عبد الله وأحمد ابني سعيد الكردي من بني ربيعة][1]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب إلى عبد الله وأحمد ابني سعيد الكردي من بني ربيعة[2]:

وقد بلغنا محاربتكم، والبصيرة يجب أن تُقدم على القتال كما روي عن زيد بن علي عليه السلام أنه قال لأصحابه: البصيرة البصيرة ثم القتال، إن من قتل نفساً يشك في ضلالتها كمن قتل نفساً بغير نفس. والأمة مجمعة على أنه لا يجوز القتال إلا على بصيرة، وإذا كانت إمامة بني العباس (صحيحة)[3] لم يجز قتال من اعتزى إليهم، وإن لم تروا بإمامتهم فلا بد أن تلتزموا إمامة الرضى من أهل بيت نبيكم ﷺ لتكونوا محقين، ومن حاربكم باغياً قصدتموه بالحرب أم قصدكم، وهذا لا يخفى على عاقل منصف، فأما حالكما فقد علم الله ما سببناكما وإن كتبنا إلى ظهير الدين مفضل بن منصور في أمركما متواترة لكونكما من كبار العرب، ومحل الرفعة، ونحن نرجو بالعرب ولها ما يرجو أكثرها بنا ولنا، ولم تزل عترة محمد ﷺ من هذه الأمة إلا القليل مجفوة، وهي على الجفوة صابرة، وعلى النصح للأمة[4] مثابرة، ولو أن محمداً ﷺ خلّف بهيمة من البهائم لكان على الأمة تشريفها وتمييزها على سائر البهائم فكيف بأقمار دجى، وأعلام هدى، وبحار ندى؛ انظرا رحمكما الله تعالى فبالمأموم يعرف الإمام لأنه يده ولسانه، وإذا كانت بغداد دار هجرة إمامهم[5] وخمرها لو صُب لجرى نهراً، كيف تصح الإمامة؟ وهل يقود الأعمى الأعمى؟ ويداوي العليلُ العليل! ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[الحج:٤٦]، أخذ الله بنواصيكما إلى الرشد، وعرفكما نهج السلامة.

---

(١) السيرة المنصورية ٢/ ٥٥٧-٥٥٨.

(٢) قال في السيرة المنصورية: وهما مذحج، وبلاد بني حبيش، وكانا ينتحلان مذهب الجبر فقد حاربهما الشيخ ظهير الدين مفضل بن منصور بن أبي رازح وضيق عليها الأنفاس، وطالب أهل بلادهما بتسليم الحقوق الواجبة، فأتى كتابهما يستغيثان منه ويسألان الشفاعة إليه، ويذكران بعد ذلك أنهما يحضران معه في مقامات الحرب وينابذان الأعداء من الغز وغيرهم، فكتب إليهما في عقب كتاب.

(٣) سقط من السيرة.

(٤) في السيرة: لها.

(٥) في السيرة: إمامكم.

[من آخر كتاب له عليه السلام إلى حراز إلى بني سهل][1]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب إلى حراز إلى بني سهل[2] قال فيه:

اعلموا أيدكم الله بتوفيقه أن الناس اليوم على ما كانوا عليه أمس وقد أصفق[3] على أمير المؤمنين هذان الحيان: مذحج وهمدان، ثم ذراريهما على ذلك إلى الآن، إلا أن بعض همدان قد أصيبت بآفة في حب آل محمد صلوات الله عليه وعليهم وهو الغلو، أحبوهم حتى أبغضوهم، وفرقوا بينهم[4]، وطلبوا معدومهم، ورفضوا موجودهم؛ فنسأل الله العافية، فلم تزل الآفات تصيب الناس في الأبدان والأديان، وأنتم من صميم همدان وجراثيمها[5] الشريفة، وبلغنا أنكم تقيمون[6] جمعتين، والصواب تحكيم العقول لأنها حجج الله على خلقه، لم سمي رحمكم الله الخليفة خليفة، أليس لقيامه مقام رسول الله ﷺ فهل تعلمون أن صاحب بغداد قام مقام رسول الله ﷺ أو يدعي هذا أحد[7] ممن لا ينكر المشاهدات، أو ليس يشرب الخمر، ويضرب له بالعيدان، ويفعل ما تعف[8] ألسنتنا عن ذكره، ولا نسلم من نقصه لمكان قرابته، إنا رحمكم الله وإن كنا عترة رسول الله ﷺ فلا نغر نفوسنا بالأماني الباطلة وأنا ندخل الجنة بغير عمل، بل بالعمل الصالح ورحمة الله سبحانه في التجاوز عن الصغائر والهفوات، ومن أطاع الله سبحانه منا ضوعف له الثواب، ومن عصاه ضوعف عليه العقاب، وقرابتنا من رسول الله ﷺ توجب أن

---

(١) السيرة المنصورية ٢/ ٥٥١_٥٥٥.

(٢) قال في السيرة: وقد أتى كتاب من الشيخ علي بن سليمان، وكان قد أعطاه ولاية حراز وما يتصل بها وكان أهلها وبعض قرابته على مذهب الجبر، فلم يزل حتى مال إليه طائفة جزيلة منهم وصارت على مذهب العدل والتوحيد تقيم الجمعة للإمام عليه السلام والطائفة الأخرى تقيمها لصاحب بغداد وكان له من العناية بأمرهم والاجتهاد ما أثر في تلك الجهات وصار الغالب عليهم اسم الزيدية، فكتب الإمام إليهم في آخر كتاب كلام نسخته.

(٣) أصفق: اجتمع.

(٤) في السيرة: وفرقوا دينهم.

(٥) جراثيمها: أصولها.

(٦) في السيرة: تصلون.

(٧) أحد: سقط من السيرة.

(٨) في السيرة: تقف.

نلتزم من الدين أضعاف ما يفعله المسلمون؛ لأن أبانا سلام الله عليه وآله الذي شرع الشرائع، وسن السنن؛ فنحن أولى الناس باتباعه، واقتفاء آثاره، واحتذاء أمثاله.

واعلموا أن أبا حنيفة والشافعي رحمة الله عليهما كانا لا يعتقدان إمامة من هو أفضل من صاحب الوقت ممن يدعي ذلك اليوم من بني العباس؛ [لأن أبا حنيفة رحمه الله كان في عصر أبي جعفر الثاني من بني العباس][1]، وقد كان بقي للدين عندهم جلاله، فلما قام عليه إبراهيم بن عبد الله عليه السلام كتب إليه أبو حنيفة: (أما بعد فإذا أظفرك[2] الله بآل عيسى بن موسى فسر فيهم بسيرة أبيك في أهل صفين؛ فإنه قتل المدبر وأجهز على الجريح، ولا تسر فيهم بسيرته في أهل الجمل؛ فإنه لم يقتل المدبر ولم يجهز على الجريح). فلما قتل إبراهيم عليه السلام وجد الكتاب فأنزله[3] إلى بغداد، فسقي شربة مات منها شهيداً في حبنا أهل البيت وكان يفتي بالخروج مع إبراهيم، وسأله رجل عن الحج؟ قال: اخرج إلى إبراهيم فغزوة في سبيل الله أفضل من خمسين حجة، فقال له رجل: لم لم تخرج؟ قال: ودائع كانت للناس عندي[4].

والشافعي رحمه الله كان داعياً ليحيى بن عبد الله في عصر هارون المتسمي بالرشيد في قصة تطول.

ومالك بن أنس رحمه الله سئل عن الخروج مع إبراهيم، فأفتاهم به، قالوا: في أعناقنا بيعة لأبي جعفر، قال: ليس على مكره يمين.

وما أعلم القول بإمامة الفاسق لأحد من أهل العلم، ولا يختلف أحد من أهل العقول فضلا عن أهل العلم في فسق شارب الخمر ومن يأتي فاحشة، حاشا جماعة المسلمين، ولا يختلف أحد في شرب الأولين من خلفاء بني العباس وآخرهم للخمر ما خلا السفاح وأبا جعفر المسمى بالمنصور (والمهدي في آخر أيامه)[5]، وقد علمنا من حال أحدكم في شراء الشيء الهين من متاع

---

(١) ما بين المعقوفين: سقط من السيرة.

(٢) في السيرة: أظهرك.

(٣) في السيرة: فأمر له.

(٤) في السيرة: عندي للناس، وذكر الإمام عبد الله بن حمزة القصة في (الشافي) جـ١، ص٢٠٢.

(٥) ما بين القوسين: سقط من السيرة.

الدنيا لو أمر خادمه أو ولده ليشتري بقلاً واستكثر الطعام واستقل البقل ضاق صدره خوف الغبن، فكيف يتساهل في ثمن الجنة وفكاك الرقبة؛ وإنما يكب رحمكم الله كما قالت العامة على الضفع[١]، فأما الرجال أهل العقول فلا يكب عليهم.

والغرض أن تعلموا أحد أمرين: إما أن يعترف من يلازمكم ويأمركم بالخطبة[٢] والشهادة على ذروة المنبر أن شهادته للعباسي بالصلاح شهادة زور، فأنتم لا تصلون الصلاة إلا وقد انتقض الوضوء للقول والاستماع، وإما أن يقول ما شهد إلا بحق فقد غلب في الظن أنه لا ينقطع من تحجج[٣] منكم في هذه السنة المباركة -إن شاء الله- وأنا ألزم نفسي أني أقبل شهادة رجل عدل أو رجلين ممن يحج منكم أنتم يا بني أبي سهل أو ممن تثقون به وتصدقونه، ولا يكن ممن يحج إلى بيت الله الحرام ويرجع في اليوم الثاني بلا تعب ولا نصب، ورسول الله ﷺ كان يكتري من المدينة إلى مكة حرسها الله، وخرج إلى بدر على بعير له فيه شريكان، فكان إذا جاءت عقيبة[٤] نزوله قالا: يا رسول الله، اركب ونحن نمشي، قال ﷺ: «ما أنتما بأقوى على المشي مني، ولا أنا أغنى عن الثواب منكما»، فكان يمشي ثلثي الطريق ويركب ثلثها.

رجعنا إلى قصة الرجل أو الرجلين والحديث ذو شجون، فليبحث في مكة حرسها الله ويتخبر الجمع الكثير الذين لا يجوز عليهم التواطؤ على الكذب، فإن أخبر بما أخبرنا نظرتم في نجاة نفوسكم، وإن أخبر بما يشهد[٥] به على المنبر فالإمامة لذلك دوننا، وهذا خط أيدينا شاهد علينا فلا يغرنكم بالله الغرور، فقد علم الله أنا ما نحب قبيلة من قبائل العرب مثل محبتنا لكم من رأينا ومن لم نر منكم لمحبة من شاهدنا منكم وقسنا الغائب على الحاضر، وما نأمركم أن تشحوا[٦] بأموالكم، اعطوا واسمحوا[٧] بما شئتم منها، وإنما نريد أن تشحوا[٨] بالدين بعد انتقاده وطلب

---

(١) الضفع: روث البقر وهو أخضر يخبز على الجدران وينشف في الشمس فيكون الكبا، ويستخدم وقوداً.

(٢) في السيرة: بالخطيئة.

(٣) في السيرة: من يحجج.

(٤) في السيرة: عقبة.

(٥) في السيرة: شهد.

(٦) في السيرة: تسخوا.

(٧) في السيرة: اسخوا.

(٨) في السيرة: تسبحوا.

البرهان والبصيرة فيه، وبشرط أن الذي تطلب شهادته لا يكون زيدي المذهب وإنها يكون كامل العقل حسن البحث، صادق اللسان، لا يشترط غير ذلك، بل يكون شافعي الفقه، وهذه النصيحة ما بذلناها لكم حتى قدمنا النية فيها لله سبحانه، ورجونا أن تكونوا من السابقين الأولين، ويسد الله بكم ثغراً من ثغور الإسلام، وتكونوا يداً من أيدي الحق، وتذكروا وقد ذكرتم بحمد الله في سير آل محمد سلام الله عليه وعليهم إلى يوم الدين فتفوزوا بشرف الدنيا والآخرة.

وافهموا أن من يدعوكم إلى الضلالة لا يقول: هلموا إلى الضلالة، لو قال ذلك لما اتبعه أحد؛ ولكن يقول: هلموا إلى الثواب والمغفرة؛ ويلبِّس الحق بالباطل كالذي يغش الذهب والفضة بما يشبههما وليس منهما ثم يبيعه الأغمار، فيجوز عليهم، وإذا كان كل واحد منكم أعرف بطريقة أبيه ودينه فيجب أن يكون أعرف بطريقة أبي وحاله كذلك في أبيه والأب الآخر محمد وعلي صلوات الله عليهما وعلى الطيب من آلهما وفينا عاص[1] كما في الناس، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[الحديد:٢٦]، ففسق الفاسق لا يمنع من وجوب اتباع المهتدي، فاعلموا ذلك والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى المطرفي أبي الفتح بن محمد العباسي][2]

وكتب عليه السلام إلى الشريف أبي الفتح بن محمد العباسي العلوي وهو بهجرة الجبجب[3] وهو يرى رأي المطرفية:

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك التوفيق لما يحب ويرضى، أما بعد:

---

(١) في السيرة: عارض.

(٢) السيرة المنصورية ٢/ ٥٤٥ـ٥٥٠.

(٣) قال في هامش السيرة: هجرة الجبجب بأرض بكيل الهان نسبة إلى قرية الجبجب من عزلة مخلاف ضوران ناحية ضوران، قضاء آنس. مسلم اللحجي أخبار الأئمة ٤/ ٣٠٦، الشرفي: اللآلئ المضيئة ٢/ ٢٦٥، التوزيع السكاني لمحافظة ذمار ص٣٦.

فإن كتابنا هذا صدر من محروس ذمرمر حماه الله تعالى لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى عن سلامة لموليها الحمد والمنة والشكر، ولم يكن قبلنا من الأعلام إلا ما انتهى إليك من إيقاع الهدنة بيننا وبين الأجناد بصنعاء مدة محدودة، وأحوالهم على غير نظام لما يعلم من جهلهم بحرمة العهود، واستخفافهم بالعقود، وكان ذلك لأمور نجمت من مردة العرب، وتعذر الجمع بين الفريقين، فأخربت[1] الهدنة لهذا السبب

وسوى الروم خلف ظهرك روم
فعلى أي جانبيك تميل[2]

ولما بعد العهد بالمكاتبة من قبلك بعثنا هذا الكتاب مستدعياً أعلامك وأخبارك، ولوحشة تقلب الدهر وأهله وما لحق المتسمين بالدين منهم خاصة من ربقة في دينهم المهلكة التي أصلها نبذ هداتهم، ومعاداة أدلتهم وأطيابهم[3] من عترة نبيهم صلى الله عليه وعلى الطيبين من آله ورجونا أن تكون عندك بعض دخائل القلوب وإن كانت الأسوة الحسنة برسول الله ﷺ فقد قال له ربه نهياً بصورة الاستفهام في لفظ الترجي: ﴿**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[الشعراء:٣]، فنسأل الله تعالى ثباتاً في الأمور ترسخ به الأقدام في مقامات الحق، ونوراً يستضاء به في ظلمات الشك، ويقيناً يعصم من الحيرة[4] عند ورود الشبهات، ودركاً للمنجيات، ونجاة من المهلكات، وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا مشفوعة بصحة الاعتقاد، خالصة لرب العباد.

ولما كانت الزيدية زبدة الشيعة لاعتصامهم بالصحيح من مذاهب العترة المشفوعة بالبرهان المنهي إلى العلم اليقين، ولهم سمات يعرفون بها وينازعون أهل الضلالة فيها، منها: تفضيل العترة النبوية بمجرد القرابة والنسبة إلى رسول الله ﷺ على جميع الخلق، وقام بذلك الدليل وهو علمنا أن رسول الله ﷺ رسول إلى الجن والإنس كافة وكان تبليغه للرسالة، ونصحه للأمة[5] من أعظم

---

(١) في السيرة: فأجريت.

(٢) الشعر للمتنبي، انظر شرح ديوانه جـ٣ ص٢٢٧.

(٣) وردت بدون نقاط ولعلها كما أثبتنا، أو لعلها (أطنابهم).

(٤) في السيرة: ويقيناً في الحيرة.

(٥) في السيرة: ونصيحته الأمة.

المنة، وإنقاذه لهم من شفا الحفرة، إلى غير ذلك مما انساق إليهم به ﷺ من الخير والرحمة والبركة[1]، وقد ثبت عند جميع العقلاء من المسلمين والكافرين أن تعظيم الولد يكون تعظيماً للوالد ومكافأة له، إذا كان محسناً بمجرد قرابته، حتى أن من كره تعظيم ولد المحسن كان مسيئاً عند أهل العقول، فهذه واحدة وهي الأصل ضيعت فضاعت بوهوم خارجة عن نسق العلوم، ومن ذلك ما أوجبت النصوص المتظاهرة، والأخبار المتواترة في الفزع إلى الهداة، والرجوع إلى الولاة من العترة الطاهرة، قال الوصي: (أيها الناس، اعلموا أن العلم الذي أنزله الله على الأنبياء من قبلكم في عترة نبيكم، فأين يتاه بكم عن أمر تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة، هؤلاء مثلها فيكم، وهم كالكهف لأصحاب الكهف، وهم باب السلم، فادخلوا في السلم كافة، وهم باب حطة من دخله غفر له، خذوا عني عن خاتم المرسلين حجة من ذي حجة، قالها في حجة الوداع: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض». هذا قول الوصي، قام الدليل بكونه توقيفاً[2]، إذ هو خارج عن قبيل المجتهدات لكونه غيوباً وإخبارا عن الكائنات، وهذا من غرر الحديث ودرره ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]، قضى بكون العلم الأول في الآخر فيهم بأول الحديث وآخره، وهلكت أمة نوح عليه السلام إلا راكب السفينة، فكذلك هذه الأمة وإلا فلا معنى للتمثيل، ولم يعصم دين أهل الكهف إلا دخول الكهف، كذلك حكم أهل عصرهم، ومن لم يدخل باب السلم فليس بمسلم، وتاهت الأسباط في كل وجهة، حتى توجهوا بعد المدة الطويلة إلى باب حطة، فدخلوه، فغفر لهم، كذلك هذه الأمة، ومثّلهم بالكتاب وقرنهم به، ووقت الافتراق بزوال التكليف، وأنهم لا يفارقون الحق ولا يفارقهم، وما قول من يقول: نتبع المتقدم دون المتأخر إلا كما قالت اليهود لعنهم الله: نتبع موسى ومن قبله، والنصارى أبعدهم الله: نوالي عيسى ومن سبقه؛ أو كاختيار (الرافضة) و(الواقفة) و(الكيسانية) و(السبئية) فهم وإن وقفوا على رضا فقد جاروا في القضاء، حيث لم يطردوا الأدلة، وتحروا[3] حكم العلة؛ فمن اقتدى بالجاهلين من الجهال، وقال: أقف عند الهادي عليه السلام. قلنا: وما يخلصك من إلزام أولئك

---

(١) والبركة: زيادة في السيرة.

(٢) في السيرة: توفيقاً.

(٣) في السيرة: وقيدوا.

الطغام، قست على صور المسائل، وكنت عين الجاهل، يا هذا، إنما هو عجر أو بجر[1]، المفرق بين الأئمة الهادين، كالمفرق بين النبيين سلام الله عليهم أجمعين وأنت أيدك الله ممن اختص من نفاذ المعرفة بذكاء الفطنة، إذ مجرد العلم لا ينفع مع فقد ذكاء الغريزة، وقد كان عذر الشيعة في الاختلاف متوسطاً لتمحضهم شيعة، وكل فرقة تأنف من الانقياد لاجتهاد[2]، فما العذر بعد ظهور قائم العترة، ماضي الحجة، نافذ الفكرة، الباسط وجهه[3] ولسانه بالحجة والبرهان، وكفه وذراعه بالسيف والسنان، أنقيم والضروع[4] جافلة، واللقاح باهلة، فلها الغيمة[5] آخر الزمان؛ وإذا كانت ترفض هداة الأمة، ودعاة العترة واحداً بعد واحد، فما بقي أرجى من ترجو على قود فعلها إلا الدجال لعنه الله؛ لأن المهدي عليه السلام لا يأتي بقربان تأكله النار، إنما يدعو إلى ما دعا إليه من سبقه من طاعة الجبار، ويفتقر[6] إلى أعوان وأنصار، يعرضون وجوههم[7] لحد الشفار؛ فانظر في أمرهم، فإن اتبعوك في الحق وإلا فلا تتبعهم في الباطل، فإن تابعوك فكن لهم (وكيلا، واجعل الله عليك)[8] كفيلاً، لنجهدنّ في إسقاط الفرض عنك وعنهم، بل عن الإمام والأمة بدليل واضح، فإن كان ذلك كذلك وقفوا عن[9] دليل، وعذر[10] عند العلي الجليل، وإن استحكمت عليهم أناشيط الحق، واستبهمت عقد الفرض سلكوا منهاج الدليل، واتبعوا خليفة الرسول ﷺ وكانوا من أمرهم على يقين، واقتفوا آثار المتقين؛ ففي الرواية عن هارون المتسمي بالرشيد أنه قال: ما بيني وبين الإمامية خلاف، والله لئن خرج إمامهم على الصفة التي يقولون لأكونن أول من يتبعه، وإنما عدوي هؤلاء الزيدية، الذين كلما خرج من أهل هذا البيت خارج

---

(١) البجر بالضم: الشر والأمر العظيم.

(٢) في السيرة: لأختها.

(٣) في السيرة: يده.

(٤) ضروع الماشية من الشاة والإبل، اللقاح: ذوات الألبان من النوق، باهلة: أي مهملة بغير راعي (هامش السيرة عن لسان العرب).

(٥) في السيرة: العتمة، ولعلها: فلم الغيبة.

(٦) في السيرة: يفتقد.

(٧) في السيرة: صباهم.

(٨) ما بين القوسين: سقط من السيرة.

(٩) في السيرة: على.

(١٠) في السيرة: وعذروا.

تغسلوا، وتحنطوا، وأصلتوا أسيافهم بين يديه يريدون الجنة، فهؤلاء عدوي، وعدو آبائي. وإنما وقفت الإمامية عند المعدوم؛ لأنهم وصفوا إمامهم بالمستحيل المتعذر، فهلكوا وأهلكوا، فنعوذ بالله من مثل حالهم لنا ولكافة المسلمين، والسلام، وصلى الله على محمد نبيه وآله.

[كتابه عليه السلام إلى أهل لصف لما بلغه جفوتهم لأخيه الشهيد][1]

وكتب عليه السلام إلى أهل لصف في شهر جمادى الآخرة سنة اثنتين وستمائة، وقد بلغه جفوتهم للشهيد صنوه إبراهيم بن حمزة رضي الله عنه وصدهم عن زيارته وتعظيم شأنه، من خالطهم من روافض الشيعة، وعزم على نقله عنهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

[من عبد الله المنصور بالله أمير المؤمنين][2] إلى كافة الساكنين بلصف من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى، أما بعد:

فقد بلغنا جفوتكم للشهيد الذي ثوى[3] بين أظهركم، وحط رحله في أفنيتكم، وجاد بنفسه دون بلادكم، واستقبل بوجهه العدو صبراً واحتساباً، حين زاغت الأبصار فشلا، وبلغت القلوب الحناجر وجلا، وظن قوم بالله الظنون جزعاً، وابتلي المؤمنون بالهزيمة امتحاناً، وزلزلوا (زلزالاً)[4] بالحادثة اختباراً، فرخص عنده من الموت ما غلا عند غيره، وغلا عنده من الفرار ما رخص عند سواه، وعلم القصد فتمم العزم، ومضى على البصيرة، على منهاج[5] السلف الصالح،

---

(١) السيرة المنصورية ٢/ ٧٥٣-٧٥٤، ولصف واد في عزلة الحنشات ناحية نهم.

(٢) ما بين المعقوفين: سقط من الأصل، وهو في السيرة.

(٣) في السيرة: توفي.

(٤) سقط من السيرة.

(٥) في السيرة: مناهج.

مستقلاً لكثرة العدو وعزمه، مستصغراً لعظيمة نجدة؛ فبلغنا أنكم هاجرون لقبره، قالون لمصرعه، قد صغرتم منه ما عظم الله سبحانه (جهلاً)[1]، وجهلتم ما علم الصالحون حيرة وشكاً، كأنكم لم تسمعوا قول محمد ﷺ فينا أهل البيت خاصة: «أقرب الناس مني موقفاً يوم القيامة بعد حمزة وجعفر، رجلٌ منا أهل البيت خرج بسيفه فقاتل إماماً ظالماً فقتل»[2]، فهلا رحمكم الله استشفيتم[3] بتراب مصرعه من الأدواء، وسألتم بتربة مضجعه رفع الأسواء، واستمطرتم ببركة قبره من رحمة ربكم طوالع الأنواء، وعظمتم حاله كما يعظم حال الشهداء، وأوجبتم من حقه ما ضيع الأعداء، وعمرتم على قبره مشهدا، وجعلتموه للاستغفار مثابة ومقصدا، ونذرتم له النذور تقرباً، وزرتموه تودداً إلى الله سبحانه وإلى رسوله ﷺ وإلينا وتحبباً، فقد روينا عن أبينا رسول الله ﷺ في حديث فيه بعض الطول، أنه نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام وهما يلعبان بين يديه، فبكى، فهابه أهل المنزل أن يسألوه، فوثب عليه الحسين عليه السلام فقال: ما يبكيك يا أبه؟ فقال: «يا بني، إني سررت بكم اليوم سروراً لم أسر بكم قبله مثله، فجاءني جبريل، فأخبرني أنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى»، قال: يا أبت، فمن يزورنا على تباين قبورنا؟ قال: «قوم من أمتي، يريدون بذلك بري وصلتي، إذا كان يوم القيامة أتيت حتى آخذ بأعضادهم فأنجيهم من أهوالها وشدائدها»[4].

ألا فاعلموا بعد الذي بلغنا عنكم أنا قد قلينا له جواركم، ورغبنا به عن داركم، وعملنا بعد الخيرة لله سبحانه على نقله من أوطانكم إلى من يعرف حقه، ويتيقن فضله وسبقه، فلو رعيتم له حرمة القرابة، وفضل وراثة النبوة؛ لعلمتم حرمة ذلك الدم الزاكي، وكثر عليه منكم الباكون والبواكي؛ فإن كان ذلك من غرضكم، فإنا نفعله إن شاء الله تعالى، وإن لم يكن من إرادتكم فلسنا نتركه بتوفيق الله سبحانه، فاعلموا، والسلام، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي وآله وسلم.

---

(١) سقط من السيرة.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه باب فضل أهل البيت عليهم السلام ص١٦٨. طبعة مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

(٣) في السيرة: استسقيتم.

(٤) الحديث في أمالي أبي طالب، وبعض الألفاظ مختلفة مقاربة. باب فضل أهل البيت عليهم السلام ص١٦٩.

[كتابه عليه السلام إلى الشرفاء آل الهادي بالجبجب][1]

وكتب عليه السلام إلى الشرفاء آل الهادي عليه السلام بالجبجب وقد بلغه فساد من بعضهم وإيواء القوم من أهل الفساد سنة٦٠٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

[من عبد الله المنصور بالله أمير المؤمنين][2] سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق إلى سبيل الرشاد، وسلوك منهاج السلف الصالح من الآباء والأجداد، الذين نزلت فيهم البشارة إلى أبينا محمدﷺ بقوله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[الرعد:٧]. أما بعد:

يا أولاد خير الناس في عصره، فلا بد لنا ولكم من مقام تندى فيه جباهكم، وتيبس[3] شفاهكم، فقد بلغنا سلوككم مسلكاً لا يليق بأصلكم سلوكه، له عند أبيكم سلام الله عليه ورضوانه حكم لا بد فيكم من نزوله.

اعلموا أن طهارة الوالد لا تعصم الولد من أن يحيق[4] به سوء عمله، ولا تصغر عند أهل البصائر عظيم ذنبه، بل ذلك مما يعظم جرمه، ويكبر نقصه وثلمه[5]، قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ**

---

(١) وردت في السيرة المنصورية ٢/ ٧٧٧-٧٧٩، والجبجب: محلة من قرية زبون، عزلة بني ذويب، ناحية حيدان (هامش السيرة عن التوزيع السكان محافظة صعدة)، وتقدم أن هجرة الجبجب في أرض إلهان مخلاف ضوران قضاء آنس.

(٢) زيادة في السيرة.

(٣) في السيرة: وتنبس، وقد محق المحقق جمال العبارة وبلاغتها حيث أورد المؤلف الضدين (تندى) و(تيبس) ليصور في أبلغ وأوجز عبارة خزي الواقف في هذا المقام الموعود.

(٤) في السيرة: يليق.

(٥) في السيرة: ويلمه، وهو خطأ.

فَاسِقُونَ﴾[الحديد:٢٦]، فما كان ضركم لو شيدتم ما أسس أوائلكم[1] الطاهرون[2]، وسقيتم ما غرس أسلافكم الصادقون، فكنتم كما قال ابن جعفر[3]:

إنـــا وإن أحـــسابنا[4] شرفـــت
لـــسنا عـــلى الأحـــساب نتكـــل

نبنـــي كـــما كانـــت أوائلنـــا
تبنـــي ونفعـــل مـــثلما فعلـــوا

أخبرونا ما الفعل الذي اختص به المفسدون في بلادكم ورفعتم نفوسكم عنه لتبقى لكم مزية[5] الشرف، وفضيلة ولادة النبوة والإمامة، أفلستم جنداً أشداء لها، تكون معه حرمة ذلك البلد المشاركون في أذية تلك المشاهد المقدسة المكرمة، والأرواح المطهرة المعظمة، ما كان عذركم إلى أبيكم صلوات الله عليه وعلى الطيبين من آبائكم ومنكم، لو بعثه ربه فهو على ذلك قدير وأنتم على باب أسد مكفرين[6] في السلاح بتلك الخيل السمان الحسان، والرماح الصلاب الطوال، تنتظرون إذنه لخدمته وصباحه، والمعاصي والمنكرات من الملاهي[7] قد سكت مسامع أبيكم عليه السلام ومسامع الطيبين من آله، ونطقت مسجده، وأحاطت بمشهده، أفتظنون أن أمير المؤمنين ينساها لكم، أو يسوغكم ما يجب من الحق لأنفسكم على أنفسكم، أو يبدأ بإقامة الحق في

---

(١) في السيرة: آباؤكم.

(٢) في السيرة: الطاهرين، وهو خطأ نحوي واضح.

(٣) قال محقق السيرة: ينسب هذا الشعر لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، كما ينسب كذلك إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وقد جاء البيت الأول في ديوان عبد الله بن معاوية على النحو التالي:

لـــسنا وإن كرمـــت أوائلنـــا
يومـــاً عـــلى الأحـــساب نتكـــل

انظر شعر عبد الله بن معاوية ص٦٣.

(٤) في السيرة: آباؤنا.

(٥) في السيرة: مرتبة.

(٦) الكفر: التغطية، يقال للابس السلاح: كافر وهو الذي غطاه السلاح (هامش كذا في السيرة.

(٧) الملاهي: سقط من السيرة.

غيركم (قبل إقامة الحق فيكم)[1]، لو فعل ذلك لباء بظلمكم[2]، واستحقب عظم وزركم وإثمكم، لا بد من غصن التفاف[3] لنأخذ من فرعكم لأصلكم، ونقوم ما مال من ظلكم، ونؤدي ما يجب من حرمة جدكم سلام الله عليه ورضوانه، الذي استضأنا بنوره من ظلم الشبهات، وببركة سعيه تسنمنا عالي الدرجات، فكنا ومن سلك منهاجه من ذريته الطيبين سلام الله عليهم أجمعين أولى به منكم بشهادة الكتاب، وحكم رب الأرباب، قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾[آل عمران:٦٨]، وقد بلغنا تخبط سفهائكم [على الرعايا وسرق عبيد المسلمين وأمتعتهم فما أنكر المسلمون ولا غير الصالحون، أفهذا فعل أولاد النبيين، وذرية الأئمة الهادين][4]، وعند الاتفاق إن شاء الله تعالى ينجو الصادقون، الذين سبقت لهم من الله الحسنى، وينزل بأهل الضلالة عقوبة تنسيهم العذاب الأكبر بالعذاب الأدنى، هذا وقد بلغنا توبة من تاب، وإنابة من أناب، ولكن لا توبة في عصرنا إلا بتشمير في الجهاد، ومباينة لأهل الفساد، إنما بايع رسول الله ﷺ الرجال بيعة النساء[5] في العقبة الأولى، فأما البيعة الأخرى فعلى حرب الأسود والأحمر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبذلك عز الإسلام وقامت قواعده، وظهرت أدلته، وبانت شواهده؛ فعند ذلك وجب على الرجال غير المعذورين التجرد للنضال، وركوب الأهوال، في طاعة ذي الجلال، والاستهداف للقتل والقتال، فمن تأخر عن ذلك منهم، وقام بسائر الفرائض غيره ظهر عصيانه، وفسد إيمانه، واتضح خلله، وبطل عمله، فانظروا لأنفسكم مقعدا، وارجعوا إلى قديمكم لتفوزوا مع الفائزين اليوم وغدا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم.

---

(١) ما بين القوسين: سقط من السيرة.

(٢) في السيرة: لنا نظلمكم.

(٣) التف: وسخ بين الظفر والأنملة، وقيل: هو ما يجمع تحت الظفر من الوسخ (هامش السيرة عن لسان العرب) ولعلها (غصن النفاق).

(٤) ما بين المعقوفين: سقط من الأصل، وهو في السيرة.

(٥) في السيرة: مع النساء، وهو خطأ.

[كتابه عليه السلام إلى الأمير سليمان بن موسى فيه آداب وحكم في سياسة الأمر][1]

وأنشأ عليه السلام كتاباً إلى الأمير علم الدين سليمان بن موسى فيه آداب وحكم في سياسة الأمر، وفي صدره كلمات قليلة من أقوال الحكماء، وسائره تولى إنشاءه سلام الله عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على رسوله محمد وآله

سلام عليك، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله لنا ولك التوفيق لما يحب ويرضى، أما بعد:

فإنك غبت ولم يغب عن القلب ذكرك، والاشتغال بأمرك[2]، وقد صرت في أمر عظيم يهون مع الصبر ومعونة الله سبحانه، فرأيت أن أكتب إليك بأمور بلغت إلى عندي من آداب الملوك لتعتمده فتنفع به[3] وتنتفع إن شاء الله.

قال بعض الملوك لبنيه: (استعينوا بالأشراف، ولا تستعينوا بالسفلة؛ فإن النعمة على الأشراف أبقى وهي بهم أليق، والمعروف عندهم أشهر، والشكر منهم أكثر) وقالت الحكماء: (لا ينبغي للسلطان أن يحقد لأن خطره قد عظم عن المجاراة[4]، ولا أن يحسد؛ لأن شرفه أعلى من الحسد، إلا أن يحسد ملكاً على حسن التدبير في رعيته فيعمل مثل عمله، ولا أن يغضب؛ لأن الغضب والقدرة إذا اجتمعا فيمن لا يملك نفسه وقع الهلاك، ولا يكذب؛ لأن أحدا لا يقدر على استكراهه، ولا يبخل؛ لأنه أقل الناس خوفاً للفقر؛ إذ ماله سلطانه، وهو معه أينما كان، ولا يمن على رعيته بالإحسان إليهم بحسن التدبير؛ لأنه نفع بذلك نفسه وحلّى ملكه، كما لا يمن السلطان

(١) السيرة المنصورية ٢/ ٧٦١ـ٧٦٤.

(٢) في السيرة: بأمره.

(٣) في السيرة: فينفع.

(٤) في السيرة: المجازاة.

على دابته بحلية[1] سرجه ولجامه وركابه، ولا يتسرع بالإساءة إليهم؛ لأن الإساءة إليهم تكدر ما قبلها من الإحسان، ولا يدع النظر في لطيف أمر رعيته اتكالاً على الاشتغال بجسيمها[2]، فإن صلاح كل واحد منهما لا يغني عن صاحبه، ولا تبدل أمراً فعله الصالحون قبلك، وانعقدت عليه الألفة، ورضيت به العامة، ولا تضع سيفك مكان سوطك، ولا سوطك مكان سيفك؛ فإن لكل واحد منهما موضعاً إن ترك صاحبه فيه فسد الأمر[3]، ولا تغفل مذاكرة العلماء في تثبيت سنن العدل.

واعلم أن القضاء عمود الأمر، فاحفظ صاحبه؛ لأن الناس لا يستغنون عنه ولا يصلحون إلا به؛ فإن حفظه يحيي الحق، ويميت الباطل، وذلك علامة الحق وبرهانه، وتفقد أمور من يتولى خدمتك في جليل الأمور وحقيرها لتكون على معلوم في الإساءة، والتأديب للمسيء، والبر والإحسان إلى المحسن، ولا تجاوز الحد في العقاب ولا في الإحسان؛ لأن لكل شيء حداً إذا تجاوزه فسد، وأشهر لمن تحت يدك أنك لا تعجل بالعقاب ولا بالثواب؛ فإن ذلك أدوم للخوف والرجاء وبهما تستقيم الطاعة، وبادر بعمل كل يوم، فلكل يوم ما فيه ولغد ما يحدث في غد، وعليك بالعدل فمن حرمه فلا خير له[4] ولا للناس في سلطانه، ولا تعجل إلى تصديق الرعية، ولا تغفل عن إنصافهم، وأسرع إلى الاستماع منهم، وعدهم، وفِ لهم بحسن الانتصاف لهم، وكاف المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته؛ لأنه إن لم يكن ذلك، زهد المحسن وتجرأ المسيء، وتثبت عندما تقول وعندما تفعل وعندما تعطي وعندما تمنع، والرجوع عن الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام، والعطية بعد المنع أجمل من المنع بعد العطاء، والإقدام بعد التأني أحزم من التأني بعد الإقدام، ولا تكل إلى غيرك من الأمور ما لا يقوم به سواك؛ فإن ذلك يفسد السياسة.

---

(١) في السيرة: على ذاته بجلية.

(٢) في السيرة: بحسبها.

(٣) في السيرة: فسد الآخر.

(٤) في السيرة: فيه.

واعلم أن الظفر ينال بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، وملاك الرأي تحصين الأسرار، وأدب على الظن، وعاقب على اليقين.

واعلم أن الملك والدين أخوان لا يفترقان؛ لأنك لا تجد ملكاً إلا وهو ينسب إلى دين حق أو باطل؛ لأن الدين أساس الملك، والملك حارس الدين، وقد أصبت من الدين أصحه بحمد الله فابن عليه أمرك، واشغل بحفظ حدوده فكرك، وأعد للأمور أقرانها قبل نزولها، وتفقد أمر نفسك؛ فمن كان الناس أعرف منه بعيب نفسه فهو عاجز جاهل، وليكن أبغض الرعية إليك أكشفهم لعيوبهم عندك إلا أن يذكر أمراً يتعلق بدولتك، فذلك نصح وليس بكشاف، وما تغطى فلا تكشفه فإنما عليك ما ظهر وعلى الله ما بطن، وحصن[1] سرك، واختر للمشورة أهل الرأي والحزم، كما ذكرنا في عهد الولاة[2]، وقد كنت ذكرت أمراً كالناقد فيه، وأغفلت عن الجواب عنه، وهو أنك تشد وألين[3].

واعلم أن الملك لا يستقيم إلا بذلك؛ لأنه لا بد للناس من متنفس، فإذا فتحتُ الباب أغلقتَ، وإذا أغلقتُ فتحتَ ليجد الناس في أمر سلطان الحق مسلكاً فيترددون فيه؛ لأنك إن أغلقتَ وأغلقتُ طلبوا في غير البابين طريقاً، ولكن إن لنتُ شددتَ، وإن شددتُ لنتَ، فيكون رجوع الناس من الحق إليه، ولا تعد ذلك نقضاً لما أبرمت، فإن قطعت على تصويب أمر فامضه، وإن أشرت بخلافه، فكما أن فرصة إذا أمكنتك عملتها وإن لم يتقدم بها عهدٌ.

فهذي حِكَم قد خصصناك بها لمكانك منا، فاتخذه قبلة، واعمل بمقتضاها ترشد إن شاء الله، والسلام عليك بقدر شوقنا إليك، ولا تخلنا من إعلامك، والسلام، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

---

(١) في السيرة: وخص، قال المحقق: ربما كانت هذه الكلمة في أصل المؤلف (وصن)، وكم لمحقق السيرة من هفوات مثل هذه.

(٢) في السيرة: الولاية.

(٣) في السيرة: تلين، قال المحقق: في الأصل: (وألين) واستبدلها بـ(تاين) وهو خطأ.

[كتابه عليه السلام إلى كافة مذحج براحه]

وكتب عليه السلام إلى كافة مذحج براحه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم

سلام عليكم، فإنا نحمد الله إليكم، أما بعد:

يا معشر مذحج، فإنكم أنصار الدين، وأولياء العترة، وأكثر من يدخل الجنة، وبذلك وردت السنة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، وقد كانت لأولكم نصرة لأهل بيت النبوة إن جددتموها كنتم خير خلف لخير سلف، وقد ظهر عندكم مذهب المطرفية، وهم رفضة الذرية، وبغضة العترة الزكية، وقد كان لهم من الكفر في اعتقادهم الفاسد ما كفى، ثم قد بلغنا أن رجلاً في بلادكم جدد ذلك بكفر سموه القفحة، معناه أنه ما بقي لله تعالى في خلقه تدبير ولا إرادة؛ فإن كنتم على ما أعطيتم الله من نفوسكم وصفقة أيمانكم فلا تَدَعوا له ولا لأحد من المطرفية قراراً في أوطانكم، وأزعجوهم، فإن أنكروا اعتقادهم وتستروا بالنفاق فلا يمكنهم كتمان ترك صلاة الجمعة، ومن تركها فهو فاسق بإجماع الأدلة والأمة، فلا تقبلوا زورهم ومحالهم، واهدموا أطلالهم، وإن آمنت منكم طائفة وكفرت أخرى بمعونتهم لهم، فليقم المطيع على العاصي حتى يظهر دين الله على الدين كله ولو كره الكافرون بوصولنا إلى بلادكم إن شاء الله بجنود منصورة، يستهونون الشديد، ويستقربون البعيد، مقنعة في الحديد، تهلك كل جبار عنيد، وتهدم كل قصر مشيد، حتى يقول قائل أهل الضلالة: انج يا سعد فقد قتل سعيد؛ فاعملوا في ذلك ما أراكم الله وهداكم له، ولا يبعد الله إلا من ظلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلى الله على رسوله محمد النبي وآله وسلم

[قوله في آخر كتاب له عليه السلام إلى السلطان سنقر][1]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب إلى السلطان سنقر وقد كتب إلى الأميرين شيخي آل الرسول: شمس الدين وبدره يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى بن يحيى الهادي عليه السلام بأنه قد وهب لهما صعدة وأعمالها بشرط أن لا يدخلها أمير المؤمنين عليه السلام.

قال فيه:

ونحن أهل عافية من الله سبحانه، فله الحمد حتى يرضى، نريد لكم الخير في الدنيا والآخرة، وأنتم على الضد من ذلك[2]، فنحن وإياكم على ما قال علي عليه السلام متمثلاً بقول أخي مذحج في خليله المرادي:

أريد حياته ويريد قتلي
عذيرك من خليلك من مرادي[3]

وذلك أنكم كتبتم للأميرين[4] الفاضلين الداعيين إلى الله، شيخي آل الرسول عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام بهبته البلاد بشرط أن لا أدخلها ولا ينفذ أمري فيها.

واعلم أرشدك الله وهداك، فرشدك وهدايتك أحب إليّ من حمر النعم، وأعده من جلائل النعم إن لم تعلم ذلك علمه الله تعالى[5] أنه لولا أمري لم يستحلا فيما بينهما وبين الله سبحانه أن يتصرفا

---

(١) الكتاب ورد في السيرة المنصورية ٢/ ٧٩٥-٧٩٧، قال: ثم جاء كتاب السلطان سنقر إلى الإمام عليه السلام مضمنا شكره والثناء عليه ويحمده على تمام الصلح بينه وبين وردسار ويقول: إنه قد أنفذ ذلك وأمضاه وأن رضاه منوط برضاه؛ إذ هو قائم مقامه ونائب منابه وأنه وافٍ بما عقد غير ناقض بما ربط، فأمر الإمام عليه السلام بإجابته وكتب بخطه الكريم في آخر الكتاب كلاماً نسخته: (نص الرسالة أعلاه).

(٢) في السيرة: بذلك.

(٣) الشعر لعمرو بن معد يكرب الزبيدي (هامش في السيرة عن ديوانه ص٦٥).

(٤) في السيرة: إلى الأميرين.

(٥) في السيرة: فالله به أعلم.

هنالك برفع سوط ولا سيف ولا قلم، أفتظن أن يحيى بن أحمد نزل الحقل على كبر سنه، وضعف جسمه طالباً للدنيا ومنافساً فيها؛ إنما نزل لكتاب أمرت به من ذمرمر ألزمه فيه النزول لتطهير تلك المشاهد المقدسة من المعاصي، ولولا أمري لم يستجز القتال، ولولا أمري بأمان أسد وأصحابه ما استجاز الأمير بدر الدين محمد بن أحمد أيده الله ما فعل لهم وبذلك أمرنا (الأمير علم الدين)[1] سليمان بن موسى، فإن كفر الجميع ذلك، فالله تعالى لا يكفره، وإن لم يشكره فهو تعالى يشكره

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس[2]

وما قولكم إذا جمعنا الله سبحانه وإياكم، وسألنا: لم عاديناكم وحاربناكم؟ قلنا له[3]: إخواننا بغوا علينا، فحاربناهم حتى يفيئوا إلى أمر الله، بترك المنكرات، ورفض المسكرات، (فما قولكم في قيلكم لنا لمثل هذا، أفأنتم أعلم الغير هذا فليس إلا لأمرنا بالقسط)[4]، والنهي عن المنكر، وإقامة عمود الدين، وحراسة سرح الإسلام، فإن أمرتمونا بذلك فسمعاً سمعاً شفعاً شفعا، ولعل بعضكم أرضى بنا بعضاً والله ورسوله أولى بالرضى، أنتم تطلبون آثار رسول الله ﷺ في العود والحجر والمدر، ونحن لحمه ودمه، وعترته وذريته؛ فإن علمتم أنه يسوؤه ما ساءنا فأطيعوه بنا، وأطيعوه لنا، فإنا قد روينا عنه ﷺ وروت الفضلاء من الأئمة أنه قال لنا: «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم»، وفي حديث آخر: «من حاربني في المرة الأولى وحارب عترتي[5] في المرة الثانية كان كمن حارب مع الدجال» وغير ذلك من الأخبار[6]؛ ونحن عائذون بالله منكم، فإن عصيتمونا فمستعينون به عليكم، وقد أظهر لكم الآيات، فجعلتموها من حوادث الأيام، عزمت على الحركة إلينا فمات صاحبك، (وعزم خليلك

---

(١) ما بين القوسين: سقط من السيرة.

(٢) الشعر للحطيئة (هامش السيرة عن ديوانه ص(١٠٩).

(٣) في السيرة: لهم.

(٤) في السيرة: فما قولكم لعل هذا فأنتم أهل لغير هذا فليس إلا الأمر بالقسط.

(٥) في السيرة: أهل بيتي.

(٦) في السيرة: الآثار.

وردسار فمات أخوه)[1]، وخرب دارنا فخرب الله تعالى داره، وقلدتم الموت في رقاب الناس، وهكذا تفعل السيول الكبار؛ فإذا لم تكن الواقعة إلا في النفس فعند ذلك يغلق الذهن ولا تغني الندامة، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه، فالله الله في نفسك، اجعلها أعز الأنفس عليك، وحصنها من عذاب الله عز وجل بطاعته، وكما رغبت بها عن ذل الدنيا فعصيت من هو فوقك، ارغب بها عن ذل الآخرة واعص من هو دونك، وتوكل على الله في أمورك كلها لتفوز مع الفائزين غداً، وتنجو مع الناجين السعداء، وقد أكثرنا وجلبنا بضاعة نرجو من الله سبحانه نفاقها، فإن كسدت فلله سبحانه جلبناها، ورحمته طلبناها امتثالاً لقول الباري المصور: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾[الغاشية:٢١]، ومن الله سبحانه نستمد التوفيق لنا ولكم ولكافة المسلمين، والسلام عليك وعلى كافة المسلمين قِبلك.

[كتابه عليه السلام إلى كافة حمير بثلا ومسور]

وكتب عليه السلام إلى كافة حمير بثلا ومسور كتاباً يذكر فيه أمر المطرفية الرافضة بعد أن ظهر منهم السب والأذى والهجو بالأشعار:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق إلى سبيل الرشاد، أما بعد:

فإن للخير أسباباً وللدين نصاباً، آل محمد صلى الله عليه وعليهم أسبابه، وودهم نصابه، هم الأدلة على الدين، وهم هداة المسلمين، لهم عليهم حق الولاية، ومزية الرعاية، فما نجم قرن ضلال إلا ومنهم قاصمة، ولا فاض بحر طغيان إلا وفيهم واصمة، وهم سفن النجاة، وماء الحياة، وقد علمتم يا معاشر حمير بما تواتر إليكم من الأخبار أن هذه الفرقة المطرفية الطبعية،

(١) في السيرة: وقتل خليك أخي فمات أخوه.

المارقة الغوية، أول من أجاب بالعيان دون أن يخبركم إنسان؛ لأن البيعة كانت في بلدكم، وضمن أوطانكم، وأن الشيعة المطرفية أول من أجاب دعوتنا، وأعطى بيعتنا، وشهد في السر والجهر بإمامتنا، فإن كانوا صدقوا في الابتداء فقد كذبوا في الانتهاء، وإن كذبوا أولاً فما المانع أن يكونوا في الحالين كاذبين سواء.

ولما قمنا بعد أن مرجت أسباب الدين، ووهت قواعد اليقين، وعلت سفاسف النفاق، وسطعت نيران الضلال، وظن قوم بالله الظنونا، وابتُلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدا، ففقأنا عين الفتنة، وأخمدنا نار الضلالة بعزمة علوية، وعصمة نبوية، راكدين في الجولة، ثابتين في الصولة؛ إن حاس حيسٌ[1] لجيش كنا أثبت الناس في موجه أساساً، وإن عصفت ريح سلطان كنا أكثر الناس فيها عزماً ومراساً؛ هذا وقد عددنا المطرفية من الثابتين عند ظهور القائم، المجردين في مرضاة الله شداد العزائم لإظهار محض الطاعة، وانخراطهم في سلك الجماعة، وكان معنا في شبام منهم مرابطة من أفاضلهم قدر أربعين رجلاً، فلما زال الزبد عن الصريح ولم يبق إلا أن نغلب فنريح، أو نموت فنستريح، فوجهنا الوجوه تلقاء صنعاء مقدمين على الهول المهيل، ناهضين بالحمل الثقيل، تسللوا عنا لواذاً بأصول البرقوق[2]، مائلين إلى الخذلان والعقوق، إلى أن جاؤونا إلى صنعاء مهنئين، فسألناهم عن الحال، فتناقض أعذارهم، وبان بوارهم، وظهر قرارهم، فعذرناهم، وقلنا: ضعفاء نخبت قلوبهم عن الصدام، وكرهوا مفاجأة الحمام، فاجتمعوا إلى صنعاء جمعة ثانية عامة، فجدد شيوخهم البيعة، وانتشروا ولاة في الآفاق، فخانوا الأمانة، وركبوا متن الخيانة، فقلنا: نفراً أرادوا الابتذال بالمال، وأن يصلحوا به الحال، فمشينا بهم كما يمشي العليل بدائه، ويرسل على الحركة فضل ردائه، فلما صعبت عليهم الأمور أن أظهروا اعتقاد الإمامة لامهم الخاصة والعامة في خذلان الإمام، وإن رفضوا لغير علة مقتهم الصغير والكبير من الأنام، فداووا جرماً بجرم وغسلوا إثماً بإثم وقالوا: اطعنوا في إمامة الإمام ليكون عذراً لكم في التخلف عند العوام، فسبوا بريئاً، وجاءوا من الإفك شيئاً فرياً وقالوا: كان وكان، وأخبرنا فلان عن فلان،

---

(١) الحيس: الخلط، وهو الأمر الرديء الغير محكم.

(٢) البرقوق: أشجار المشمش، إشارة إلى هروبهم إلى حمل وسناع وهما منطقتان مليئتان بهذه الأشجار.

وصلوات الله على الهادي عليه السلام، وعلى الطيبين من آله الكرام، يوهمون أن الصلاة عليه تنقص من بعده، وتبطل إمامة غيره، ولو كان حاضراً لخذلوه؛ لأن الموت مكروه لمن قلّت بصيرته في كل أوان، وهو عليه السلام كان جذل الطعان، وحليف السيف والسنان، وإنما يظهرون للأنام أنا لا نكره الإمام، ولهذا يرون محبتنا لمن مضى من الأئمة الأعلام مكيدة يعرفها فضلاء الرجال، وتجوز على الأغمار الجهال.

قلنا: هلم إلى المناظرة، فإن كنتم على يقين ظهر للناس صحة ما أنتم عليه وعذرتم عند الله وعند الصالحين، وإن كنتم على ضلالة رجعتم إلى الحق المبين، وانخرطتم في سلك الصالحين، وعددتم من أنصار الأئمة الراشدين، فكرهوا ذاك وذاك بعد أن استقام لهم شيخ آل الرسول في حصن ثلا فطلبوا لجفوته عللاً، فقاتلهم الله أنا يؤفكون، أشاهداً بعد يحيى بن أحمد يريدون، ودليلاً بعده إلى الرشد يبتغون، ثم إني لما قرأت كتاب الله متأملاً، وجعلته لي شغلا؛ لأنه حياة القلوب، وشفاء الكروب وجدتهم قد كذبوا منه وردوا أربعمائة آية وسبعاً وثلاثين آية محكمة كلها لا تحتمل التأويل، لو أن من تحت أديم السماء كذبوا بآية منها لكانوا بحكم الله من الكافرين، ووجب جهادهم على جميع المسلمين، فكيف بمن كذب بمجموعها؟!

فأما كلام رسول الله ﷺ وكلام الأئمة من ولده عليهم السلام فهم له رادون، وعنه صادون، وإنما الأصل كلام الله، فإن صدقوه صدقوا ما بعده فهو فرع عليه، وإن ردوه طاب الجلاد، وتعين فرض الجهاد، وغزوناهم كما نغزو الكفار، وأوقدنا النار إزاء النار، فإن ظهرنا عليهم بنصر الله قتلنا المقاتلة، وسبينا الذرية، وبعنا النساء والعيال، كما نفعل بالمشركين، ولم يكن عندنا لكل حالم إلا السيف؛ لأن هذا حكم الله وحكم رسوله في المرتدين من العرب، وقد تعللوا بالمخافة منا، والذمة بين المؤمنين والكافرين ثابتة، والله سبحانه قد أمر بجوار المشركين حتى يسمعوا كلام الله، فإن طلبوا ذمة أذممنا، وإن طلبوا جيرة أجرنا، وإن قبلوكم يا رجال حمير ومن أحبوا من سلاطين همدان وقبلوا رؤساء العرب من قبائل قحطان وعدنان رفقاً صحنا لمن رفقهم في أسواق البلاد: أن رفيقهم رفيقنا، وجارهم جارنا، وحضر الجميع منكم حتى يسمعوا كلام الله، وظهور حجج أولياء الله على أعدائه، وإن تمردوا عن ذاك وذاك لا ناظروا ولا ناصروا، فما بقي لهم عندنا إلا

السيف وكفى به ناصراً للمظلوم ومنتصراً من الظالم، فإن الخوارج على أمير المؤمنين عليه السلام كانوا أشد من هؤلاء القوم وطأة في الإسلام، فرسان الخيل وعباد الليل حملة القرآن، وأحلاس الطعان، فخالفوا علياً عليه السلام في ثلاث مسائل:

الأولى منها: لِمَ حكم الرجال في دين الله؟

والثانية: لم محا نفسه من إمرة المؤمنين؟

والثالثة: لِمَ لم يَسْبِ يوم الجمل؟ فقتلهم علي عليه السلام قتل الكلاب، وصب عليهم سوط العذاب.

واعلموا رحمكم الله يا معشر المسلمين أن الكافر يحل قتله ضعيفاً كان أو قوياً، وأن ضعفه مع الكفر لا يعصمه من القتل شيئا، بل إذ قد حلّ قتله، فأحب الأشياء إلينا أن يكون ضعيفاً؛ لأن القوي يتعبنا علاجه، ويصعب علينا اعوجاجه، فتأملوا الأمور بعين الفكرة، وتأهبوا للقيام والنصرة، فلو خذلتمونا خذلانهم ما عَزّ لله دين، ولا حمي سرح المسلمين.

وبلغنا أنهم يقولون: وأين الجهاد؟ فقلنا كما قيل في المثل المنتشر: (هان على الأملس ما لاقى الدبر) أين أنتم عن نجران وبيحان ومأرب والجوف وغزو تهامة وما ظهر في الجنات وشبام في الخاصة والعامة من المواقف المشهودة، والآثار المحمودة التي حضرتها رجال حمير، وما كسبوا فيها من ثواب ومفخر، وأنتم منجحرون انجحار الضباع، مترددون بين الدراعة والقناع، تأكلون الحار والبارد، متفيئون في ظلال المساجد، لا الله تتقون، ولا من محمد ﷺ تستحيون، قد خذلتم ذريته بأنفسكم، وخذلتم الناس عنهم بمكركم، فشركتم في دمائهم، وعددتم من أعدائهم، قال رسول الله ﷺ: «حرمت الجنة على من أبغض أهل بيتي وعلى من حاربهم وعلى المعين عليهم، أولئك لا خلاق لهم في الدنيا، ولا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم».

وقال ﷺ: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل عداوة لي ولأهل بيتي لم يرح رائحة الجنة»، وقال ﷺ: «من حاربني في المرة الأولى وحارب أهل بيتي في المرة الثانية كان من شيعة الدجال»، وشيعة الدجال هم اليهود لعنهم الله، فانظروا في معنى هذه الأخبار رحمكم الله، ومن اختص بها تجدوهم القوم لا محالة، وفي الحديث عنه ﷺ في أهل بيته: «قدِّموهم ولا تَقَدَّموهم، وتعلموا منهم

ولا تعلموهم، ولا تخالفوهم فتضلوا، ولا تشتموهم فتكفروا»، فقد خالفوا وشتموا وأنتم الشاهدون، فضلوا وكفروا بشهادة الصادق الأمين، فإن لم تقوموا عليهم فمن القائمون؟!

ومن عجائبهم وإن كانت لا تحصى أنهم يقولون: لا ينبغي للإمام أن يعمل الحصون، ويشحنها قوة للمسلمين، ومراغماً للفاسقين!!

قلنا: فأين أنتم عن قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ**﴾[الأنفال: ٦٠]، وما أخرجنا الأموال الجليلة التي صارت إلينا إلا في هذين الوجهين، أفليس رسول الله ﷺ يا جهال خندق على نفسه من المشركين، وهو في ثلاثة آلاف من الأنصار والمهاجرين، كل واحد منهم يحب أن يموت قبل صاحبه، وكل واحد من أهل عصرنا يحب أن يموت صاحبه قبله ومعه الملائكة مسومين، فأين أنتم عن الآثار النبوية يا أجهل العالمين، لا بكتاب الله صدقتم، ولا بكلام رسوله آمنتم، ولا ذريته اتبعتم، فأين تريدون؟

قلنا: فما الصواب؟ قالوا: يبرز الإمام إلى العدو فإما قتلوه وإما قتلهم.

قلنا: هذه الذي تريدون، أن يلقى العدو بغير مكافاة، لا لعمر الله، بل نطرق إطراق الشجاع عند عدم الناصرين، ونثب وثوب السباع عند وجدان المعين، ولا نزال شجىً في حلوقكم، وقذىً في أعيانكم وفي أعيان إخوانكم الفاسقين، حتى نطهر الأرض منكم أجمعين بالتائبين من العاصين، والمستجيبين من المؤمنين، والأعوان من المسلمين، ونستنجز في خلال ذلك وعد رب العالمين: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[التوبة:٣٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾[القصص:٥، ٦]، هرب رسول الله ﷺ إلى الغار خوفاً من المشركين، وانحاز في شعب أحد حذراً من سطوة الكافرين حتى قال شاعرهم:

فلولا صعود الشعب غادرن أحمداً

ولكن نجا والسمهري شروع

ولم يزل ﷺ إن أمكنته فرصة وثب، وإن خاف من طغيان المشركين احترز حتى كانت العاقبة للمتقين.

قلنا: وما تنقمون على الإمام؟ قالوا: عاقب.

قلنا: أفلستم تعاقبون؟ قالوا: رحَّل الناس من بيوتهم.

قلنا: فأنتم ترحلون.

قالوا: غرَّم. قلنا: فأنتم تغرمون من لا يجب عليه من الحقوق شيء، فأقل أحواله أن يكون مثلكم، يجوز له ما يجوز لكم.

قالوا: أعطى أموال الله العصاة. قلنا: أفليس أعطيتم أموال الله إسماعيل الكافر اللعين؟

قالوا: مداراة. قلنا: فإذا جاز إعطاء العصاة أموال الله مداراة جاز إعطاؤها للحرب والمكافاة، وإذا جاز إعطاؤها من يعصي الله جهراً جاز إعطاؤها من يعصي الله سراً، وإذا جاز لعامة المسلمين ولا ولاية لهم جاز لأمير المؤمنين، فله ولاية عامة على الخاصة والعامة في النفوس والأموال، فتيقظوا يا معشر الجهال، فما بقي إلا الفجر أو البجر، فقد علمتم اللب وأعييتموني كما قيل في المثل السائر: (من شب إلى دب) وإنما يذكر من يذكر أعيتني ناشر، فكيف بدردر؟! هذا مثل في امرأة حمقاء قَبَّلَ زوجها ولده منها قبل نبات أسنانه فقال: (بأبي دردرك، فغدت كسرت أسنانها وجاءت إليه فقالت: كل أهلك دردر، فنظر، فإذا ليس في فمها واضحة، فقال: أعيتني ناشر فكيف بدردر؟ معناه: وأسنانك بتوشير الحداثة فكيف بدردر؟ أعيوني في حال ما وافقوني ونافقوني فكيف بعدما ناصبوني وكاشفوني؟

قالوا: فعل الأئمة كذا وكذا. قلنا: تخبرني عن ضب احترشته، وبئر نبشته، أفلسنا أولاد الأئمة وأولاد الرجل أعرف بدينه؟ أفلسنا أهل البيت وأهل البيت أعرف بما نزل فيه؟ ولكنكم كما قيل في المثل: (لا تعجر مسك السوء عن عرف السوء) لما خبث اعتقادكم ظهر فسادكم، ضيعتم الخير البارد، ولقيتم السهم الصارد، فكنتم كما قيل في المثل الشارد: (تجنب روضة وأحال يعدو) اخترتم الشقاء على الراحة، ومن أمثال العامة: (قيل للشقي: هلم إلى السعادة. قال: حسبي ما أنا فيه) وقد

دعونا القوم إلى الله سبحانه، فإن أجابوا قبلنا الإجابة، وإن أبوا جلبناهم بالساعد الأشد، وحصبناهم بحاصب البرد وكنا كما قال الشاعر:

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى

ولا المجد إلا من قنا وسيوف

ولو كانت لنا رخصة في المتاركة لعملنا كما قيل في المثل: (دع امرءاً وما اختار) ولكن منع من ذلك خوف النار، وطاعة الحكيم تعالى ومراده في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[الحج:٧٨]، فلا نوم ولا غفلة حتى يفيئوا إلى أمر الله عجلا، أو نكرع السيوف فيهم علا ونهلا، بأيدي رجال على الهول شداد، يستمرئون مر الجلاد، وهذه نصيحة لزمنا فرضها فشهرناها، وكاملة من معالم الدين أثرناها، فما أولئك القوم أكثر عبادة ولا أعظم حرمة من أصحاب النهر، فذاقوا مسّ سقر، وقتلهم خير البشر، فانظروا في ذلك يا معشر المسلمين ولا ترخصوا للقوم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي وآله وسلم.

[كتابه عليه السلام إلى ورد سار جواب كتاب ضمنه بعض الأذى والجفاء]

وكتب عليه السلام إلى ورد سار[1] جواب كتاب ضمنه بعض الأذى والجفاء وذكر فيه الإعراض عن المطرفية بعد أن وصله أناس من كبارهم يستنصرون به وأهدوا له هدايا:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله وسلم

سلام عليك، وإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك التوفيق لما يحب ويرضى أما بعد:

---

(١) وردسار: (هو وردسار بن بنامى الشاكاني من كبار القادة الأيوبيين ظل على ولائه للملك المعز إسماعيل إلى أن وقع الخلاف بينهما فانضم بقواته إلى الإمام في الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٩٨هـ ثم وقعت أحداث وأحداث. انظر السيرة المنصورية.

فإن كتابك وصل إلينا مضمناً أنواع الأذية التي لا تليق بأهل الرئاسة والأصول الزكية، وأرباب النفوس الأبية، وذكرت تقلبنا في الأحوال، ولا شك أن ذلك من أقبح الخلال، ولا سيما لأهل الرفعة والجلال، فإن كنت واعظاً أو آمراً فسمعاً سمعا لمن أمر بها أمر الله به ورسوله ﷺ وفعله ولم يناقض قوله فعله، والله سبحانه يقول: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤].

وأما ما ذكرت من الوفاء بالعقود، والتمام بما انبرمت عليه العهود، فمن لنا بذلك، أفليس في عقدنا وعقدك أنك تسلم ألف دينار في بلد حاشد وأربعمائة للقاسم بن إبراهيم؟ فالأربعمائة التي للقاسم بن إبراهيم على وجه الإنعام، والألف مما جرت عليه العلانية وتم به الكلام، فنحن وإياك كما قيل في المثل: (يرى أحدكم القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينيه) وعنفتنا في المدافعة ولم ندافع مدافعة مطال، ولا اعتذرنا بمحال، يعلم ذلك ذو الجلال، ولا علمنا أن معك حاجة للخيل والجمال، إذ عندك منها بحمد الله كل سامي القذال، طويل الشكال، وإنما أردت بها الشائعة، ففي أي وقت حصلت فهي فيه واقعة.

وأما ما ذكرت من كتابنا إلى السلطان عمران بن الذيب، فما ابتدأناه بكتاب وإن كان أهلاً لذلك؛ لأنا تركنا مكاتبته خوفاً من الله سبحانه في نقض العهود، ولكنه كتب إلينا، فرددنا جوابه بأمره بالصلح والتغطية، والله على ما نقول وكيل، فإن نقل إليك إنسان الحديث فهو كاذب عند الله سبحانه وعندنا، وإن جاءك كتابنا فمر ثقة يقرؤه عليك، فهو بخط كاتبنا، وما ألحقناه فهو بخطنا والكل لا يمكن تشبيهه، ونحن نقبله علينا ولنا.

[ذكر عقائد المطرفية والسبب في قتالهم]

وأما ما ذكرت من المطرفية الطبعية الكفار ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم:٢٩،٢٨]، وقتلنا لمن قدرنا عليه منهم، فلم نفعل ذلك ليسلموا لنا الحصون التي في أيديهم، ولا ليعطونا الأموال التي معهم، ولا لشدة

كلبهم علينا في الحرب، ولا لثأر نطلبهم به، ففكر فأنت من أهل العقول، وإنما فعلناه تقرباً إلى الله عز وجل؛ لإظهارهم صريح الكفر في بحبوحة دار الإسلام، ونحن نحكي لك طرفاً من ذلك يدل على ما وراءه، نفوا عن الله سبحانه المفاضلة بين خلقه، وقالوا: لا يرزق من عصاه، ولا ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته، ولا يخص برحمته من يشاء، ولا يرزق من يشاء بغير حساب، ولا يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ولا يزيد في الخلق ما يشاء، ولا يبلو بنقص من الأموال والأنفس والثمرات، ولا يبلو بالخير والشر فتنة، ولا ينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها، ونفوا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۝ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۝ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة:٦٣-٧٠].

قالوا: هذا كله بالإحالة والاستحالة، والفطرة والتركيب، وما قصد الله سبحانه شيئاً من هذا. رداً لكلامه، وكفراً لإنعامه.

وأنكروا قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٤٩، ٥٠]، وأنكروا أن يكون الله سبحانه اختص محمداً ﷺ بالرسالة واصطفاه بالنبوة، وقالوا: إن النبوة من فعله دون أن تكون فعلاً لله. وكم فيهم من نتين الفم قلح الأسنان، معوج الخرطوم، واسع الشدق، يناظر على أنه لو أراد لكان نبياً مثل محمد ﷺ وأمثال هذا من كفرهم جم غفير، والقليل يدل على الكثير، وضوء البارق يشير بالنو المطير، ومع ذلك إطباق مشايخهم وعلمائهم على سب أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم وعائشة وحفصة رضي الله عنهما ونحن نشهد بذلك وكفى بالله شهيدا، لقد ناظرونا عليه مراراً، وخاصمونا أسفاراً، فقلنا: كيف تسبون قوماً قامت بهم قناة الدين، ورسخ عمود الإسلام، ودارت رحى الإيمان، وخمدت نار الكفر والطغيان؟!!

وذكرت أن المقتول منهم من حملة القرآن، وهل قتلناه إلا على إنكاره نزول القرآن، وخلعه بذلك لربقة الإيمان.

فهذه زبدة لطيفة من كفرهم ذكرناها، وكاملة من ضلالهم آثرناها، فهل تستجيز أويستجيز مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر موالاتهم على هذا فلا تكن للكافرين ظهيرا، ولا للخائنين خصيما، وإن رأيت أن يثقل ميزانك بقتلهم والقيام عليهم، فهو فرض الله عليك، وبالله أقسم يميناً كنت غنياً عنها لو خفت حنثاً فيها إني أرى على حد معرفتي وما أداني إليه علمي أن جهادهم وسفك دمائهم أقرب إلى الله سبحانه من جهاد الكفار في ثغور الإسلام حماها الله سبحانه؛ لأن هؤلاء الأشرار كفار في بحبوحة الدار، فنزعهم منها أولى من قتالهم في ثغورها، فتفهم هذا الكلام وما لحق الشيعة المتوالية الذم إلا بسببهم؛ لانتقاصهم السلف الصالح رضي الله عنهم فلو لم أجد عوناً على حربهم إلا النمل لقاتلتهم بها تعرضاً لثواب الله سبحانه.

فأما صلاتهم وعبادتهم فأنت تعلم أنها تقصر عن عبادة أصحاب الصوامع من النصارى لعنهم الله، فلم تغن عنهم عبادتهم من عذاب الله شيئاً، وإن جحدوا ما حكينا من مذهبهم ورجعوا للحق على يديك، فاستوثق منهم وحلفهم بالنذور وأهلا بالوفاق، وإن أرادوا الوصول للمناظرة لنا وتعللوا بالخوف فاعقد لهم بالرفاقة، واجمع مع رفاقتك وإن كانت كافية من شئت من الشرف والعرب، وانفذ صحبتهم من شئت من القضاة والفقهاء شهوداً علينا، فإن صدقنا في دعوانا على القوم وبينا كفرهم وخروجهم عن دين محمد ﷺ لم يسعك عند الله أن تكون أعنة الخيل في يدك، وأنت اليوم أحد ملوك الدنيا، وأنت تقدر على قتلهم، فترفع السيف عنهم، ما عذرك عند الله غداً؟ وما هذا حق الله عليك.

وأما ما ذكرت من أنك عفوت عنا، فالعفو شيمة الأحرار لو فعلت، ولكنك ما قدرت منا إلا على إبراهيم رحمه الله فقتلته أقبح قتلة، ومثلت به أشنع مثلة وما بقي من أنواع المثلة إلا الطبيخ، فإن كنت تركته عفواً تقلدنا الصنيع، وقدرت على دور ضعيفة القيمة والهبة إلينا أردناها للكن من الأمطار، والتنج من الرياح، فهدمتها أعظم الهدم، وجردت فيها ماضي العزم، ولم تكن إلا لذكر الله كما يعلم.

فأما إن كان عفوك عنا بأن قبلت منا تسليم ما سألت فقد عفوت عن أهل شعوب بهذه الصفة إن أعطوك ما رسمت عليهم أعطيتهم العافية، فكذلك فعلك معنا، فلا تمتن علينا بشيء

نحن والناس من العامة فيه سواء، ودليل ما قلنا كتبك هذه: لئن لم تفعلوا وتصنعوا ليكونن وليكونن...، وإنما كان العفو أن يتقرر عندنا لك شيء وتتركه لنا، أو تحوز البلاد علينا ثم تقول: دونكم إياها، وهذا لم يكن؛ لأن عندنا أنكم ما تركتم البلاد ولا خرجتم منها باختياركم، ولا شفقة علينا ورحمة لنا، ولا خرجتم بحولنا أيضاً وقوتنا لكن بحول الله وقوته، وتأييده لوليه وابن نبيه ﷺ لكنا قد مننا بحقن دماء من قدرنا عليه من أهل يافث وجند صعدة وعندنا خط أسد واعترافه بالمنة؛ لأنا خفنا إنكاره فأخذنا خطه، فتذكر من قدرتم عليه من جهتنا وعفوتم عنه حتى تكون منة، فالمنن بين الرؤساء غير مستنكرة، والأمير الأجل بدر الدين محمد بن أحمد أدام الله عزه ما عقد لأسد وأصحابه الرفاقة إلا بعد وصول كتابه يستأذننا في ذلك، وخطنا عنده بالإذن باق.

وأما السب والأذى الذي ضمنته كتابك فذلك مما لا جواب له منا، على أنا نعترف لك بالصنيع فيه؛ لأن الذين سبوا رسول الله ﷺ سبوه بأعظم مما سببتنا به، فأنت بالنسبة إليهم محسن.

وأما ما تهددت به من الجنود والعساكر، فأنت على ذلك قادر، ولكنا نستكفي الله شرّك وشر كل ذي شر، فإن لم يبق إلا هذا قلنا: حسبنا الله ونعم الوكيل، ونحن عاملون على القدوم إلى صعدة حرسها الله تعالى بالصالحين من عباده ثالث عيد النحر أو رابعه، عرفنا الله وإياك وكافة المسلمين بركته، ونضم ما جرى به الكلام من الخيل والجمال وننفذها إن شاء الله تعالى إن لم يعق عن ذلك عائق، وبالله قسماً صادقاً لو بقي أصغر أمير من الغز يرجع إليه الأمر وملكنا أكثر الأرض ما تأخرنا عن وفاء ما جرى به العقد إلا أن يأتي نقضه منكم خوفاً من الله رب العالمين، ومن يوم اصطلحنا الكتب تأتي إلينا فلا نجيب إلا بما نرجو فيه الخلاص والسلامة، فلا ندري ما عملت في مثل ذلك، ومهما غفلت عنه فلا تغفل عن قتل المطرفية ونكالهم لوجه الله تعالى، حاربتنا أو سالمتنا، ولا تنس قول أضعفهم: لو أراد لكان مثل النبي ﷺ ولا تظن أنا تقولنا عليهم، فنحن لا نستجيز الكذب ولا رد المكتوم عند من نستخبره عن قولهم فيريد بذلك النصيحة.

واعلم أن السلطان بشر بن علي الذعفاني يتهددنا بمصير أولاد قاسم بن إبراهيم إليك، وقد قلنا لأصحابنا: أنتم أشرف منه نفساً، وأبعد عن فعل الدنايا، فإن كنت قد عزمت على نقض

الهدنة فهي عشر سنين وعشرة أيام وعشر ساعات، قد مضى منها تسعة شهور ونصف شهر كنت تأمر بشراً بتخليص الرهائن علينا، وإن رأيت الوفاء فمنا الوفاء إن شاء الله تعالى، والمراد منك أن لا تقطع في عداوتنا، ولا تسمعنا ما لا يليق بمثلك، فبيننا وبينك من المعرفة ما يجب رعاية حرمته.

إن المعـــارف في أهـــل النهـــى ذمـــم

وقد قال النبي ﷺ: «أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما» ولو أردت عداوتنا وحربنا فأنت ملك ومثلك يحارب من نافسه في الأمر أو نازعه في الملك، وهذا عذر في الدنيا وإن كان لا يخلص عند الله غداً فلا منقود عند أهل الدنيا في هذا، ولكن ما عذرك في أرذال الناس أهل الأصول الدنية إذا سبونا وآذونا وهجونا وأنت تقدر على منعهم والاستخفاف بهم، وأنت حائل بيننا وبينهم، ولولا ذلك لأظهروا من الصلاة علينا والمدح لنا ما نحن عندهم بخلافه، فكل شيء وصلنا منهم فكأنه في الحكم من جهتك؛ لأنه لولا أنت لما قدروا على ذلك وقد طولنا وزدنا ونقصنا ونحن ندل عليك لسابق المحبة وسالف الصحبة.

واعلم أن ما بيننا وبينك عربي يريد لنا ولك ألفة ولا ينقل إلا ما يوجب الوحشة، والله سبحانه يختار فيما نرى فيه الخيرة، والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى أبي الفتح العباسي[1]]

وكتب عليه السلام إلى الشريف أبي الفتح العباسي وقد وصل إلى ذمرمر جواباً عن كتاب أتى منه فقال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك التوفيق لما يحب ويرضى، أما بعد:

فقد وصلنا كتابك إلى محروسة حوث وما بلغ إلينا من قبل من قبلك في مدة إقامتنا في ذمرمر حماه الله لك كتاب قبله، وفهمنا ما ذكرت من الحوادث بينك وبين أصحابك، وبئس لعمر الله الأصحاب أصحاب ينكرون فضل النصاب، ويردون آي الكتاب إلا من باعهم دينه بالتافه اليسير من الدنيا الفانية، فإنهم يعظمونه ما استقام على رأيهم، وما عسى أن يجبر تعظيمهم من تصغير الله ورسوله ﷺ وولاة الأمر من عترة نبيه سلام الله عليه وعليهم وأتباعهم من الصالحين رضي الله عنهم وقدر الشهادة قدر الشهود.

والحمد لله الذي آل الأمر إلى نكس رؤوسهم، وظهور خضوعهم وبؤسهم، وكامن عداوتهم لا تفارق قلوبهم إلى أن تقطع قلوبهم، فإياك أن تغتر بهم فقد أورثتهم بغضتهم للعترة الطيبة، وعداوة الذرية الطاهرة نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون.

وأما ما ذكرت من بلوغ أعلام الحوادث الظاهرية وقتل من قدر عليه، واتضح المنهاج إلى قتله من المطرفية وحقنك لذلك فمن خف من علماء الفرقة الغوية فما كنت لذلك مطية، وليت شعري

(١) الأمير أبو الفتح بن محمد العباسي، كان من العلماء الذين بايعوا الأمير المنتصر بالله محمد بن مفضل بن علي بن علي العفيف حينما قام محتسباً في زمن ظغتكين واستمر في مناهضة الأيوبيين إلى قيام الإمام عبد الله بن حمزة، وقد وصلا كلاهما إلى الإمام مع مشائخ هجرة وقش وكبارهم من المطرفية سنة ٥٩٨هـ.)انظر السيرة المنصورية).

هل بلغك قتل إبراهيم بن حمزة رحمه الله أم لا؟ فيخف لديك لمساس رحمه، ووجوب حرمته على فضلاء المسلمين، وعامة الصالحين، حيث أثبت للموت قدمه حياءً من الله أن يولي العدو دبره، وإن كان مقتضى هذه الخفة التبصر والاسترشاد، والتثبت في الاعتقاد في أصل أمرنا أو فرعه، فالقدر أقوى شهود المدعي، وأنت تعلم كتابنا مع الشيخ يحيى بن علي الذماري إليك خاصة وإليهم عامة في الوصول والمباحثة، ونسخة الكتاب عندنا باقية إلى الآن ولم تطل مدة الزمان فيزل ذكر ذلك عن الأذهان، وطلبنا فيه الوصول إلى محروس ذمرمر حماه الله لإقامتنا هنالك للمراجعة والمباحثة في أمور الدين التي لا يسع جهلها فلم يتفق ذلك، ثم الآن وقع الطلب لذلك، فإن كان المراد لأن يقع العذر بذلك عند العوام فدون هذا التضريب يقع به الإشكال ويتقوى الاعتلال، وإن كان المراد التبصر وطلب النجاة لزم الوصول إلى الجهة التي نحن فيها ولو كانت الشقة أبعد، وخوف الضرر من العاجلة أوكد، ومثلك لا يعلم بهذا الحال، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[الحشر:٨]، فلم يرعهم الخوف على الدور والأموال من المهاجرة إلى ذي الجلال وإيثار جنبة الفقر على جنبة الغنى والأمن، وإن تناهى نفار أولئك القوم أوثقنا لهم بما يوثق به أهل الدنيا وأهل الدين، وإن غلظ الأمر فليعقد لهم المتمسك بمذهب آبائه الطاهرين منكم بالذمة، فإن تناهى الخطب كنا نبعث بالرهائن الوثيقة فيهم إلى محروس ذمرمر أو ثلا حماهما الله سبحانه بالصالحين من عباده، وإن تمادى القوم في الطغيان ولجوا في العصيان رجعتم إلى أنفسكم يا بني علي عليه السلام العباسي والفاطمي، فإن كنتم على بصيرة في ضلال القوم فيِّسوهم ونابِذوهم وانتهروهم لله سبحانه، فقد روينا عن الصادق الأمين صلى الله عليه وآله الطيبين: «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً»، فما يخاف بعد هذا، وإن كنتم على بصيرة في صحة ما هم عليه فضموا قواصيهم، وأجمعوا أمرهم، ثم اقضوا إليَّ ولا تنظرون، وإن كنتم في شك من ذلك وصلتم وجرت المراجعة لتكونوا من الأمر على يقين، فأنتم في نصاب شريف لا يجمل لمن ركَّب منه أن يتساهل في أمر نفسه وحفظ ما أعطي من زاكي شرفه، ولو كان قيامنا عليهم لغير الله سبحانه لطلبنا له أوسع من وقتنا هذا، ففي وجوهنا من حرب الظالمين ما فيه كفاية، ولكننا لما ظهرت هذه الدعوة المباركة رجونا أن يجمع الله سبحانه بها شمل الإسلام فضلاً عمن ينسب إلى الشيعة والولاء، وجاء الناس فبايعوا، وأكثر ما تعلقوا به من الشرط أن

تكون البيعة على مقتضى الدعوة، ونحن نعلم وإياهم أن من شرائط الإيمان الاستقامة فكيف بالإمامة، فقبلنا ذاك والتزمناه وهو فرض الله علينا، فبلغنا في ذلك الأوان على العلم حديث به اتصل في هذا الزمان من كبار من ينسب إليهم من أمر أصحابه أن يصلوا بغير طهور، فعلمنا أن الأمر من القوم مبني على النفاق وخفة الدين وقلة الورع؛ لأن النفاق ليس من أخلاق الصالحين، والتقية ليست من رأي الزيدية خلافاً للإمامية.

واعلم أيدك الله أنا قد قتلنا القوم خبرة ومعرفة من الصغر إلى الكبر ومناظرتهم لنا مرةً بعد أخرى على إنكار نزول القرآن الكريم زاده الله شرفاً على مرور الأيام وإنكار بقائه، ولم نطل على الأمم إلا ببقاء معجزة نبينا ﷺ التي هي القرآن الكريم والكتاب العزيز والذكر المحفوظ.

ومن ذلك إنكارهم لظواهر كتاب الله سبحانه، وردهم لما يعلم من مضمونها حقيقة، وأنت تعلم أيدك الله أنا كفَّرنا الباطنية وقضينا بردتهم لحملهم لكتاب الله سبحانه على تأويل لا يوافقه بحقيقته ولا بمجازه، ولا خلاف بين العترة الطاهرة وعلماء الأمة في كفرهم وردتهم لذلك، فما المخصص للمطرفية إن اعتقدوا الكفر بالخروج من حكمه ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾[القمر:٤٣].

فأما السب والأذى الذي يختص بنا فلو لم يكن إلا هو لكنا نتعمده في حق الله سبحانه إن جوزنا رجوعهم إلى الحق، على أنا قد روينا عن النبي ﷺ في أهل بيته سلام الله عليهم: «قدموهم ولا تقدموهم، وتعلَّموا منهم ولا تعلِّموهم، ولا تخالفوهم فتضلوا، ولا تشتموهم فتكفروا» فقضى ﷺ وهو ماضي القضاء بالضلال على من خالفهم، والكفر على من شتمهم، وهذا وإن كان من الآحاد فقد جمع شرائط الصحة فجاز به العمل في الأمور الشرعية نفياً وإثباتاً، فالأمر كبير والخطر عظيم وليس وراء النفس مطلب، وما العجب منهم في السب، فما ارتكبوا من الكفر بالله سبحانه الذي لا يحتمل التأويل أعظم، إنما العجب من إقراركم إياهم عليه وممالاتكم لهم فيه، فإن ادعيتم الجهل بذلك وعدم العلم به فما الطريق لنا إلى إنكار ما ادعته السوفسطائية ومن شاكلها في إنكار الضروريات، فلا عطفكم الدين الذي هو الأصل الثابت، والحبل المتين، ولا المروءة العلوية، والحمية الهاشمية، فقد علمتم إطباق بني هاشم على حماية رسول الله ﷺ

مسلمها وكافرها، المسلم يحامي على الدين، والكافر يحامي على الحسب الزاكي، فروينا بالإسناد الموثوق به أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ: «يا محمد، طفت مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، فلم أر أهل بيت أفضل من بني هاشم».

ولما قلنا الأبيات الرائية:

وكم مدعٍ للعلم جاء مصمماً

نقلت إليهم، فأجابوا عنها بالسب والأذى تقريراً لما حكينا عنهم من إنكار إنزال الله سبحانه للغيث من بعد ما قنطوا، وامتنانه بذلك في آي كثيرة لا تغبى، فما تجهموا حرمة الإسلام، بل صرحوا بالكفر في بحبوحة داره.

وأعجب من ذلك أن هذا السب ما نسج لنا إلا من مجلد العابد منهم قد ادخره وسيلة بينه وبين ربه لئلا يلقاه بغير جواز، لأنا روينا عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ألا لا يجوزنَّ أحد إلا بجواز، فيقال: وما ذلك الجواز، فيقال: حب أهل البيت، المستضعفين في الأرض، المغلوبين على حقهم، فمن لقيني بحبهم سكنته جنتي، ومن لقيني ببغضهم أنزلته مع أهل النفاق» أفتوهمهم أنهم لا يحسنون الشعر، فهذا جهل عظيم أو تفاضل بين شعرنا وشعر غيرنا، فالتفاوت بين كلام البشر يسير، لولا ذلك لبلغ الفائق منه حد الإعجاز، وهذا أمر مستحيل.

فأما شعر ابن النساخ الذي هو عليه إن شاء الله تعالى وعلى أحزابه كراعيه النكر لكفره لا لأذاه فقد أراح على نفسه من الاعتراض في السيرة بنفيه النسب، ولا شك أن هذا أراح على من رام نفي الأمر وذلك أنه ناقض الأرجوزة بزعمه بالسبِّ دون الاعتراض على الأدلة بشبهة أو دليل إن كان على حق، وشرح قوله تطويل، والحساب عليه إن شاء الله أطول، ولكنا نذكر منه تصديق ما حققنا لكم: ذكر في قافية منها جمعنا للدنيا وحرصنا عليها وما ينضاف إلى ذلك من قلة الورع، ثم عقب ذلك بذكر النبي ﷺ وذكر بعض ما هو أهله فقال:

فما اقتنى أحمد منها درهما

ولا اجتبى إلا الذي منها حمى

فــــيما روتــــه إن حفظـــت العلـــما

ويـــح الطغـــاة إن دعـــوك قـــيما

في نـــسب مـــسترق مذبـــذب

ملفّـــق مـــروق مـــضطرب

يقـــول أصـــلي مـــن عـــلي والنبـــي

مـــا صـــححت هـــذا رواة النـــسب

وبهذا صار عندهم مقرباً وإليهم محبباً.

فانظر إلى هذه الفكرة الدقيقة التي أوصلته إلى هذا الحد، وانظر تلك الفرقة المخلصة المقرة لـه على هذه المقالة.

فهذه أمور كما ترى، فانظر في أمر نفسك ومن طابقك من الشرف عـلى الانقيـاد للحـق ومـن اتبعهم من الصالحين، فأقرب الشرف منا نسباً، وأدناهم قرابة أولاد الهـادي عليـه الـسلام فبـالله قسماً صادقاً لا أستثني إلا مشيئته وعونه لئن صَلت مع الفرقة الكافرة مـنهم مـصلتٌ، أو تغلـب على الشرك منهم متغلب وقامت شوكة لأنادينَّ على بناتهم في الأسواق تجديداً لشرع جـدهم ﷺ فقد ملك ﷺ عمه العباس وابني عمه وباعهم أنفسهم بعد قول العباس رضي الله عنه: إني كنـت قد أسلمت وأخرجت كرهاً، فقال ﷺ: «الظاهر من أمرك أنك علينا» ولما سبى معقل بـن قـيس الرياحي رحمه الله بني ناجية عن أمر علي عليه السلام لإطباقهم على منع الزكاة اسـتحلالاً عـاب عليه أهل العراق ذلك، فقال:

لعمـري لـئن عـاب أهـل العـراق	عـــليَّ بـــسبي بنـــي ناجيـــة
لأَعْيَـب مـن سـبيهم كفـرهم	وكفّـــي بـــسبيهم عاليـــة
وقـــد قـــال قـــوم قـــسا معقـــل	فقلـــت قلـــوبكم القاســـية
وقلـــت ســـبيت عـــلى ردّةٍ	عـــلى الحـــق والـــسنة الماضـــية

وهم الذين شراهم مصقلة بن هبيرة وأعتقهم، وكان في أمرهم ما هو مشهور.

وأما أمر الزيدية ولـمُّ كلمة الشيعة فهذا هو الواجب بعـد صـحة الاعتقـاد وخلـوص معنـى التزيد وذلك يكون باعتقاد الحق والعمل به كما كان مع محمد بن إبراهيم عليه السلام وبعـده مـع محمد بن محمد عليه السلام وخروج أربعة آلاف زيدي متحنط حتى هزموا هرثمة بن أعين وهـو في عشرة آلاف فارس غير الرُّجَّل، وقد ذكرنا تسللهم لواذاً بأصول البرقوق يـوم قـصدنا صـنعاء وما قلنا على الله إلا حقاً، فجاء في كتابهم تعريض بإنكار ذلك أو الطعن علينا بذكره، وكنـا نظـن أن ذلك يقابل بالاعتذار، فإذا الأمر مبني والحال هذه على الغلاط، ولم يجعل للسيف لمن أطلق الله سبحانه له استعماله إلا لمن ينكر الحق ويغمص البرهان ويقابل الدليل بالسب والأذى، كـما فعـل المشركون على عهد رسول الله ﷺ.

وتفكر أيدك الله سبحانه ما الذي بقي بوثقنـا مـنهم بعـد إتيـان شـيوخ أهـل قاعـة وكبـارهم ومراجعتنا لهم في محضر شيخ آل الرسول سلام الله عليه وعلى آله وعقده للذمة لمن كـان عنـده في دفع الإمامة حجة، فأنكر وأجحد الإمامة أشـد الإنكـار، وشـهدوا بـصحتها ووجـوب الانقيـاد لأحكامها، والعمل بلوازمها، وقرنا الشهادة على واحد فواحد حتى تموا، وأشهدْنا الله وكفى بـه شهيدا، ومن لقينا لم ينازعنا في الأمر، بل يظهر لنا فوق ما يجب عليه من الحق، فما الطريـق لنـا إلى صحة ما يظهرون.

فأمـا مـن نـافق عـلى عهـد رسـول الله ﷺ فكـان الظـاهر مـن أمـرهم غمـس أيـديهم مـع رسول الله ﷺ والنـادر مـن كـان يتخلـف عـن مـشاهده ﷺ فـإن تخلـف بعـذر تعلـل وطلـب الاسـتغفار، فلـذلك كـف عـنهم، فـلا برهـان عـلى إجـراء مثـل ذلـك الحكـم عـلى هـؤلاء، ورسول الله ﷺ عرفهم في لحن القول، وهؤلاء صرحوا الكفر تصريحاً لا مدخل للتأويل فيه، فإن هداهم الله على أيديكم فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولسنا نبعد عن محبوبكم على الوجه الذي يخلص عند الله سبحانه وهذا أمر له ما بعده.

فأما حرب الغز أو سلاطين العرب فلم نقم إلا له، ولو أردنـا المتاركـة ففـي أرض الله سـعة. وأما بدايتنا بهم دون الفرق فلانتسابهم إلينا:

وذو اللب يبدأ بالذي هو أقرب

وإنما نريد تقويم الفرق بالزيدية:

وكيف يقوم الظل والعود أعوج

فإذا أخلصت الزيدية إن شاء الله طلبنا من وراها، ثم كذلك حتى يخلص الدين لله سبحانه أو يزول التكليف عنا فنخلص عن عهدته، والسلام عليك وعلى كافة المسلمين قبلك ورحمة الله وبركاته.

[كتابه عليه السلام إلى المشائخ بثلا وكانوا ينتحلون مذهب المطرفية]

وكتب عليه السلام إلى المشائخ بثلا وقد مات أبوهم علي بن منصور الضريوة، وكانوا ينتحلون مذهب المطرفية، وغرهم ما شاهدوه منهم من النسك والعبادة، وكانت لهم رغبة في السلامة وخوف من الله تعالى:

اعلموا رحمكم الله أن المصاب من أصيب في دينه، والمرزأ من كانت رزيته في فوات رحمة ربه، وقد بلغنا إقبالكم إلى الله سبحانه وانقطاعكم عن الدنيا فأقبلنا إليكم، ورغبنا في هدايتكم، وأعرضتم عنا ونفرتم، وأنا أدعوكم إلى الهدى وطاعة الملك الأعلى، ولستم بجهال ولا سفهاء، احضروا إلينا وانظروا ما يحكى لكم عنا، واسمعوا كلامنا، فإن قضت عقولكم بصحة ما نحن عليه لم تهلكوا أنفسكم، وإن بان لكم خلاف ذلك كنتم على بصيرة من أمركم معذورين عند الله سبحانه في تأخركم، وأكبر مكيدة فعلها الكفار في أمر رسول الله ﷺ أن نهوا الناس عن سماع ما جاء به، فقالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾[فصلت:٢٦].

وفي حديث أبي أزيهر الدوسي: دخلت مكة، فلقيني رجال من قريش، فقالوا: لا تسمع محمداً فإنه ساحر، فرق بين المرء وزوجه، والوالد وولده، والأخ وأخيه، قال: فوالله ما زالوا بي حتى

تركت في أذني كرسفا[1]، فدخلت المسجد، قال: فرأيت النبي ﷺ في المسجد، فقلت: وا ثكل أماه، أنا رجل عاقل أعرف الخطأ والصواب، ما عليَّ أن أسمع محمداً، فإن كان على حق اتبعته وإلا تركته، قال: فتركته إلى غفلة المشركين ثم دخلت إليه منزله، فقلت: اعرض عليَّ ما عندك؟ فعرض عليَّ الإسلام وأسمعني القرآن، فهداني الله فآمنت علي يديه وقلت: يا رسول الله، ابعثني إلى قومي، فبعثني إليهم، وقلت آية، فقال: «الآية معك»، قال: فلما طلعت على قومي وقع بين عيني مثل القنديل، فقلت: يا رب لا في وجهي يقول قومي: إنها مثلة، فحول إلى طرف سوطي، فلما وصلت جاءني أبي، فقلت: إليك مني يا أبت، فلست منك ولست مني، قال: ولِمَ يا بني؟ قلت: لأني آمنت بالله تعالى وبرسوله محمد رسول الله ﷺ قال: يا بني، فديني دينك، قال: وجاءتني امرأتي، فقال لها قوله أولاً، فقالت: فديني دينك، قال: فقلت: اغتسلي على حماذى الشرا (صنم كان لهم) قالت: أفتخاف على الصبية؟ قال: لا، فاغتسلت وأسلمت.

وأصل هذه القصة أنهم صدوا الناس عن سماع رسول الله ﷺ ونحن وإياكم في مثل ذلك، صلوا وصلوا بزادكم إن لم تستحلوا زادنا، واسمعوا قولنا وحججنا، فإن أتيناكم بالحق فاقبلوه وإلا طابت نفوسكم، فالعاقل إذا خوف خاف، فإن كان علماء المطرفية يريدون المناظرة وقد لبَّسوا على العوام بالخوف، والخوف حادث لما علمنا إصرارهم فما المانع لهم من الوصول من قبل؟ ثم إن قالوا: نريد رفيقاً أو ذمة، فالرفيق جائز والذمة بين المسلمين والكفار ثابتة، فإن أحبوا ذمةً أذممنا، وإن أحبوا صحابة صحبنا ورفقنا، وهذا غلاط يعرفه أهل العقول وأنتم منهم، أفليس قد بايعوا على الإمامة في الابتداء ولم يشكوا في صحتها، وصلوا الجمع، فإن كان نفاقاً فقد دخلوا في زمرة المنافقين، وإن كان حقاً دلّ على صحة اعتقادهم؛ لأن الإمامة فرع على صحة الاعتقاد.

فتدبروا هذا الكلام وانظروا، وتدبروا الآيات التي انتزعناها من كتاب الله، فإن من رد آية من كتاب الله كفر، فكيف بأربعمائة آية وسبع وثلاثين آية كلها محكمة لا يجوز العدول بها إلى ظاهرها، وعلي عليه السلام قتل الخوارج وهم عبّاد الليل، وفرسان الخيل، ووعاة العلم، على

---

(١) الكرسف: القطن.

الخلاف في ثلاث مسائل، كلها في الجرم دون مسألة واحدة مما خالفت فيه المطرفية.

وقد كنا نأمل وصول الشيخ ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ إلينا ونعول عليه في الاتفاق بيننا وبينكم فغلب الله على أمره، فبادرنا بهذا الكتاب خشية أن نموت ولما نقم لله حجة على من يرجى صلاحه من خلقه فإن الموت يفزع القلوب، فنسأل الله تعالى بحقه العظيم لنا ولكم حسن الخاتمة، والصلاة على محمد وآله.

فعاد جوابهم بوصول كتاب من المطرفية يحققون فيه رغبتهم في المناظرة.

[كتابه عليه السلام إلى مشائخ ثلا مرة أخرى]

وكتب إليهم أيضاً عليه السلام هذا الكتاب قال فيه:

فهمنا ما ذكروه من شأن المطرفية المرتدة وما جاء به كتابهم من رغبتهم في المناظرة، فأذكرونا بما قال الشاعر:

تمنـــــــاني ليلقـــــــاني لقـــــــيط
أعـام لـك ابـن صعـصة بـن سـعدى

وما سألوه من المناظرة يكون بذمرمر أو ثلا أو مسور، فتلك ديار لا يكره وصولها، ولا يشنأ حلولها، ولكنا نبني على أصل وهو وجوب وصولهم إلينا وذلك لا يزول بإنكارهم.

وأما المخافة التي جعلوها عذراً لهم في ظاهر الحال فالمحال لا يغبى على عقلاء الرجال، وكفى في زوال الخوف أن يظهروا للناس أنا وفدنا للمناظرة، فإن قتلتهم وأقمت القتل مقام المناظرة بان لأمة محمد ﷺ بطلان ما أنا عليه، والعاقل لا يغرر بجاهه إن لم يعقل أمور الآخرة، ولو جاء الكفار وفداً ما استجزنا قتلهم، وقد جاء رسول الله ﷺ رجلان من قبل مسيلمة الكذاب لعنه الله، فسألهما ﷺ عن نفسه، فقالا: نشهد أنك رسول الله، فقال: «ما قولكما في مسيلمة؟ فقالا: نشهد أنه رسول الله، فقال ﷺ: لو كنت قاتلاً وفداً لقتلتكما»، فثبت من دينه ﷺ أن قتل وفود

الكفار لا يجوز، لا اختلاف في ذلك بين علماء الأمصار من الأئمة عليهم السلام وصلحاء الأمة، فالذمة منا لهم مبذولة، نشهد بها في الجوامع، ونصيح بها في الأسواق والصوامع، فهذه واحدة.

الثانية: أن يرفقهم منكم جماعة من السلاطين بذمرمر ومن السلاطين بمسور، ومن بني صاع وشيوخ حمير، ومن اقترحوا وأحبوا من الشرف يحيى بن حمزة فمن دونه، فالصحابة ثابتة الحكم في دين الإسلام، وقد نطق بها العزيز العلام بقوله: ﴿**وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ**﴾[النساء:٣٦]، وقد قال رسول الله ﷺ في المسلمين: «تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم» فكان شرعاً جواز ذمة العبد والمرأة وهما أدنى المسلمين فكيف وأنتم أكابر ورؤساء الدنيا والدين، وأفاضل المسلمين، فهذه الثانية.

والثالثة: وهي القاطعة، النافعة، الجامعة، المانعة أن يقع روابط ما قدمنا، ويشفع ذلك لمن اقترحوا من الرهائن من نفوسنا وإخوتنا وبني عمنا، ومن الشرف والعرب الذين تحت أيدينا، وننفذ لهم مع الذين ذكرنا ونحصر أكابر أهل الدنيا والدين من كل قبيلة شهوداً علينا ولنا، فإن ظهر أن المطرفية على الحق أقدنا بالرجلين من قبلهما إلا أن يختار أولياؤهما العفو والدية ألزمنا نفوسنا رضى المطرفية في صاحبهم ألفي دينار، وتبنا إلى الله سبحانه وأشهدنا على نفوسنا بالخطأ على أعيان الملأ، وهذا أمر لمن كان على بصيرة يخاطر على مثله بالنفوس؛ لأن الإمام يشهد للمأموم بالفضيلة، وهذه مرتبة جليلة، فهذا لهم والذي عليهم، فإن دخلوا في دين الله تعالى وبايعوا عترة رسوله ﷺ وسمعوا كلام الله تعالى قبلنا ذلك وحمدنا، فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل وليس بمسيء من أعتب، وإن تمادوا في الطغيان ولجوا في العصيان كان منالهم الأمان إلى أن يبلغوا مأمنهم ثم طلبناهم بعد ذلك بحكم الله، وقتلناهم بكتابه، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[التوبة:٥].

وهؤلاء إلى الآن ما تابوا إلى الله من خلاف إمام الحق، ولا أقاموا الصلاة الواجبة في عصره وهي الجمعة، ولا آتوا الزكاة الواجب تسليمها إليه مع ما بيّنا من ارتكابهم لأنواع الكفر، وخلافهم كتاب الله سبحانه وسنة نبيه ﷺ وأئمة الهدى سلام الله عليهم.

ورأينا في كتابهم ما لا يحتمل كتابنا الجواب عنه لتوجهه إلى جنابكم الرفيع، ولكن عن ذكرهم ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥]، فزادنا بصيرة في جهلهم بكتاب الله تعالى؛ لأن هذه الآية قبل نزول السيف والتعبد بالجهاد، فآية السيف نسخت كل آية هذه صورتها، ولكنهم قوم يجهلون، أفلم يسمعوا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[التحريم:٩]، فإن سلكوا منهج الصواب وإلا ألزمناكم التشمير إن التزمتم طاعتنا في حرب القوم وقتلهم وإنزالهم حيث أنزلهم ربهم، فقد تعين عليكم الفرض ولزمتكم الحجة، وإن أبوا إلا المناظرة هنالك فكل رجل من المخترعة اليوم يعلم ويدين الله تعالى بأن علمه بعض علمي، فليناظروا الفقيه الأجل أحمد بن محمد المحلي في ناحية ذمرمر، فإن ظهرت حجتهم عليه التزمنا الخطأ، وهذا لا يخطر به عاقل جاهه ودينه إذا علم أن لهم شبهة قوية فضلاً عن دليل قاطع، وإن أحبوا في جهتكم أنفذتم للمذكور ولا تعذروا القوم من أحد الوجوه، وإلا فالحرب والمنابذة في الله سبحانه، ولولا حوادث قد بلغتكم في ناحية الجوف وغيره تأخرنا عنها يقدح في الإسلام لبادرنا في الحال، وعلى كل حال لا بد إن شاء الله تعالى من وصول تلك الجهة والإقامة بها حتى ترسخ قواعد الدين، ويعلو منار اليقين عند الإمكان إن شاء الله، والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى السلاطين بذمرمر وقد بلغه وصول أهل الجوف إليهم برهائن]

وكتب عليه السلام إلى السلاطين بذمرمر وقد بلغه وصول أهل الجوف إليهم برهائن تكون عند السلطان بشر بن حاتم في الطاعة لوردسار على أن يقود معهم العساكر إلى الجوف:

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق إلى سبيل الرشاد، أما بعد:

فإن السلاطين الأجلاء أدام الله علوهم من أعرف أهل عصرهم بوجوب حق القائم لهم وعليهم، ولهم سوابق في هذا الأمر محمودة، وقد كان بلغنا أن الكافة في تلك الجهة بايعوا لنا، وأن الحصن حماه الله قد صار باسمنا، فإن كان ذلك كذلك فمن موجبات هذا الشأن أن لا يأويه

المفسد علينا، ولا يقف فيه الرهائن في توهين أمرنا، وإن كان من في الحصن حماه الله بالصالحين طائفتين: طائفة منا وطائفة علينا، والتي منا لا تقدر على القيام بمقتضى أمرنا صبرنا لحكم القضاء، وأنا أعطي الله عهداً يطالبني بالوفاء به لئن مكنني الله سبحانه من الأمر لا جاورني من عاداني في أرض ينفذ لي فيها حكم، فأنا على موعود من ربي ولن يخلف وعده.

وكذلك بلغنا أن المطرفية الكفار، الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار يتوسمون الوصول إلى الحصن المحروس، وإذا كنّا نعادي وأنتم توالون اختل التقدير وفسد التدبير، ونحن نروي لكم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيمانا» [1] فإن اعتقدتم أنهم أهل بدعة وأن محمداً ﷺ صادق فانتهروهم وصغروهم كما صغّرهم الله سبحانه، وما أمرناكم بهذا الأمر تحصناً دونكم، ولكننا نريد كمال أدنياكم، فقد صارت رجالكم معدودة من رجالنا، وأموالكم من جملة أموالنا وذلك فضل الله عليكم إن حفظتموه، والظن بكم فوق ما سألناكم وذلك فرض الله عليكم وحقه عندكم، والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى آل دعام بالجوف][2]

وكتب عليه السلام إلى آل دعام بالجوف كتاباً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق إلى سبيل الرشاد، أما بعد:

يا معشر آل دعام، (فإن لكم في ود آل محمد صلى الله عليه وعليهم نصيباً وافراً وسوابق

---

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) وردت في السيرة المنصورية ٢/ ٨١٤ـ٨١٥.

مشهورة، وهفوات)[1] نكث وغدر لم يحمد من فعلها، بل قطع الله أثره ومحا رسمه، وجعله عظة لمن اتعظ من خلقه، وفيكم مع ذلك أهل وفاء وصفاء لم يشب وفاءهم غدر، ولم يغير صفوهم كدر، والصالح خير من الطالح، والعذب أزكى من المالح، فاقتدوا بالمرشدين ولا تقتدوا بالمفسدين، وقد علمتم ما في أعناقكم من الأيمان والعهود وهي لا تبلى بمرور الأيام، ونحن راغبون في عمارة بلادكم، وصلاح أرضكم، وكثرة أموالكم، وعمارة[2] دياركم والله على ما نقول وكيل[3].

وقد بلغنا أمور من جهتكم، فإن كانت حقيقة فارجعوا عنها فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، وإن كانت مستحيلة فهو الظن بكم، بلغنا [أنهم اختلفوا وردوا أيمانهم إليكم][4]، ولسنا نكره أن تكونوا قادة لجميع العرب في طاعة الله وطاعتنا، ولكنا نعلم أن هذا الأمر لو كان لنفع عاجل أو ثواب آجل ما قدموكم فيه، فلسنا نعلم من محبتهم لكم وشفقتهم عليكم ما يوجب ذلك، ولكن أرادوا يحقنوا بدمائكم دماءهم، ويصونوا ببلادكم بلادهم، ولو رجع الناس فوضى وخرجوا من ولاية هذا الأمر لرجع أمرهم إلى نفوسهم وشغلوكم بنفوسكم، وألطاف الله سبحانه في خلقه أدق من نتائج نظرنا، وتدبيره في عباده لا تنتهي إليه غوامض فكرنا، وقد كتبنا هذا الكتاب إعذاراً وإنذاراً، فإن كنتم على ما بيننا وبينكم (فأعلنوا ذلك)[5] فوالوا أولياء الله، ونابذوا أعداء الله ولا تخلفوا عنا لنراجعكم في الأمور بما يعود صلاحه على الجمهور، وإن كنتم على غير ذلك فشدوا حيازيمكم للحرب من السماء والأرض، وتوقعوا مصارع البغي وعواقب النكث، ومن الله سبحانه نستمد التوفيق لصالح الأعمال، والهداية في جميع الأفعال والأقوال، [ولعل من لو شئنا لذكرناه وسوف نذكر الحديث مشافهة إن شاء الله تعالى في أبغض الأوقات إليه وأحبها إلينا بعون الله ومشيئته. يقول:

---

(١) ما بين القوسين: من السيرة، وهو في الأصل بلفظ: فإن لكم وداً وهفوات ...إلخ.

(٢) في السيرة: تشييد.

(٣) في السيرة: شهيد.

(٤) في السيرة: بلغنا أنه مهما حلفوا وردسار أيمانهم إليكم.

(٥) ما بين القوسين: زيادة في السيرة.

ما كتب الإمام إلينا إلا مخافة سطوتنا ومن حربنا ولسنا نكره العافية، والله سبحانه يعلم حقائق الأمور، فلا يكون الجواب جبنا إلا أنتم أو جواب منصرم، وقد كتبنا إلى كل درب بالجوف لإبلاغ الحجة إلى ربنا والمعذرة إلى خالقنا وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار][1]، ولقد رحمنا أهل الجوف لما في بلادهم من الضر والجدب عند أن أردنا المعونة منهم في الخيل التي صالحنا عليها العدو[2] لم نعلم أن معهم من القدرة على تسليم الخيل التي وعدوهم بها، فما أعجزهم عن الخير، وما أقواهم على الشر، ولو ساعدتنا نفوسنا على تركهم وهجرانهم لندموا آجلا على فراق ظل دولة الحق ومباينة[3] كنف الأمن، والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى ورد سار جواباً عن كتاب أتى منه][4]

وكتب عليه السلام جواباً لورد سار عن كتاب أتى منه فيه سب وأذية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ...**﴾[القصص:٥]الآية[5].

أما بعـد:

فإنا وقفنا على كتابك وتأملناه فوجدناه على نوعين:

أحدهما[1]: سب محض وأذية لا تليق بأخيار البرية ولا يجمل بمثلنا أن يجيب عليه إلا بما قيل

(١) ما بين المعقوفين: من قوله: ولعل من لو شئنا ...إلى قوله: عقبى الدار. زيادة من السيرة.

(٢) في السيرة: الغز.

(٣) في السيرة: منابذة.

(٤) السيرة المنصورية ٢/ ٩٣١-٩٣٩.

(٥) تمام الآية: ﴿ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[القصص:٥،٦].

في المثل السائر[2]: (كل إناءٍ يرشح بما فيه) فلو كان في وسعك أطيب مما وصل لما دخرته، فقدر الشهادة قدر الشهود، هذا النوع الأول.

وأما النوع الثاني: فالذي يتعلق بالوعيد والتهديد فذلك مما يفعله الملوك ولكن بالممكن دون المستحيل واللفظ[3] الجميل.

ويحك، هل بيدك أزمة المقادير فتمضيها كما تريد، أو[4] لك سُخِّرت صروف الأيام فتنقص وتزيد، أفلست في دار الغرور ودار الزوال التي كم من واثق بها قد خدعته، ومطمئن إليها قد صرعته، وذي تاج فيها قد أكبته لليدين والفم، سلطانها دول، وصفوها كدر، تريك المغبوط مرحوما، والمرحوم مغبوطا، لا يدوم نعيمها، ولا يندمل كلومها، فانظر فيها اليوم لنفسك نظرا يخلصك عند الله غداً.

وأما ما ذكرت من أنا لا نرعى[5] العهود والأيمان، فهذا كما قيل في المثل السائر:(رمتني بدائها وانسلت) ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[البقرة:٢٢٠]، أفلست صاحب الذمة التي أكدتها بيمينك، وآثرت في نكثها[6] دنياك على دينك، فأججت نيران الحروب، وعصيت علام الغيوب، وادعيت الإحاطة بأقطار الدنيا علما وقدرة، وأنك منحت[7] الظفر والنصرة، (فنقض الباري ما أبرمت، وهدم ما شيدت وأحكمت)[8]، [فكانت عاقبة الأمر ما علمت][9]، ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[الإسراء:٨]، ثم كان في هذه السنة الماضية جرى ما جرى من

---

(١) أحدهما: سقط من الأصل.

(٢) السائر: سقط من الأصل.

(٣) في السيرة: والوجه.

(٤) في السيرة: أم هل.

(٥) في السيرة: نراعي.

(٦) في السيرة: وآثرت فيها.

(٧) في السيرة: منجب.

(٨) ما بين القوسين: سقط في السيرة.

(٩) ما بين المعكوفين: زيادة في السيرة.

الهدنة، ولم نكره حقن دماء هذه الأمة والتأني حتى يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده، ففي خلال ذلك كتبك إلى أرباب الفساد، ومكايدك مشهورة عند الحاضر والباد، فعل من لا يحمي للدين ذماراً، ولا يرجو لله وقارا، فأضربنا عن مطالعتك في ذلك لعلمنا بدخيلة سرك، وحقيقة أمرك، حتى يكون ما كان من عندك، فنستعين بالله تعالى على حربك، ونستكفيه ما يخشى من خوف شرك ونعود إلى ما كنا نحن وأنت فيه من الحرب التي لا ننكرها ولا تنكرها وهي لك وعليك، ولم ندع فيها من كيدنا ممكنا ولا ندخر طاقة، هذا وفي أثناء كتابك ذكر[1] مراحمك وعواطفك، وأي أمر قدرت عليه فثنتك عنه[2] الرحمة أو عطفتك المروءة، أوردتك من إتيانه الحمية، أفلست قدرت على الدور التي أظلتك سقوفها، ونالك معروفها، فهدمتها من أساسها كفراً وعقوقاً، فهدم الله دارك، وأزعج قرارك، أن لم تعقلها وعقلها سواك، وموعظة صم عنها صداك.

وقدرت على إبراهيم رحمه الله تعالى فمثلت به بعد قتله، ولم تحله محل مثله، فعدمك الله أخاك، وأراك فيه ما أراك، وما بقي يعظك إلا ما يقع[3] في خاصة نفسك، فما ذلك على الله بعزيز، فإن أحلت عذرك[4] على جهلك فذلك ليس بعذر لمثلك، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس:٣٩]، فلم يكن جهلهم عند الله سبحانه عذراً، ولا صار لهم من العذاب سترا، فتيقظ لما يخرج من لسانك فقد نما يقيناً على عداوتك[5]، بل على عداوة من هو أقوى منك عزيمة، وأشد شكيمة، وأعرق رئاسة، وأحسن سياسة.

وأما نشابك وسهامك، وودقك وغمامك، فإذا وقعت الحرب (فلا مخبأ بعد بؤس ولا عطر بعد عروس)[6].

---

(١) ذكر: سقط من الأصل.

(٢) عنه: سقط من السيرة.

(٣) يقع: زيادة في السيرة.

(٤) في السيرة: فعلك.

(٥) في السيرة: فقدياً بقينا على عداوتك.

(٦) في مجمع الأمثال ٢/ ٢١١: (لا مخبأ لعطر بعد عروس) ويروى: (لا عطر بعد عروس)، قال المفضل: أول من قال ذلك امرأة من عذرة يقال لها أسماء بنت عبد الله وكان لها زوج من بني عمها يقال له عروس فمات عنها، فتزوجها رجل من غير قومها =

وأما ما ذكرت من الخلافة وأسبابها، وعنيت[1] من أربابها، فذلك أمر ليس لك في ميدانه مجال، ولا في جوه[2] مصال، ولا ندري ما تقول، إنما نخاطب أهل المعارف والعقول.

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني
أو كنت تعلم ما أقول[3] عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني
وعلمت أنك جاهلٌ[4] فعذرتكا[5]

وأي برهان على جهلك[6] أعظم من قولك: إن دعوانا[7] لم يدعها أحد من الأمة[8]؟ أفلم تعلم أن أهل هذا النصاب الشريف من آبائنا عليهم السلام شجا كل ظالم وشحاك كل غاشم في الدولتين المتجانستين في الضلال، المتوارثتين[9] بالزور[10] والمحال، الأموية والعباسية المحوطتين[11] بأمثالك وأشباهك[12] من جهال البرية، ويحك، وهل أحد من فقهاء الأمة يجيز إمامة من لا تصح عدالته ولا يظهر علمه، ولا تكمل خصال الإمامة فيه؟ أفليس مالك وأبو حنيفة والشافعي رحمهم الله أقوى من قوى من كان في عصرهم من آبائنا عليهم السلام

يقال له نوفل، فعرضت به في كلام طويل، فلما رحل بها قال: ضمي إليك عطرك، فقالت: (لا عطر بعد عروس).
ويقال: إن رجلاً تزوج امرأة فأهديت إليه فوجدها تفله فقال لها: أين الطيب؟ فقالت: خبأته، فقال لها: لا مخبأ لعطر بعد عروس، فذهبت مثلاً. يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس.

(١) في السيرة: وعينت.

(٢) في السيرة: في حرّه.

(٣) في السيرة: تجهل ما تقول، وقد صوبها المحقق من جمهرة أشعار العرب. وهو الذي أثبتناه في الأصل.

(٤) في السيرة: مائق، والأصل جاهل، صوبها المحقق من جمهرة أشعار العرب.

(٥) الشعر للخليل بن أحمد.

(٦) في السيرة: على وجهك.

(٧) في السيرة: دعواها.

(٨) في السيرة: الأئمة.

(٩) في السيرة: المتواترتين.

(١٠) في الأصل: بالدور.

(١١) في السيرة: المحيطون.

(١٢) سقط من السيرة.

وبايعوهم؟ فاعلم إن كنت تعلم، وهؤلاء أئمة[1] فقهاء العامة، أفليس عقودهم أعني بني العباس انبرمت للأطفال على أمة الضلال! أفليس الخلائف المضلة الذين جعلتهم لك أئمة، وقطعت بولايتهم للأمة، يشربون الخمور! ويرتكبون الفجور[2]! وعندهم صنوف أجناس اللهو! فإن أنكرت ذلك أنكرت الضرورة، وجحدت ما تعترف به الأمة، وأكبر دليل على بطلان ما هم عليه مع ما تجانسه أنك ممن يدعو إليهم، ويعتقد ولايتهم، وأنت مأمومهم[3] وهم أئمتك، وأنت على مثل ما هم عليه، لا تفيق من الخمر، ولا تقلع عن الشر، ولا تدع من المنكر إلا ما لم تدعك إليه نفسك، جرياً على منهاج أئمتك، فيا عجباً وما عشت عاينت العجب من خلافة أنت وأشباهك في المعاصي ولاة شرعها، وحماة سرحها مع إظهار[4] ما أنتم عليه من معاصي الله سبحانه وتعدي حدوده، ونبذ فروضه، ورفض أحكامه، فارتع على ضلعك، وقس شبرك بقبرك[5]، وانظر في حقيقة أمرك.

وأما إنكارك النسبة في الكتب إلى رسول الله ﷺ فذلك أمر غير مستنكر إلا لمن ألحد في النبوة، وجهل أسباب الأبوة، فاسأل من يعرف نقل الصحاح، ومسالكها الفساح.

وأما ما ذكرت من فطم فاطمة لنا، فلعمري إنها فطمتنا من المعاصي والمنكرات، وشرب المسكرات، فتالله ما عرفنا الخمر إلا مشاهدة لما أهرقناها عند إظهار الله لنا عليكم، ولا المنكرات إلا علماً بخبر من أشبهكم، ولِمَ لا أكون كذلك وفوق ذلك ونشوئي[6] بين التأويل والتنزيل، ودروجي بين التحريم والتحليل، وأبي رسول الملك الجليل، وجدي خدمه جبريل، فإن سببت

---

(١) سقط من السيرة.

(٢) في السيرة: الفجور صنوف ألحان الغناء.

(٣) في السيرة: مأمورهم.

(٤) إظهار: سقط من السيرة.

(٥) في السيرة: بفترك. في مجمع الأمثال ١/ ٢٩٣: ارق علي ضلعك، يقال: ضلع البعير يضلع، إذا غمز في مشيته ومعنى المثل تكلف ما تطيق إلى أن يقول: ويقال (قِ على ضلعك) من وقى يقي أي إبق عليه يضرب لمن يتوعد فيقال له: اقصد بزرعك وارق على ضلعك أي على قدر ظلعك أي لا تجاوز حدك في وعيدك وابصر نفسك وعجزك عنه. ويقال: (ارقأ على ضلعك بالهمز أي أصلح أمرك أولاً، قال الكسائي: معنى ذلك كله: اسكت على ما فيك من العيب.

(٦) في السيرة: ونشري.

فلك أشباه في السب، وإن كذبت فلك أضراب في التكذيب[1]، ولنا أسوة بآبائنا الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام فصبروا على ما كذبوا وأوذوا.

ويشتموا فترى الألوان مسفرةً
لا صفح ذلٍّ ولكن صفح أحلام[2]

وما كان يعجزنا الكلام وقد وعدنا بترك الجواب عن السب، وذكرنا بعض ما ارتكبت من الذنب، فإن كان سباً فعلى من الجرم؟ أعلى من فعله؟! أم على من نقله؟!

ويحك، أما تستحي من سبّ من أمرت بالصلاة عليه في الصلاة، وتعبدت بطاعته في الأمر، وفرضت عليك ولايته، ولزمتك رعايته، أفليس بيعة الإسلام منعقدة على كل مسلم بأن يحمي رسول الله ﷺ وذريته من بعده مما تحمى منه نفوس المسلمين وذراريهم، فكانت نصرة أكثرهم خذلاناً، وحماية بعضهم سطوة، فما ضروا غير أنفسهم، وأغنى الله سبحانه عنهم من نقله إلى جواره، ورضي له سُكْنا داره، وزالت الدنيا عمن أخلد إليها، فزالت عنه لذتها، وبقيت تبعتها، ولا يبعد الله إلا من ظلم.

وأما ما ذكرت من النزال والنضال وقود الرعال إلى الرعال، فلسنا ممن يُروَّع بالحرب، ولا ممن يفزع بالطعن والضرب، ولو تكافت الأجناد بالعد والعدة لكنت أحب الفريقين للمباعدة، وأدناهما إلى السآمة للمصادمة والمجالدة، وإن لم يعترف بذلك لسانك عرفه قلبك، ولعل لطف الله يجمع بيننا وبينك في أبغض الأيام إليك وأوترها[3] لك يوم يسلمك الله سبحانه إلى عملك، ويكلك إلى نفسك فتندم ولات حين مندم، وتقدم شر مقدم، وترد مورد من خان، ويهبطك العشاء على سرحان[4]، فتلتبس عليك الموارد بالمصادر، وتحيط بك[5] صروف المقادر، فتضيق

---

(١) في السيرة: في الكذب.

(٢) في هامش السيرة قال: ينسب البيت إلى إبراهيم بن العباس الصولي.

(٣) في السيرة: وأوثرها، وهو خطأ.

(٤) يقول المثل: (سقط العشاء به على سرحان)، وأصله أن رجلاً خرج يلتمس العشاء فوقع على ذئب فأكله، يضرب في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف (هامش السيرة عن مجمع الأمثال).

(٥) في السيرة: وتحبطك.

بحالك[1]، وتسلمك رجالك، ولا يغني عنك مالك، ولا يحمد مآلك، فيتمثل لك الموت بشراً سوياً، فتقول: ﴿يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴾[مريم:٢٣]، فتجر ذيول الهزائم، وتنتقض منك العزائم، بقوم يجرون الوشيج[2] ويلوون[3] العمائم، وينتمون إلى عبد مناف وهاشم، لم تلوث أعراضهم المآثم، ولم تدنّس ثيابهم الكبائر والعظائم، وقد قبلنا منك الرد، وتبرأنا منك التزاماً بأمر رب العالمين، ونبذنا إليك على سواء ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[الأنفال:٥٨]، فاجهد جهدك، واجمع جيشك[4]، واجلب بخيلك ورَجِلِك[5]، وحرض على عداوة عترة محمد ﷺ من كان من شكلك، وحذا نعله على نعلك، فبعين الله ما قلت وفعلت، وسوف يرد عليك ما رجوت وأمّلت، فكم قبلك من جبار قد قصمه الله، وكامل في الظلم قد وصمه، ومتمرد قد حطمه، فلا تغترر بالمهل، ولا تستبعد حلول الأجل، فقد فرحت بما أوتيت، وبطرت[6] لما أوليت، وقد قال تعالى في أشباهك من أهل الاغترار: ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:٤٤، ٤٥]، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأما ما ذكرت من تلاوة أول النحل وآخر (ص)، فلو سكنت مغناها[7] لعلمت أنك أولى بمعناها، والله لك بالمرصاد، وسيذيقك غب العناد، وعاقبة الفساد، كما فعل في الأمم الماضية، والقرون الخالية، الذين أخذهم أخذة رابية، فهل ترى لهم من باقية؟ نزلت بهم القارعة، وصرعتهم الصارعة، فصاروا حصائد ذنوبهم، وعقائر حوبهم، وأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم، لا ينادى وليدهم، ولا يؤمَّن شريدهم.

---

(١) في السيرة: فيضيق مجالك.

(٢) الوشيج: الرماح.

(٣) في السيرة: ويلوثون، ولاث العمامة على رأسه عصبها.

(٤) في السيرة: حشدك.

(٥) ورجلك: سقط من السيرة.

(٦) في الأصل: وتطرب.

(٧) في السيرة: سلكت معناها.

وأما كتابنا الذي عثرت عليه فهل فيه إلا تعريف[1] بعض حالك[2] تعريفاً لا سباً؛ لأنك تعلم عظم إقدامك على العهود، ونكثك للعقود مرة بعد أخرى، شفعاً ووترا، أول ذلك صلح الضلع وما كان فيه من الشروط التي نقضتها، والربوط التي رفضتها، وأغفلنا ذلك كأنه ما كان، ولم نذكره في كتاب إلى هذا الأوان، ثم بعد ذلك الذمة التي حلفت عليها الأيمان، وهي سنتان، فنقضتها قبل مضي ربع المدة، ولم تنحل منها بدون الفعل عقدة، وهذه الهدنة جعلتها عشر سنين، وحلفت عليها بأبلغ يمين، فحالفت أهل الجوف، وقبضت رهائنهم قبل المباراة، وإن كان لا تراعي ذمة مؤقتة في شرع رب العالمين إلا أن يدفع الحق سطوة المبطلين، فأمسكنا عن البلاد بعد ظهور ما ظهر خوفاً من رب العالمين، مع علمنا بأنك لا تلتزم حكم الوفاء، ولا تمسك بالصفاء، ولو كنا نقدم على ما أنت تقدم عليه لما رجعت من سفرك [من مأرب إلا وقد قضينا المآرب][3]، إلا وقد عفينا ما تجدد من أثرك، ولتركنا المنازل طلولا، وجماعات من خلفت فلولا، وحصنا البلاد عرضاً وطولاً، ولسنا نأسف على نقض العهود، وارتكاب حوبه، وكل حافر يشرب من قليبه، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار، وصلى الله على رسوله محمد النبي وآله وسلم.

[آخر كتاب له عليه السلام إلى الملك علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب][4]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب إلى الملك علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد جاء منه كتاب على يد الشريف المقري يعقوب بن الولي الحسيني في شهر شوال سنة إحدى وستمائة، يذكر فيه أمر الغز الذين في اليمن.

---

(١) في السيرة: صفة.

(٢) في السيرة: أفعالك.

(٣) ما بين المعقوفين: زيادة في السيرة.

(٤) السيرة المنصورية ٢/ ٥٣٤-٥٣٦، ويعقوب بن الولي وفد إلى الإمام سفيراً من السلطان علي بن صلاح الدين بن يوسف بن أيوب وكان وصوله من قلعة عزاز أو أعزاز وهي بلدة فيها قلعة شمال حلب. معجم البلدان ٤/ ١١٨ وكان رسولاً أيضاً لميمون القصري من كبار الترك فلبث مدة بذمرمر.

قال عليه السلام:

لقد كثرت[1] غيرتنا على ملككم، وحميّتنا على أمركم، أن يتحكم فيه غيركم[2]، هذا بعد ارتكابهم الأمر العظيم، والخطب الجسيم، في قتل سلطانهم[3]، وكشف حريمه، وضرب السهام عليها كما تقسم بنات الروم في عساكر المسلمين.

وما قتلهم لمن قتلوا بعد ذلك إلا في حق نفوسهم لا لنقم ثأر صاحبهم، ولقد جهدوا في الصلح فلم نجبهم دون أن لبسهم الله شيعاً[4]، وأذاق بعضهم بأس بعض، فإن عزمت بعد الاستخارة لله سبحانه [على أمر قدمت فيه النية الصادقة لله سبحانه][5] في نصرة دينه، وعترة نبيه ﷺ المغلوبين على حقهم فقد طالما حلئوا عن مياههم، وروعوا[6] من رياضهم، واستؤثر عليهم بفيئهم، وغلبوا على إرثهم من أبيهم وجدهم، ولم تحفظ وصاة رسول الله ﷺ فيهم، فقد روينا بالإسناد الموثوق به إلى أبينا[7] رسول الله ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»[8]، وروينا عن جدنا علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: (إن العلم الذي أنزله الله على الأنبياء من قبلكم في عترة نبيكم، فأين يتاه بكم عن أمر تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة، هؤلاء مثلها فيكم وهم كالكهف لأصحاب الكهف، وهم باب السلم، فادخلوا في السلم كافة، وهم باب حطة من دخله غفر له، خذوا عني عن خاتم المرسلين[9] حجة من ذي حجة قالها في حجة الوداع: «إني تارك[10] فيكم ما إن تمسكتم به لن

---

(١) في السيرة: كبرت.

(٢) في السيرة: أمركم، وهو خطأ.

(٣) المقصود هو السلطان المعز إسماعيل (نقلاً عن السيرة).

(٤) في السيرة: فلم يدعهم بغيهم دون أن يلبسهم الله شيعاً.

(٥) ما بين المعقوفين: زيادة في السيرة.

(٦) في السيرة: وفزعوا.

(٧) في السيرة: إلى النبي.

(٨) أخرجه أبو طالب عليه السلام في أماليه. باب الترغيب في الحب في الله ص٤٥٤.

(٩) في السيرة: النبيين.

(١٠) في السيرة: تركت.

تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[1].

واعلم أيدك الله بتوفيقه وأعانك بتأييده أن خلافة النبوة عظيمة، وعبؤها ثقيل، وليست من الملك بسبيل، أبا حسن كيف يقود الأعمى الأعمى؟ أم كيف يداوي العليل العليل؟ تأمَّل رحمك الله بعقلك مخرج هذا الكلام، فإن أمرنا صعب ثقيل، إنما الخليفة من قام مقام رسول الله ﷺ في أمته من بعده، فعال العائل، وبسط النائل، وشهد مشاهد المسلمين، وقام بمهمات الدين، وأمر بالمعروف بقوله، ونهى عن المنكر ولم يكن من أهله، فلسنا نعد نفوسنا بالمحال، ولا نمنيها الأماني الكاذبة، فإنا وإن كنا أبناء[2] الرجل الذي شرع الشرائع، وسنَّ السنن، وأقام عمود الدين، فذلك لا يغني عناّ إن عصينا من عذاب ربنا شيئاً، فيضاعف[3] على عاصينا العقاب، كما يضاعف لمطيعنا الثواب، ولم يفرق بيننا وبين جند اليمن إلا منعنا لهم عن ركوب المنكرات، وشرب المسكرات، وإلا فهم لأمرائهم قالون[4]، وعليهم زارون[5]، وإلينا مائلون، فإذا عزمت فانتخب أهل العفاف عن المعاصي، والورع عن المنكرات[6]، واستقل واستطب وأبشر بفتح اليمن بين قطريه لو أوتيت بمائة فارس على هذه الصفة؛ لأنه تنضاف إليها دهماء العرب، والسواد الأعظم من الناس، ونحن في العدة التي يحققها لك الواصل فغيض عدونا مناّ أكبر من غيضنا منه، وفرع الأمر وأساسه، وعينه ورأسه إخلاص العمل لله سبحانه، وصدق النية فيه، وأفضل الملك ملك يتصل نعيمه بنعيم الآخرة، ويلبس صاحبه ثياب الدين الفاخرة، فأما ملك الدنيا فهو زائل، وظلها حائل، [وسنادها مائل)[7]، كم واثق بها قد خدعته، ومطمئن إليها قد صرعته، وذي تاج فيها قد أكبته

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في السيرة: أولاد.

(٣) في السيرة: بل يضاعف.

(٤) قالون: تاركون.

(٥) زارون:

(٦) في السيرة: المسكرات.

(٧) ما بين القوسين: زيادة في السيرة.

لليدين والفم، سلطانها دول، وصفوها كدر، ولا وروحي محمد وعلي صلوات الله عليهما وعلى آلهما ما كان أسر[1] من وصول كتابك إلينا، وحبسنا الرسول؛ لأنه أتى ونحن في محروس حصن[2] ذمرمر، والحرب قائمة بيننا وبين عسكر اليمن، وإلى صدور الكتاب [لثلاث خلون من شوال من سنة إحدى وستمائة][3] هي باقية وهي سجال، ولنا فيها بحمد الله تعالى في أغلب الأحوال أكثر مما علينا، وانتظارنا لكم أو لما يأتي منكم وفق ذلك أو جنس ذلك انتظار الحبيب الغائب، والشقيق الآيب، فافعلوا من ذلك ما يوفقه الله سبحانه، والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى أهل أثافت لما تظاهروا على الفساد][4]

وكتب عليه السلام إلى أهل أثافت لما تظاهروا على الفساد ومكنوا الغز من بلدتهم باختيارهم، وصاحت صوائحهم بطرد الأشراف وقتل خدامهم ومن انتسب إليهم كتاباً قال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله المنصور بالله أمير المؤمنين إلى كافة المكمين[5] أحلاف المتبرئين من أولاد النبيين.

سلام على من اتبع الهدى، وتجنب مسالك الردى، وعلم ﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۝ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ [النجم:٣٩ـ٤١].

أما بعـد:

---

(١) في السيرة: أشر، وهو خطأ.

(٢) حصن: زيادة في السيرة.

(٣) ما بين المعقوفين: زيادة في السيرة.

(٤) السيرة المنصورية ٢/ ٥٨٤ـ٥٨٦.

(٥) آل المكم وجيرانهم بأثافت.

فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾[الرعد:١١]، وقد بلغنا اجتهادكم في إطفاء نور الله ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[الصف:٨]، وتبديل دين الله والله مظهر دينه على الدين كله، ونحن منه على موعود[١] ولن يخلف وعده، وهذا الرأي الذي بلغنا عنكم لم يكن بأصوب الرأيين لكم، وقد كانت الأخبار تأتينا بمكنون هذا الأمر الذي نجم في المدة الطويلة، فلم نصدق ذلك فيكم، ثم بلغنا أنكم صحتم في سوقكم بإبعاد الأشراف وطردهم، وأنكم قد صرتم من وردسار، فبئس لعمر الله[٢] للظالمين بدلاً، إذا طردتمونا فأين نأوي؟ وهذا لا يحل لكم ولا يجوز، وا رحمتا لكم ما أنقص عقولكم، وأضل حلومكم، لقد غممتم وليكم، وسررتم عدوكم، وأهلكتم أنفسكم، تريدون تجديد البدعة، وإماتة السنة، ولا شك أن حاتم بن أحمد[٣] قد كان كتب إلينا بأن الحكم جار على أخيه جعار، وأنه قد أمر له يأتي ويجبكم[٤]، فصدقناه، فليت شعري هل[٥] قد علمتم اليوم سعيه في الفساد أم لا، وهل لما علمتم فساده طابقتموه على رأيه أم نازعتموه فيه؟

وقد أردنا بهذا الكتاب استطلاع ما عندكم، ونعلم أحوالكم[٦]، ونرجوا أن الله سبحانه لا يخذلنا ولا يضيعنا، وإن ضيعنا الناس فنحن ذرية نبيه ﷺ المستضعفون في الأرض، المغلوبون على حقهم، وقد قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[القصص:٥، ٦].

---

(١) في السيرة: موعد.

(٢) في السيرة: نعم الله.

(٣) وردت في السيرة: حاتم بن الحكم.

(٤) في السيرة: ويحكم.

(٥) هل: سقط من السيرة.

(٦) في السيرة: جوابكم.

[رقعة كتاب إلى الأميرين شمس الدين وبدر الدين][1]

ولما أتى كتاب من سنقر إلى الأميرين شمس الدين وبدره يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى بن يحيى بأنه قد تصدق عليهما بصعدة وأعمالها بشرط نفي الإمام عليه السلام عنها كتبا إليه عليه السلام يعجبانه من ذلك ويستوردان رسمه في الجواب لسنقر، فكتب إليهما أن يجيبا: إنا لا نتعدى أمر إمامنا فكيف نمنعه من بلاده، ونحن ولاة فيها عن أمره.

وكتب إليهما رقعة أدرجها في جوابهما وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

أحببنا إطلاع الخواطر النبوية[2] الزكية الشريفة على هذا الكتاب المدرج طي هذه الصحيفة؛ لتعلموا أن كيد الفاسقين قد عظم، فأذكرنا ما روي عن كعب بن مالك رحمه الله أن رسول الله ﷺ لمّا هجره ومنع المسلمين من كلامه، لأنه أحد الثلاثة الذين تخلفوا قال: كنت أدور في الأسواق، وأصلي في المسجد، وأسلم على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين فلا يسلم عليَّ أحد، فكان أعظم ما نزل بي أني ذات يومٍ في السوق وإذ برجلٍ يسأل عن كعب بن مالك، فأرشد إليَّ، فأعطاني كتاباً، ففضضته، فإذا هو: من قيصر ملك الروم، أما بعد:

فإنه بلغنا أن صاحبك هجرك وأقصاك، فأقبل إلينا فلن يضيق عليك ما وسعنا.

قال: فقلت: وا مصيبتاه، انتهى بي الحال إلى أن طمع فيّ المشركون، فسجرت التنور وألقيت

---

(١) السيرة المنصورية ٢/ ٧٩٤ـ٧٩٥.

(٢) سقط من السيرة.

الكتاب فيه، فقد انتهى الحال لقلة التشديد على المفسدين ممن يعتزي[1] إلى الشرف ومن يكون منهم إلى أن طمعوا في لبس الحق بالباطل، فأشاعوه في الآفاق، ونشروا الكتب ولا سيما سليمان بن القاضي، وابن الفاكهة، فإن رأيتم تدارك الدين بالغضب على المفسدين الذين منعنا من تأديبهم، وتحذير غيرهم بما ينزل بهم من ارتكاب مثل فعلهم خوف غضبكم وتضيق صدوركم.

فانظروا في ذلك نظراً يخلصكم عند الله عز وجل، ونسأل الله النجاة لنا ولكم وللمسلمين.

[كتابه عليه السلام إلى الأميرين أيضاً][2]

وكتب إليهما أيضاً فقال عليه السلام:

يحقق بحضرتهم[3] النبوية أني لم أكتب ما في التذكرة، وأنا أجهل أن الجواب ما أتى ولكن أردت التذكير كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الذاريات:٥٥]، وعلينا لله سبحانه حق، وعندنا منه عز وجل وعد.

فأما حقه فأن لا تلحقنا[4] فيه لومة لائم، ولا نواد من حادّ الله ورسوله ﷺ، وأما وعده لنا فأن يجعل العاقبة لنا في الدنيا والآخرة، وأن يظهر ديننا على الدين كله.

فأما ما ذكر بدر الدين أيده الله من أنه لا[5] يقصد بكلامه ما يفهم من ظاهره، فهذا بخلاف ما الكل عليه من حمل الألفاظ على ما تحتمله لغةً وعرفاً، والمعلوم من المفسدين أنهم يعوجون المستقيم[6] من الكلام فكيف ما يحتمل[7] مرادهم وإن المقصود[8] سواه، وليس كل هذا الحرص

---

(١) في السيرة: يعتري، وهو خطأ.

(٢) السيرة المنصورية ج٢ ص٨٠٢ـ٨٠٦.

(٣) في السيرة: نحقق لحضرتها.

(٤) في السيرة: لا تأخذنا.

(٥) في السيرة: لم.

(٦) في السيرة: يعرفون المفسد.

(٧) في السيرة: ما لا يحتمل.

(٨) في السيرة: وإن كان.

والمكاتبة خوفاً على إنكار إمامتي؛ لأن تعبدي فيها منوط بعلمي فيما يجب عليَّ، وظني فيها يجزيني فيما أظن غيره، ولو اجتمع الناس على أني الإمام فذلك فرضهم فيما يظهر، وإن علمت خلاف قولهم من حال نفسي لم يجز لي الرجوع إلى قولهم، ولا أجزاني[1] في تقليد الإمامة فيما بيني وبين ربي، ولو اجتمع أهل هذه البلاد علماؤهم وجهالهم على رفض الإمامة وأنا على يقين (من أمري)[2] لم يضرني ذلك، وإنما مخافتنا على دينكم الذي ارتضاكم الله له وارتضاه لكم أن تهدم قواعده الفرقة، كما شيدت بنيانه الألفة، ولا بد من أحد أمرين: إما باشرتم أموركم بأنفسكم وشددتم في أمر الله عز وجل على القريب قبل التشديد على البعيد، فقد ادعينا عليكم أنا فعلنا هذا في جهتنا، فإن كان لا يثبت هذا الكلام لكوننا مدعين أنفذتم من أولياء الله قبلكم من يقبل قوله بأن يتفقد الأمور في جهتنا، إما ونحن عالمون أو غير عالمين وكان لا يأتي إليكم من هذه الجهات إلا من يأتي للمعونة في أمر الله فهذا يجب، وإما أن يقع الإجماع على من يرتضيه الجميع وكان الكل أعواناً[3] على الحق.

وأما ما ذكراه أدام الله عزهما من التغريم بخلاف السنة، فلو اعتقدناه خلاف السنة لما أقررنا سليمان عليه، ولا حابيناه في حق الله لو كان يملك لنا الأرض، ولكن عندنا أن التغريم للجنود المحقة جائز وأنتما الشاهدان الصادقان لنا على أهل الحقل بأنا كتبنا إليهم وإلى أهل صعدة أن ترفعوا[4] ولا تخالطوا الظالمين، فخالفوا الأمر، وكانوا يداً ورجلاً لأعداء الله.

وأما الذمة ليربوع ومرثد[5] فلم يقع خلاف في ذمة كبار المسلمين وأمرائهم، فكيف وأنتم للدين قدوة ودعاة رشد، وأئمة هدى.

وأما أنه لم يفعل مثل هذا في دولة سيف الإسلام (طغتكين أيوب)[6] لعنه الله، فإن كان المراد

---

(١) في السيرة: ولا أحرى بي، قال المحقق في الهامش: في الأصل: (أحراني)، والصحيح ما أثبتناه.

(٢) ما بين القوسين: زيادة في السيرة.

(٣) في السيرة: أعوانك.

(٤) في السيرة: يرفعوا.

(٥) في السيرة: مريد.

(٦) ما بين القوسين: سقط من السيرة.

أنه أكثر فلا يمتنع هذا وأن يدفع المحق أكثر مما يدفعه المبطل، والحديث هل يجوز التغريم أم لا يجوز؟ فأما الفعل فهذه[1] قهرة يربوع وقهرة مرثد[2] فما أوجبه شرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحكمكم أو حكم من تنصبونه على سليمان بن موسى [فما وجب][3] لم يقدر على الامتناع في روحه ولا عسكره، ولو كان في ألف فارس لم يمتنع منكم من صاحب العصا فيما نظن[4]، وكتب الوالي صالح الذي عدلتموه[5] متواترة في الثناء على المذكور في حسن السيرة، ووجه الحق وقاح لا يستحي من أحد، ولو وجب عليكم حق لحملناه دينا ومنعا لو تعبنا فيه وتلفت فيه نفوسنا نريد بذلك رضاكم، ولكن لا تعجلوا حتى تبينوا، ونحن نأمر سليمان بما لزمه هان أو عسر لم يتأخر عنه، [ولكنه كتب إلينا بأنه سألهم شيئاً فكرهوه، وأخلوا مكانهم وضربته الرعية][6]، وسأل الوالي عن خراب القهرة فأجازه، وعن مطالبته لأهل البلاد بما سألهم من الغرم فقلله وهونه في جنب[7] ما يلزمهم، وعندنا خطه بتصويب الفرق وتقليله، وسأله هل في خراب هذه القلعة منقود؟ فقال: لا منقود، وهي مغصوبة، ومرثد متمرد عن الحق[8] ويستحق الإهانة، فابحثوا من هذا ولا بد من أحد أمرين: إما مصاحجة[9] سليمان والوالي ومصادقتهما، وإما الشهود بينهما، فمن وجب عليه أمر لم نرحمه منه.

وأما أولاد الهادي عليه السلام وكونهم في حصن تلمص بأمركم فلم تجروا إلا الصلاح، ولكن الظاهر على ألسنتهم خلاف ذلك، والكتب منتشرة عن سليمان بن القاضي خاصةً بأنا خالفنا على الإمام، وأنا لازمون للحصن للسلطان، فعل الله به وصنع، وأن البلاد بلاده، حتى قد طمعوا أعداء الله فيها وإن كانت محمية بجند الله عز وجل ونصره لأوليائه.

---

(١) في السيرة: في.

(٢) في السيرة: مريد.

(٣) سقط من الأصل.

(٤) في السيرة: يظن.

(٥) في السيرة: عذلتموه، وهو خطأ.

(٦) ما بين المعقوفين: سقط من الأصل، وهو في السيرة.

(٧) في السيرة: وهو يترقى جنب، لم يتبين المحقق الكلمة في المخطوطة وجاء بحاشية لا داعي لها.

(٨) في السيرة: الحقوق.

(٩) في السيرة: إمضاء حجة.

وأما كهلان وسواهم من المعاندين، فالله تعالى يجعلهم تحت جران الحق إلى يوم الدين آلة للمحقين[1]، فإن رفعوا رؤوسهم فنحن الذين تعرفون، رجونا أن يدمرهم الله تعالى بأيدي المؤمنين، ولسنا إن شاء الله تعالى نعذر اليامبين مما فعلوه فيما تقدم ومن قطع النخيل، ومما يلزمهم، فلا يعصمهم منّا في ذلك عاصم، فليست المعرفة تنفع فينا من الحق، ولا الصحبة، ولا النسبة.

أهل الدرب الأسفل بشوابة قلعناهم وهم أنساب، وأهل أثافت كان أشد الناس لهم حرباً الحسن بن حمزة، وكذلك لو تجوَّر عندنا إنسان ما جورناه من الحق.

حريم القاضي نصر يترددن إلى بيوتنا بالكبار والصغار حتى مات لعنه الله عز وجل، ونهضت عجوزه الكافرة إلى ذمرمر، ودخلت إلى امرأتي، وهم يظنون أن حب النساء ينسينا حب الله سبحانه، فأمرنا إليها إن أقرت تلك الملعونة كان حد ما بيننا[2]؛ لأنا خشينا أن تعلمها المذهب فتجورت بالسلطان سالم بن علي، فكان من أمره ما علمتموه، فلم يتأخر عن أمر الله.

وهذه الحكايات نريد بها تحقيق ما غاب عنكم مما يعلمه الله سبحانه ويعلمه الدهماء من أهل جهتنا هذه، وقد علم الله تعالى اشتياقنا إلى لقائكم[3]، ولكن بقينا في أمر لا يعلمه إلا الله تعالى، العدو قريب الدار، كثير الأنصار، وذمتهم كلا[4] ذمة، كنا على النهوض على وجه المبادرة، فلما عزمنا جاء العلم بتجهيزهم عسكراً عظيماً، وإنهم أظهروا إرادة نقض الصلح وقصد بلادنا، فلم نر إلا التوقف، فإن طلبوا الحرب حاكمناهم إلى الله عز وجل، ورجونا أن يحكم لنا عليهم [وقد طولنا][5] فلا تنقدوا وتعلموا أنا حيث يسركم فيما يرضي الله تعالى ويرضيكم فيما صعب وهان، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

---

(١) في السيرة: آله المحقين، قال المحقق: واضح أن هناك بعض الكلمات سقطت من النص قبل كلمة آله. وقد توهم ذلك، والصحيح ما أثبتناه عن الأصل.

(٢) في السيرة: كان حذماً بيننا، ومن المحقق الحذم: القطع.

(٣) في السيرة: لقياكم.

(٤) في السيرة: بلا، وقال المحقق في الأصل: (كلا). قلنا: وهو الصحيح فلم استبدلت بلا.

(٥) سقط من الأصل.

[كتابه عليه السلام إلى كافة البدو والحضر من قبائل عذر][1]

وكتب عليه السلام كتاباً إلى كافة البدو والحضر من قبائل عذر وقد ولى الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم بلادهم وما يليها من المغارب:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى، أما بعد:

يا معشر البدو والحضر من قبائل عذر، فإن لكم سوابق محبة في الدولة النبوية، والكلمة المباركة الزكية، فعددتم بذلك من السابقين، وقدمتم في ذكر مفاخر المسلمين، وقد وصل منكم من وصل إلينا، ودعونا الغائب والحاضر، وقد اخترنا لكم ولم نأل جهداً أن وليناكم أفضل من قدرنا عليه من أهل الحق بعد أن بلونا سيرته، واختبرنا سريرته، وهو الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم، فأطيعوا أمره، وانقادوا لحكمه، وامتثلوا مراسمه، واعلموا أن ما أخرجتم من قليل أو كثير لا يضيع لكم عند الله؛ لأنه يقبل الصدقات ويعفو عن السيئات، فكونوا عند الظن بكم، وليعرف عاقلكم جاهلكم، وليقرع حليمكم سفيهكم، واستظلوا بظل الله عز وجل الذي لا يضحى من استظل به، واستنزلوا البركة بحسن الطاعة، وفروا إلى الله منه، واعلموا أنكم بعينه، وأن الشعاب لا تنجيكم من سطوته، والجبال لا تحصنكم من بأسه، ولا تنسوا حقه فينساكم من فضله، وأنه سبحانه يذكر من ذكره، ويجازي من شكره، فأخلصوا النية له، فما تفعلوا من خير فهو لكم، وله وقت وبه شهيد، فأحبوا الله لنعمه، وأحبوا جدنا ﷺ لحب الله، وأحبونا لحبه ﷺ ، ولا تكونوا من الذين آمنت ألسنتهم وكفرت قلوبهم، ولا من الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون.

---

(١) السيرة المنصورية ٢/ ٨٢٢ـ٨٢٤.

[كتابه عليه السلام إلى الأشراف باليمن
ممن هو بين ظهراني المطرفية]

وكتب عليه السلام عن رأي الأميرين السيدين الداعيين إلى الله يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى بن يحيى إلى الأشراف باليمن ممن هو بين ظهراني المطرفية ووضعا على الكتاب خطهما فقالا:

من عبدي الله داعيي أمير المؤمنين يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى، أما بعد:

فإنكم من نصاب شريف، ونبت رفيع، وقد شتتكم جور الظالمين، وعدوان الجبارين، تحت كل كوكب، وحملكم على أوعر مركب، وقد نجمت في الدين نواجم، وهجمت على الإسلام هواجم، من أهمها وأطمها كفر المطرفية المبرز على كفر سائر البرية، وقد صرتم بين أظهرهم حلولا، وفي أوساطهم نزولا، والتبس علينا الحال فيكم، وارتاب كثير من المبطلين بسببكم، ولبّست هذه الفرقة الضالة على كثير من العوام لأجلكم، وأوهموهم اعتقادكم لكفرهم، وانقيادكم لأمرهم، وقد ظهر الحق وعلت كلمته، ولاح فجره، واتضح أمره، بقيام قائم آل الرسول، الداعي إلى الحق، والآمر بالإيمان والصدق، وهذا أمر قد طلب منا، وكرر أسفارا علينا، وجاءت كتب المطرفية وغيرها من منتحلي الإسلام، والمحققين مطردة، ورسلهم متواترة، مراراً يطلبون القيام منا، ويَعِدُون النصرة لنا، وبذل الأرواح والأموال بين أيدينا، فلما رأينا الرخصة في الوقوف، والعذر عند الله سبحانه في الإمساك، لم يستفزنا طلب الدنيا، ولا حب الرئاسة والملك

بعد أن بذلت لنا الملوك ممالكها، وعرضت ذخائر كنوزها، فأعرضنا عن ذلك إعراض الزاهـدين في الدنيا، الرافضين لها، التاركين لزخارفها، فلو أردنا الرئاسة في هذه الـدنيا لأدركنـا الأمـر بغـير واسطة، فلما تعين الفرض علينا بدعاء القائم بعد إبلاغنا العذر، واجتهادنا في سقوط فـرض هـذا الأمر لا زهداً في الحق، ولا رغبة عن الدين والصدق، بل لعلمنا بعظم الأمر ومـا يتعلـق بـه مـن الامتحان والضر، فلم نجد لنا من الحق معدلا، ولم نلق إلى الإخلاد إلى السكون معولا، ولا رأينـا رخصة في الوقوف إلا بالخروج عما جاء بـه محمـد ﷺ وسـائر أئمـة الهـدى مـن ذريتـه الطـاهرة عليهم السلام فبايعنا على بصيرة، وانقدنا عـن برهـان بعـد تكريـر الـسؤال والامتحـان، وقمنـا وقعدنا، وهببنا وركدنا، وانحدرنا وأصعدنا في طاعة إمامنا، ورضى ربنا، متعرضين لموارد الحمام، وقود اللهام إلى اللهام[1]، فلم ندع فرصة للعـدو إلا انتهزناهـا، ولا ريبـة للظـالمين إلا كـشفناها، فتارة لنا وتارة علينا، لا يظهر منا الاستظهار بطراً، ولا يحدث فينـا غلبـة الظـالمين انكسارا، عـلى منهاج السلف الصالح يجري آخرنا على سنن سـبيل أولنـا حتـى نلقـى الله سـبحانه عـلى عهـده، وجدَّنا صلى الله عليه منفذين وصيته، حافظين له في أمته، مؤدين لأمانته.

ولما جرى من الإمام عليه السلام ما جرى من أحكام الله سبحانه على المطرفية المرتدة، وصلنا كتابه يذاكرنا في أمركم، ويأمرنا بنصيحتكم، فتعين علينا فرض ذلك، فإن كنـتم منـا وإلينـا نـسباً ومذهباً رجعتم إلى دين آبائكم ومذاهب سلفكم، وطهـرتم أنفـسكم مـن دنـس الـشرك وريـب الشك، وذلك هو الظن بكم، واللائق بطريقة أسلافكم الطاهرين سلام الله علـيهم أجمعـين، وإن تماديتم على الضلال وجريتم في ميادين المحال ضررتم أنفسكم، وهدمتم شرفكم، وجرى حكـم الله سبحانه فيكم بما يجري به الحكم على أهل الردة، ولم يبق لكم الانتساب إلى النصاب الـشريف عدة، ولا ينقص عنكم من أناشيط الكفرة عقدة، قال تعـالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾[القمر:٤٣]، وقد ملك رسول الله ﷺ عمـه العبـاس رضي الله عنـه بـالأسر وأطلقه بالفداء، فانظروا لأنفسكم ولا يغـركم غـارٌّ مـن أحـزاب الـشيطان المتسمين بالتشيع، المنتسبين إلى العترة، فإنهم في دعواهم على غير يقين، وقد خرجوا بإنكارهم حكـم الله سـبحانه في

---

(١) اللهام: الجيش العظيم.

خلقه من دائرة المسلمين، وانخرطوا في سلك المرتدين المجرمين، وذلك أنهم أنكروا وجود كلام الله سبحانه وبقاه بين أظهرنا، وأنكروا تدبير الله سبحانه لخلقه، وحكمته في زيادته ونقصه، وأضافوا الحياة والموت إلى غير أمره، وإنما جعلوا ذلك بإحالات الأجسام، وتأثيرات الطبائع جرياً على مذهب الطبائعية والمعطلة والثنوية، وهذا مخالف لديننا ودين آبائنا عليهم السلام إذ من دأبهم تعطيل دين المبطلين، وإذهاب قول المعطلين، ومنابذة الكافرين، ومباينة الفاسقين، وقد صرتم في تلك الجهة وأموركم علينا مهمة، لا نحن نتمكن من دفع يد الحق عنكم، ولا رفع سوطها منكم، ولا نفوسنا تسمح بترككم، تجري عليكم أحكام الله سبحانه كما تجري على الكافرين، وأنتم من عترة النبي الأمين، وذرية الأئمة الطاهرين، فتكون لكم بذلك شبهة باليهود المعطلين، والنصارى المتأولين، فإنهم ذرية النبيين، وعباد الله الصالحين، فضربت عليهم الذلة والمسكنة، وطرأ عليهم الرق والإهانة بعد العز والجلالة، وما ربك بظلام للعبيد، فانظروا في أنفسكم، واحفظوا لنا منصبكم ولا نؤتى في الإهانة من قبلكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[كتابه عليه السلام إلى كافة المسلمين بأقطار اليمن]

وكتب عليه السلام أيضاً إلى كافة المسلمين بأقطار اليمن عن رأي السيدين الداعيين إلى الله يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى ووضعا خطهما على الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد الأمين وآله

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

يا معشر المسلمين بأقطار اليمن، فإنا أهل البيت الذين فرض الله عليكم طاعتهم وولايتهم، وأمركم بمسالمتهم والرجوع إليهم، فقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ

تَعۡلَمُونَ﴾[النحل:٤٣]، فنحن أهل الذكر، ومهبط الوحي، وولاة الأمر، وقد عرفتم إقبال الناس إلينا، وطلبهم للقيام منا، وبذلهم نفوسهم وأموالهم بين أيدينا، فلما رأينا الرخصة في الوقوف أمسكنا، ولم تشرئب إلى الدنيا نفوسنا، ولا ترغب في حطامها قلوبنا.

فلما دعا الإمام الأجل المنصور بالله عز وجل، أمير المؤمنين، القائم بفرض رب العالمين، عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله ﷺ طلبنا لنفوسنا العذر، وللأمة في التخلف عنه لما نعلم من مشقة الجهاد، وتعب التجرد لحرب أرباب العناد، إلى أن بلغنا الغاية القصوى في السؤال والاستقصاء، فوجدنا الضالة التي أضللناها، والبغية التي طلبناها، ورأينا فرضاً لا يسع المسلمين تركه، ولا يحل إهماله، فقمنا على كبر من السن، وضعف من الجسم، وقلة من الأعوان، ودعونا إليه في الشرف والعرب، وجاهدنا في البعد والقرب، وعادينا الأقارب والأولياء، وواليناا الأباعد والأعداء، طلبا لرضى الله عز وجل، ومنابذة عن دينه الذي ارتضاه لجدنا محمد ﷺ والطيبين من ذريته، ونحن كل يوم نزداد في إمامنا بصيرة، وفي الحق يقينا كلما سمعنا هايعةً طرنا إليها، كما علم الخاص والعام، صمدنا بنجران وبلاد يام، فخربنا المعاقل، وهدمنا المنازل، وشردنا الطغام من مراتع النعام، ثم قصدنا الجوف بالجنود المنصورة المشهورة، فهدمنا ذروته ودوره، ثم كان من الغز ما علمتم في صعدة، فجاءنا أمر الإمام عليه السلام بالقيام عليهم، فلم ندع في ذلك جهداً، ولم نأل إمامنا نصحاً فنزلنا إلى الحقل على جندٍ من الخيل فتدانت صفيف، طالبين لإحدى الحسنيين، فكان ما علمتم، ونحن على بصيرة من أمرنا، ووثيقة من ديننا، ثم قد كان من هذه الفرقة المطرفية المرتدة الطبعية ما علمتم من الإقبال إلى إمامنا عليه السلام بالبيعة بعد ابتسام فجره، وظهور أمره، وعقد الفضلاء من آل محمد سلام الله عليه وعليهم وأتباعهم من فقهاء أشياعهم له بالإمامة، وتسليم البيعة، فقبلهم وقربهم وأدناهم وقبض بيعتهم وتولاهم، وظن الكافة منه عليه السلام ومنا أنهم قد وافقوا وبايعوا عترة نبيهم عليه وعليهم السلام في الاعتقاد وطابقوا، فلما طال عليهم الأمد ظهر نفاقهم، وبان شقاقهم، واتضح فساد اعتقادهم، بما نجم من عنادهم، فرفضوا الإمام السابق بنكث بيعته، وكذبوا النبي الصادق صلى الله عليه وآله الطيبين من عترته في إخباره لنا بأن هذا القرآن الموجود بين أظهرنا حجة لنا وعلينا كلام الله سبحانه ووحيه وتنزيله، دون أن يكون كلاماً له ولا لغيره من المتكلمين، وردوا صريح آيات القرآن المبين، وجحدوا حكمة رب العالمين في زيادة خلقه ونقصانه، ومحو

ما شاء من تدبير أمره وإثباته، وجعلوا نزول الأمطار، ونمو الثمار، وتقسيم الأرزاق، وعوارض الأسقام، وبوادر الحمام مضافاً إلى إحالات العالم وتأثيرات الطبائع، ونفوا ذلك عن الحكيم الصانع، فشابهوا الطبعية والمعطلة والثنوية، والدهرية، والمجسمة في نفي هذه الحوادث عن الله عز وجل، وأشبهوا اليهود والنصارى في إنكار أن يكون هذا القرآن كلام الله سبحانه، فبانت ردتهم، وظهرت زبدتهم، وبلغنا لما أجرى إمامنا عليه السلام عليهم من الأحكام بالقتل لمن وجد منهم في غير ذمة ولا جوار في دار الإسلام، وفي جواز قتلهم وقتل مقاتليهم إن كانت لهم شوكة، وهذا رأينا ومذهبنا وهو الصحيح من مذهب آبائنا عليهم السلام فإن علمنا أو غلب في ظننا توبة أحد منهم فتوبته مقبولة، ومن تاب عند مفاجأة القدرة فقد كنا علمنا منهم وقت المخالطة أن الكذب لدفع الضرر وقوة المذهب واجب، فلا تقبل توبة تائب منهم والحال هذه، فاعلموا ذلك معشر المسلمين، واعلموا أنا لولا حقنا من الله تعالى في نصيحتكم والبيان لكم ما كتبنا إليكم هذا الكتاب لما قد تحققنا من جفوة هذه الأمة لهذه العترة، فقد علم قرب من قرب منا إلى حصن ثلا، فما شافهه أكثر من كان يظهر الرغبة، ولا سأله من وجب عليه أن يرد الأمر إليه، ولكن ذلك لمنعنا من تجديد مخاطبتكم، وتكرير مطالبتكم في نفوسكم من عذاب الله سبحانه وتمسككم بعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنفاذكم لأمر الله سبحانه، وقد أفتيناكم بما أفتى به إمامنا عليه السلام من تحريم أمانهم، والذمة عليهم، وتسليم شيء من الواجبات إليهم، وأبحنا قتلهم وسلبهم ودمهم، وذلك حكم الله سبحانه فيهم وفيمن كان منهم، فإن أرادوا المناظرة أو المراجعة ليتضح للناس عذرهم في خذلان الإمام والرجوع إلى الحق بالبرهان، وكانت عليهم المخافة كنا نأمر بعض أولادنا يصل إلى طرف بلادنا ونأمر من وصل منهم لذلك لقطع عللهم، فإن فعلوا ذلك فذلك هو المراد، وإن كرهوا فالحكم فيهم ما ذكرناه، فما تمكنا منه فيهم أمضيناه، وما تمكن منه مولانا عليه السلام أمضاه، فليست حميتنا عليهم تكون بآكد من حميتنا على ولد الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام فلما قتله الحق قلنا أبعده الله، ولو قدرنا عليه لقتلناه، فتفهموا ذلك معشر المسلمين، والسلام عليكم ورحمة الله.

[كتابه عليه السلام إلى الأمير صفي الدين]

وأملى عليه السلام كلاماً في آخر كتاب كتبه للأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم جواباً لوردسار عن كتاب كتبه إلى الإمام عليه فيه سب وأذى فكره، الإمام إجابته، قال فيه:

وقِفْ على كتابه إلى مولانا عليه السلام وما ذكر من أن الأحوال معه غير مستقيمة، ومبنى الأمر على طريقة وخيمة، ولم نعلم من الإمام عليه السلام أمراً يوجب أن يكتب إليه فيه بمثل ذلك، بل قد جرت النصيحة على أحسن معانيها، وارتقت إلى أعلى صياصيها[1]، وتمحضت نهاية التمحيض والإخلاص، وانقادت لحكم القصاص، فلم يحل عقدة بعد إحكامها، ولا حاول نقض تمامها، ولا تعرض للأمير في مكروه، ولا ساقه في وجه من الوجوه، بل سلك معه سبيل الإنصاف، ولم يقصد طرق الشقاق والخلاف، التزاماً بحكم الإيمان، ومحاذرة من نقض الأيمان، والكل على ذلك لا يحول ولا يزول، ولا يميل بنجم المصافاة إلى الأفول، ولا يحسن من الأمير أن يواتر كتبه بمثل هذا الحال، ولا ينطق بما يرد في كتبه من الرفث والجدال، ويرعى حرمة هذا البيت الشريف، وإن لم يخف منه سطوة، ولم يخش من حسام عزمه نَبْوَة، فجميع ملوك الدنيا وإن عظمت ممالكهم، واتسعت مسالكهم ترعى حرمة هذا النصاب، وتعلم أن من انتقصه في عقله مصاب؛ إذ الراعي لحرمته راع لحرمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أهله ويتعرض من الله سبحانه لجد العذاب دون هزله، فمن ظلمهم حقهم فقد ظلم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أجره، وتولى إثمه وكبره، قال في آل حم تعالى رباً: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣].

واعلم أنك إن عظمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإن عظم سلطانك وعلا شأنك، فإنما تعظم نفسك، وتشرف منصبك وجنسك، وتزداد بذلك قرباً إلى ربك، وغلبا في حربك، وقد صارت الكتب تأتي بخلاف المعتاد منك، فإما أن تكون أمرت فلا يحسن من مثلك الأمر بمثل ذلك، وإما أن يكون بغير أمرك فذلك لا يظن بمن اتصل بحبل من حبالك.

واعلم أن خلفاء بني العباس رضي الله عنه كانوا يكاتبون بعض من كان منا في سجونهم بما

---

(١) صياصيها: حصونها وقلاعها.

هو أكثر مناصفة من كتبك إلى مولانا عليه السلام.

وأما ما ذكرت من عيال عامر وما فعلوه في مملوك أستاذ دارك وأخذهم فرسه فما له في ذلك سر ولا جهر، ولا نهي ولا أمر، والله بذلك من الشاهدين، وكيف يستجيز ذلك ويستحسنه من له أدنى مسكة من الدين، والله عز من قائل يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[المائدة:١]، وهؤلاء القوم الجناة ممن شعب[1] على الإمام في بلاده، فما منعه من السطوة عليهم إلا كونهم في جهتك، ومن يوم أحدثوا الحادث ما وطئوا لنا بلاداً، ولا نرضيهم ولا هم أهل أن يُرتضوا ولا يُدنوا لغدرهم ومكرهم، وقد أخذوا إليك بالجناب أغنامهم، وربط منهم من ربط، فلم نخاطبه بكلمة واحدة، لأنهم ليسوا من الإمام بسبيل ولا ينفذ في رد الجواب من الإمام، فأنت تعلم أنه لا تنكير من رد جواب خادم لك، ولكن الكتب قد صارت تأتي على وجه لا يحسن أن يجيب عنه لما ضمت من الأذية والاستخفاف، والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى وردسار رداً على كتاب أتى منه][2]

وكتب عليه السلام جواباً عن كتاب أتى من وردسار فيه بعض الغلظة والجفاء، فقال عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[الإسراء:١٦].

أما بعد: فقد جاءنا[3] كتابك ينطق بلسان الاغترار، ويملي عن قلب العتو والاستكبار،

---

(١) شعب: صدع وفرّق.

(٢) السيرة المنصورية ج٢/ ٩٤٠-٩٤٢.

(٣) في السيرة: جاء.

وذكرت أن كتابنا ورد إليك بنون العظمة، والعظمة لله سبحانه، وله العزة ولرسوله وللمؤمنين، ونحن أولاد محمد الأمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الذين أوجب الله تعالى على الأمة تعظيمهم، ورد الأمور إليهم، وأنكرت الخطاب بالكاف، وذلك مخاطبة الأشراف، وليس على المخاطب به منقود، ولا على المُخَاطب به[١] غضاضة.

وأما قولك: إنك نصير الدولة العباسية، فهي قمينة أن تكون ناصرها أنت وأشباهك ممن جحد حق ذرية الرسول الأمين، ووطد قواعد ملك الظالمين، ولعمري إن إمامة بني العباس أهون عليك مركبا، وأسهل لك مطلبا؛ لأنها إمامة ميدانها رحيب، ولكل عاص فيها نصيب، ولاتها وحماتها وكفاتها ورعاتها[٢] شربة الخمور، وركبة الشرور، وولاة الظلم والفجور، مؤسسة على الغدر والعدوان، والمكر[٣] والطغيان.

فأما تأجيجك لنارها فإن على الله إخمادها، كما قال تعالى: **﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾** [المائدة:٦٤].

وأما ما ذكرت من الخيل والجمال، فما كان عندنا لك فما له ضبط، ولا مناً فيه ليٌّ[٤] إلا أن يكون بأمر نلزمك تأديته، وتعرف بأنك[٥] عذرت فيه، فيكون منا الوفاء، ويتولى كل منا ومنك ما تولى، وقد قبلنا ردك، وصمدنا صمدك، مستعينين بالله تعالى على حربك، طالبين رضاه في جهادك وجهاد حزبك **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾** [الشعراء:٢٢٧].

وأما ما ذكرت من الصحابة رضي الله عنهم فنحن أعرف الناس بحقهم، وأولاهم بحفظهم؛ لأنهم صحابة جدنا ﷺ فليس لك بيننا وبينهم مدخل، فاعرف موضع قدمك قبل المسير، واقبل قول الناصح المشير، والسلام.

---

(١) به، زيادة في السيرة.

(٢) سقط من السيرة.

(٣) في السيرة: والمنكر.

(٤) اللّيّ: المطل، واللَّيّ: الجحود (هامش في السيرة عن لسان العرب).

(٥) في السيرة: ويعرف أنك.

[كتابه عليه السلام إلى أهل الجيلان وديلمان ردّاً على كتاب ورد إليه منهم]

وكتب عليه السلام إلى أهل الجيلان وديلمان جواباً عن كتاب ورد إليه منهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

إلى كافة الإخوان من أهل الجيلان وديلمان ومن يتصل بهم من تلك البلدان:

الحمد لله الذي إلهام الحمد منه منة، والأمر به عطية ومنحة، ومضاعفة الثواب عليه فضلاً وكرما، عمّ بريته بإحسانه، وغمرهم بجوده وامتنانه، لم تمنعه إساءة المسيئين من إفاضة عوارف الفضل عليهم، ولا كافأ شكر الشاكرين قدر أياديه إليهم، فالكل في بحر أياديه عُوَّم، والجميع عن شكر عوارفه لهاةً نُوَّم، فلم يمنعه ذلك من إعادة ما أبدى، ورد ما أسدى، وصلى الله على المصطفى من شجرة النبوة الإبراهيمية، وثمرة الطهارة الإسماعيلية، النبي المعصوم، المبرأ من الوصوم، المصور نوراً سماوياً قبل أن يكون جسماً أرضياً، والممثل شبحاً قدسانياً قبل أن يتمثل بشراً سويا، وعلى وصيه ووليه وقاضي دينه، ومنجز وعده، والكاشف الكرب من وجهه، سيف دولته القاضب، ونجم نحلته الثاقب، وليث دعوته الواثب، علي بن أبي طالب، وعلى الطاهرة المطهرة، خلاصة الصفوة، وثمرة الشجرة، الدرة الثمينة، والجوهرة المكنونة، فاطمة الأمينة، وعلى ولديها الطاهرين، الزكيين، العالمين الوليين، الهاديين المهديين، أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين، وعلى آلهما المختصين بشرف الولادة، والحائزين بها فضلاً كبيراً، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، حماة سرح الدين، ورعاة الشرع المبين، المنتجبين لمنصب الإمامة، المؤهلين للزعامة العامة، من ابتداء التكليف الحنيفي إلى انقطاعه بظهور القيامة، وسلم وكرم.

أما بعد:

فإن كتاب إخواننا الفضلاء، الكفاة النبلاء، من السادة والعلماء والفقهاء، والحكماء والتلامذة الحلماء، والتابعين الكرماء، وصل إلينا إلى أرض اليمن، إلى المستقر النبوي بمحروس حقل حماه الله تعالى مرجعنا من ثلا كلأه الله، ونحن مجهزون للجنود المنصورة إن شاء الله تعالى لحرب الناكثين والمارقين بحجة، قوّى الله كلمة الصالحين فيها وأظهرها على أعاديها، وذلك بغدرته هدنة بيننا وبين جنود العباسية المسودة ومن شايعها من المردة، فرمَّت قبل استحكام رمِّها، وقضى أسها الواهي بوشيك هدمها؛ لأنهم كما حكى الله سبحانه في إخوانهم: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[التوبة:١٠]، ولا يستمسكون من عرى الإسلام بعصمة، فجهزوا بعد انبرام الأمر عساكر مخذولة إلى نواحي حضور ويناع، وهي حصون ومخاليف في مغارب صنعاء كنا غلبناهم عليها، فجددوا العزم على تجديد القراع، فتوكلنا على الله وأرقلنا للمصاع، ونحن باعثون إليه الأمداد متواترة، والجنود المنصورة متقاطرة، ومن الله سبحانه نستمد المعونة على الطائفتين في كِلا الجهتين، وكان ورود الكتاب في شهر ربيع الأول سنة ست وستمائة، فقلنا له: أهلا بك وبمن أهداك، فلقد وجدنا ريح يوسف من ريّاك، إن الضالة لواسطة عقد ثمين، أضاعها ربها منذ حين، فظلنا نجيل الأفكار في ميادين لفظه، ونجني الأزهار من أغصان وعظه، ونتفنن في ظلال أفنان فنونه، ونستنشق الروح والريحان من نفحات ثمار غصونه.

هذا وإن كان فيه من المؤلمات ما ألجأنا إلى تلقي الكلمات مما تقرر وتكرر من شكاية ظهور الفرق الضالة من الملاحدة والمزدكية والمشبهة المرتدة الغوية على الطوائف العدلية، والعصائب الموحدة الزيدية، فإلى الله المفزع والمآب، ومنه نرجو كشف هذا العذاب، فما أشبه الحال على ما تقرر في الصورة المحكية بحال الإسرائيلية مع القبطية، وما فعلوه من تعبيد الجلة، وذبح الذرية، فالله المستعان وعليه التكلان.

ألا فليفزع الإخوان رحمهم الله إلى ما أمرهم به الرحمن، فهو الرحيم الودود لأهل الإيمان، من نصرهم لله سبحانه لينصرهم، وذكرهم إياه تعالى ليذكرهم، قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد:٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٤٠]، وقوله الحق، ووعده الصدق.

وأصل الهزائم ضعف العزائم، وما ضل قوم هداهم القرآن، ولا فض جمع حشوه الإيمان، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[الصف:١٠-١٤]، وكذلك تكون الحال لكم إن شاء الله تعالى إن اجتمعتم على أمر الله، والجهاد رحمكم الله عماد الدين وسنامه، وحبل الدين ونظامه، وهو أسه وتمامه، وبه علت مناره وأعلامه، وقامت صلاته وزكاته وحجه وصيامه، ونفذت أحكامه، وحققت أعلامه، وجرت أقلامه، ومدارُه على حملة السلاح وأرباب الصلاح، وليس بضال من تاب واهتدى، وأناب واقتدى، ﴿كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾[النساء:٩٤]، فاصرفوا معشر العلماء رحمكم الله العناية إلى وعظ أمرائكم وملوككم، ومحل الرئاسة في أوطانكم وبلدانكم، وانصحوهم نصيحة تستوي فيها ألسنتكم وقلوبكم، وسركم وإعلانكم، هذا بعد خلوص أمركم، وتمييز صفركم من تبركم، فإنما أتيت العامة من الخاصة، هذا مرخص في الفتوى، وهذا يحكم بما يهوى، وهذا ينهى عما يفعل، وهذا يقول ما لا يعمل، فهي لا تصلح أرشدكم الله على هذا، وأنتم على ما تقضي به صورة الحال ثلاث مراتب: السادة، والعلماء، والأتباع، والجرم متفاضل على هذه الأنواع.

أما السادة من الزيدية فهم المستحفظون في البرية، المضاعف عليهم ثواب الطاعة وعقاب المعصية، لكون ذلك كله في بيوت مرفوعة، طاهرة زكية، فكبرت الحسنة وعظمت الخطية.

وأما العلماء، فهم ورثة الأنبياء، وفي الآخرة من الشهداء، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب، وأمروا بترك الكتمان، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾[آل عمران:١٨٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ

بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الْكِتَابِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّٰعِنُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٥٩،١٦٠]، فإذا كتم العلماء علمهم أو قبلوا الرشوة في حكمهم تجرأت عليهم الرعية، وسقطت هيبتهم من قلوب البرية، وحاق بهم الذنب، وغضب عليهم الرب، كما قال، ولعنهم وأنزل بهم أصناف النكال.

وأما الأتباع فهم أهون الطوائف جرما، وأخفها إثما، وإن كان النظر عليهم واجبا، والفرض لازبا؛ لأن الله تعالى قد نعى على الأتباع أفعالهم وقبح أعمالهم فقال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[البقرة:١٦٦] لما اتبعوا المتبوع بغير بصيرة، صاروا لذلك مصيره.

فإذا استقام عودكم، وذكا وقودكم، التفتم بعد ذلك لإصلاح الأمراء، وأفاضل الكبراء، فأما العوام فهم تبع للفريقين من رؤساء أهل الدين والدنيا، سيقة كل سائق، وتباع كل ناعق، يكثر صلاحهم بصلاح الخاصة وفسادهم بفسادها، فإن طلبت تقويمهم باعوجاجها فذلك مستحيل.

فكيف يقوم الظل والعود أعوج

فإن صلحت لكم أمراؤكم ضربتم البعوث على جميع بلدانكم أعداداً معلومة، وصممتم قواضبكم، وقصدتم بلاد العدو ناحية ناحية، ولم تشرعوا في كل جهة فتشغر عليكم الثغور، ويدهمكم الجمهور، فالناس إلى الباطل أعجل وعن الحق أميل، والباطل عليهم أخف والحق أثقل.

وقد ساءنا ما حدث في ديلمان، وهي المحروسة عن الطوفان، ومنشأ العدل والإحسان، كان دينها أخلص الأديان، وفرسانها أثبت الفرسان، وشجعانها أصبر الشجعان، أين أمثال (مير قالول) و(ليلى بن النعمان)، و(قوهيان) و(سهلان) و(شهفير) و(روهرون) و(بهرام)، ليوث الصدام، و(حسومة بن أومكن)، و(يزدفول) و(شيراسفار) و(السربويه) و(هوذباذ) ليوث الطراد، وغيوث ألسنة الجهاد، حماة ديلمان وفتيان جيلان، وصناديد اللاهجان، الذين اقتبسوا نورهم من مشكاة الإيمان، وتحلوا بالبر والإحسان، وأخذوا الهداية عن ذرية رسول الحي القيوم، ولم يجعلوا أصل اعتقادهم بياع الثوم، كما فعل الديتنورة الذين بباب النهر المعروف باستاذرود، والحديث ذو شجون، وفيه جد ومجون.

فأعلمونا هل بقي أمر المسودة من خلفه مستقرا على تخومه؟ أم قد طرى[1] على ما خلفه من بلادكم؟ فأعلمونا بغاية هجومه، فلنرجع إلى ذكر أولئك الأفاضل الذين ذكرنا منهم القليل ممن عرفنا، ومن جهلنا أكثر، لتحرك تلك النفوس الأبية على الاقتداء واقتباس أنوار الهدى.

فما يك من خير أتوه فإنما
توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطي إلا وشيجه
وتغرس إلا في منابتها النخل

فهم جزاهم الله عنا خيرا، وبارك لنا في أسلافهم، ولهم في نفوسهم، الذين هزموا ليوث الضلالة في مقام بعد مقام، ونقضوا صفوف الجهالة قياماً بعد قيام، وجرعوا آل طاهر وآل سامان كؤوس الذل والنكال، والخزي والوبال، وأوردوهم الحتوف، وجدعوا عنهم موارن الأنوف، ورسخوا رسوخ الجبال في مقامات القتال والجدال، حتى عز الدين، وظهر الغر الميامين، من آل طه ويس، بدور التمام، وشموس الإسلام، عليهم أفضل الصلاة والسلام.

فأين أيام (تورود) و(شالوس) وما فعلته شريف تلك النفوس، شمروا رحمكم الله كما شمروا رحمهم الله فالشبل في المخبر مثل الأسد تشميرة الأباه، وافعلوا فعل الحماة، واغضبوا لله سبحانه غضباً يوجب لكم رضاه، ويدحر عنكم بلاه، فإن الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة:١١١]، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[الأنفال:٣٩، ٤٠]، وهذا بيع ربيح لا يقال ولا يستقال، ولا يجوز به الإخلال، وكيف يصح أن يستثنى شيئاً من النفوس والأموال وقد وقع اللفظان الماضيان عن التراضي، وفارق بالأبدان من تجوز عليه الأبدان، بمعلوم عن معلوم فيما يصح على

(١) كذا في المخطوط ولعله طرأ أو طوى.

الوجه الذي يصح، فأين موضع الرجعة؟ وأين المذهب والنجعة؟ فما أربحها من صفقة أن تعطي تافهاً فانياً وتأخذ جزيلاً باقيا.

فنسأل الله لنا ولكم التوفيق، فلا تعذروا في ترك الجهاد إلا من عذره رب العباد، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[النور:٦١]، فهؤلاء الذين عذرهم الحكيم سبحانه دون من عداهم من العباد، كما قال تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[التوبة:٤١].

فهل من عدا من ذكر إلا خفيف أو ثقيل، فنسأل الله تعالى تيسير السبيل، وشفاء العليل، فقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[الأنفال:٦٠]، وقد رأيتم رحمكم الله كيف أمر بالاستعداد لحر الجلاد، ونهى عن إيثار محبة الآباء والأولاد إلى الأزواج والبلاد، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة:٢٤]، وحض عز وجل على الثبات عند التفاف الفئات بالفئات فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[الأنفال:١٥، ١٦]، فاصبروا في مواطن القتال صبراً يحمده ذو الجلال، فـ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف:٤]، فقووا العزائم، وسنوا الصوارم، واعتصموا بذكر ربكم من الهزائم، وإذا لقيتم فئة فاثبتوا، وغضوا الأبصار، واحفظوا الأصوات، وعضوا على النواجذ(١)، والحظوا الخزر(٢)، واطعنوا الشزر، وكافحوا الظبا، وصلوا

---

(١) النواجذ: الأضراس.

(٢) الخزر: النظر بلحظ العين.

السيوف بالخطا، ولا تنسوا الموت وفزعته، والقبر وظلمته، واللحد وضمته، والبعث وروعته، والحساب وشدته، والصراط وزلته، وأعدوا لذلك حسنات الجهاد الصبرية، والوقفات البدرية، فإنه لا يؤمن من ذلك إلا بذلك، قال الله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[الزمر:١٠]، والجهاد صبر كله.

روينا عن أبينا رسول الله ﷺ أنه قال: «لوقفة في الصف في سبيل الله تعدل عبادة ستين سنة»، فما حال من رمى؟ فما حال من طعن؟ فما حال من ضرب؟ ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[الحديد:٢١]، ومن استطاع أن يعين فقيراً، أو يفك أسيراً، أو يجهز غازياً، أو يكسو من المجاهدين عارياً، فذلك له عند ربه محضا في صحف حسناته، في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[الكهف:٤٩]، فإن من جهز غازياً أو خلفه في أهله كان له مثل أجره.

فانظروا لأنفسكم رحمكم الله نظراً يرحض عارها، ويعلي منارها، ويمنع دارها، وهبوا الله أنفسكم في الدنيا يهبها لكم في الآخرة، واعلموا أنكم تحت راية ليس تحت أديم السماء راية أعدل منها، ولا أولى بالحق إلا ما جانسها من رايات المحقين من إخوانكم، فليكن حرصكم على حفظها على قدر معرفتكم بحقها، فإن لله جنود السماوات والأرض، فجنوده في السماء الملائكة، وجنوده في الأرض بعد قيام زيد بن علي عليه السلام الزيدية، أفليس هم الهازمون هرثمة بن أعين وهو في عشرة آلاف فارس؟ وما لا يعلم عدته إلا الله من راجل، فخرج من الكوفة أيام محمد بن إبراهيم عليه السلام أربعة آلاف زيدي متحنط، فحملوا على الناس، فكانت إياها، وكم تعد لهم من المواقف المحمودة، والوقائع المعدودة، فهم كنوز أهل البيت عليهم السلام المحدودة، في المقامات المشهودة، ليست بكنوز ذهب ولا فضة، بل رجال شداد، على خيل جياد، فجددوا ما درس، وأحيوا ما انطمس، فإن أهل صنعاء وهم من جملة الرعايا ومن تمنعهم أيدي الظالمين من اللهج بالسلاح لما صحت بصائرهم معنا، واعتقدوا وجوب نصرتنا، بلغوا في ذلك الغاية في الإخطار بالنفس والمال، وبلغوا في ذلك بين أيدينا في القتال على حصون تدنو من صنعاء مبالغ لم

تبلغها الأجناد المجندة في حرب براش[1] وفدةً، واستهونوا بعد ذلك فراق المنازل الثمينة، والنعم المكينة، في نصرة الدين، والقيام مع ذرية النبيين، فلا تضعفوا نفوسكم ولا تصغروا قدرها، فإن ذلك لا يسقط حكم التكليف في الجهاد عنها، فإن بين أيدينا موقفاً تنقض فيه الأضرة، ولا يمكن فيه الغرة، فكيف يجوز التلبيس على من يعلم ما نفعل قبل أن نهم أن نفعل! فامحضوا الدين محضا، فإن النقاد بصير وهو اللطيف الخبير، ولا تعرضوا عن باب من تركه طائعاً رماه الله بالذلة، وديثه بالصغار، وسيم الخسف ومنع النصف، وهو باب الجهاد، باب الخير والبركة في السكون والحركة، صاحبه على إحدى الحسنيين، إما ما عند الله تعالى فما عند الله خير للأبرار، وإما الفتح فهو الذي تحبه النفوس، وتهواه القلوب، وتشرع إليه الأفكار، ومع ذلك من ثواب الله ما لا يحصى لكونه لا يتناهى، فإن أمكنكم إقامة سوق الجهاد هناك فأقيموه وقوموا، وإن تعذر لما يصح من الأعذار فليتجهز من أمكنه اللحاق بنا إلى هذه الجهة ليضرب بسهم في جهاد الظالمين، ومنابذة الآثمين، ويؤدي فريضة رب العالمين، فإنما نحن وإياهم على الحرب العوان، يدعوننا إلى الفسق وندعوهم إلى الإيمان، وهم أعدّ عدة وأكثر، ونحن أوفى ذمة وأصبر، قد هزمناهم في مقامات جمة كثيرة، وخبطناهم خبط الهرمة المطيرة، وهم كما قال تعالى: ﴿**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [المائدة: ٦٤].

واعلموا أن الذي لحقكم من حزب الضلالة، وأرباب الجهالة من الاستظهار، والجلاء من الدار، ما كان إلا لافتراق كلمتكم، وتشتت أمركم، وافتراق أهوائكم، وإساءة الظن بصلحائكم، ومداهنة علمائكم، ومشاحنة ساداتكم، وطمع أمرائكم، ففسد الدين والدنيا، وظهر الأعداء، وإلا فالمعلوم لنا أن الجيوش الخراسانية كانت لا تقوم للجموع الديلمية والجيلانية، أحرار النفوس، كرام الغروس، عربهم من صميم نزار، وعجمهم من ملوك فارس الأحرار، فما يقاس بكرمهم كرم، ولا بحميد شيمتهم شيم، يحمون الجار، ويمنعون الذمار، ويكرمون الأضياف، ويمنحون الألطاف، هذا ليلى بن النعمان نهض في جيش للطائفتين، فطوى البلاد إلى طوس غير

---

(١) براش: جبل شامخ في الشرق من صنعاء يطل عليها من خلف جبل نقم. السيرة المنصورية ١/ ٢١٧، ٦٠٥-٦٠٩.

منازع ولا مدافع، وهذا الداعي أبو محمد الحسن بن القاسم وهم جنده وبطانته لما أحس من نفسه من القوة بمطاردتهم طمع، فهم بمنبر الملك ببغداد لولا خلاف بعض الأقارب، فأين تلك العزائم فالله المستعان؟!

فأما أن العدو كان يطمع بشيء من بلادكم فهذا ما كان لا يخطر بالبال، ولا تكثر منه الأوجال، ولكنه كما قال ذو الجلال: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾[الإسراء: ٤، ٥].

ونرجوا من الله سبحانه أن يرد لكم الكرة عليهم، ويمددكم بأموال وبنين، وأن يجعلكم أكثر نفيرا؛ لأن السبب في أمر الفريقين واحد لما ظهر الفساد، ووقع الخذلان، وانقضى الإيمان، ظهر العدو المبطل على الولي المحق، فهذبوا نفوسكم وطهروها بالتوبة، ولا تداهنوا في المعاصي، واذكروا يوماً يؤخذ فيه بالأقدام والنواصي.

فقد روينا عن أبينا رسول الله ﷺ أنه قال: «أوحى الله إلى نبي من أنبيائه أني معذب من أمتك مائة ألف، أربعين ألفا من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم، فقال: يا رب، هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ قال: عمل بين ظهرانيهم بالمعاصي فلم يغضبوا لغضبي».

وقد علمنا وعلمتم أن تسليط بخت نصّر على بني إسرائيل وفيهم الصلحاء والعلماء، بل الأنبياء، فأما الأنبياء فلا يجوز عليهم الإخلال بالواجب، وأما العلماء والصلحاء في ظاهر الحال فقد وقعت الكوارث التي أدت الكواهل والغوارب، وكدرت المطاعم والمشارب، وقد صار لنا ولكم بالأمم الماضية، والقرون الخالية، أكبر عبرة، وأوضح عظة؛ لأنا إن اجتنبنا من المعاصي ما ركبوا نجونا وعطبوا، وإن فعلنا من الطاعات ما فعلوا وألنا كما وألوا، فالسعيد من وعِظ بغيره، وقد أقمتم جمعةً دعا رسول الله ﷺ على تاركها بأن لا يجمع الله شمله، ولا يبارك له في أمره، ولا بد أن يكون العالم بها مفهوماً بفحوى الخطاب، نقيض ذلك: وأن يجمع الله شمله، ويبارك له في أمره، فأبشروا إن شاء الله تعالى باجتماع الشمل والبركة في الأمر، فإن النهج قويم، والصراط مستقيم.

وأعلمونا بعدة الجمع في تلك الديار ليزداد المؤمنون سرورا والفاجر ثبورا، وأخبرونا تفصيل عملكم وأعمال دياركم، وتحفظوا على الحقوق الواجبة في نفوسكم وأموالكم، فقدموها أمامكم، وأعطوها إمامكم، فإن الدين لا يقوم إلا بالرجال، والرجال لا يجتمعون إلا بالمال، وإن كلب أهل الدنيا على الدنيا شديد، وبأسهم عتيد، وعلى الله تعالى هدم أركانهم، وتقويض بنيانهم، وتقليل أعوانهم، وخراب بلدانهم، فطالما ظهرت فيها المعاصي، في القرى والصياصي، ونرجو أن يديل الله دينه، ويقمع الباطل وشياطينه، فما ذلك عليه بعزيز.

فأرهفوا بصائركم، وأخلصوا ضمائركم، وبثوا دعاتكم في الآفاق، وأقيموا الحرب على ساق، وباينوا أرباب الشقاق، واحترزوا من أرباب النفاق، وتوادوا في دين الله، وتحابوا في طاعة الله، ولا تشاحنوا، ولا تضاغنوا، وسكنوا في ذات بينكم دواعي المحنة، وأخمدوا نار الفتنة، واغلظوا على الأعداء، ولينوا للأوداء، وأعلمونا بقصة الحال في ديلمان، هل ارتد أهله إلى مذهب الملاحدة، أو قهرهم الملاحدة وهم ثابتون على بصائرهم، فإن كانوا على مذهب الملاحدة وارتدوا عن دينهم فالخطب قد طم، والحبل قد رم، وإن كانت الملاحدة غلبتهم على أمرهم فدواء هذا اتفاق الكلمة، وتجريد العزيمة، وعقد الأمر لواحد من سادات الأولياء، وأفاضل الأصفياء، إما من السادة الأخيار أو الأفاضل الأبرار، وإذا استتب له الأمر لزم خيل الغزو والجهاد، وابتدأ الأمر كما كان في أول الإسلام؛ إلا أن بلاد الديلم منيعة، وقلما يتمكن من قهرها، وإنما كانت فتحت على يد الناصر عليه السلام بأهلها، ولله تدبير خفي في دينه، وغيرة عالية على شرعه، وهو أقدر على التغيير لما يكره، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار، وخيل الدين أقوى، والعاقبة للتقوى، وحسنوا الظن بإخوانكم، ولا يغتب بعضكم بعضاً، ولا ترفضوا دينكم رفضا، وأسفوا وطيروا واجروا وسيروا حتى يتم إن شاء الله أمركم، فأصل الفعل الفكر، ومن الله نستمد النصر والظفر.

فأما من يصل من جهاتنا هذه فما معنا من يصلح لذلك إلا من هو سداد ثغر وملاك أمر في وجوه الباطنية والجبرية والخوارج أخزاهم الله، والحرب قائمة بيننا وبين الظالمين، أهون حربنا المقاومة على أطراف البلاد، ومسانحة أرباب العناد، هذا إن لم يشن الرعيل على الرعيل، ويمش الجريح على القتيل، وموارد الشام إليهم متواترة، والبرد للحريص على حربنا من بغداد متقاطرة،

ونحن بالله واثقون، وعليه متوكلون ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران:١٧٣] لا تزيدنا كثرة الناس لدينا أنساً، ولا بعدهم عنا وحشة؛ لأنا أولياء الحق فلا نأنس إلا به، وأعداء الباطل فلا نستوحش إلا منه، وقد ذللنا نفوسنا للصبر، واستمددنا من الله سبحانه المعونة والنصر، فإن عجله في الدنيا فذلك الذي نحب ونهوى، وإن ادخر ذلك للأخرى فما عنده خير وأبقى، وقد دعونا الإخوان كما ذكروا خصوصاً وعموماً من سمي ومن لم نسم لخير الآخرة والدنيا، والتوفيق لما يحب ويرضى، وحسن الخاتمة التي توجب الزلفى، والصلاة على النبي أولا وآخرا صلى الله عليه وعلى الطيبين من آله ونرجوا من الله الإجابة فهو أهل المن والإحسان.

ومما نجم في هذه الديار فعظمت به البلوى مذهب المطرفية الطبعية، المرتدة الغوية، وهم ينسبون نفوسهم إلى الزيدية، ولا يقفون عند ذلك حتى يتسموا باليحيوية القاسمية؛ لأن من رأيهم أن لا اختلاف بين الأئمة عليهم السلام في المسائل الاجتهادية، ويقولون: ما في الكتب من ذكر الخلاف فهو دسيس الملحدة، وضلالاتهم يطول شرحها، ولا فائدة تحتها، ولا لهم شبهة ينصبونها في وجه خصمهم إلا التجربة بزعمهم، فنهاية برهانهم قولهم: جرب ارقد في الشمس واغتسل بالماء البارد وقف في بلاد الوباء في الظل وكذا وكذا، أفليس الغالب يجرب كذا وكذا؟

قلنا: كذلك تكون بمجرى العادة، والفاعل الله سبحانه؛ إذ لا فاعل لما يخرج من مقدور العباد سواه فيكرهوا ذلك، فقد نزهوا الله بزعمهم من مكروه أفعاله، ونفوا عنه قصد المحبوب وإيصاله إلى من وصل إليه بل حصل.

قالوا بالإحالة والاستحالة، ومرادهم أن الله خلق أصول الأشياء وهذه الفروع موجبة عنها شبهاً بقول الفلاسفة وإن كان مذهبهم لا يتحقق كمذهب النصارى قطع الله دابر الجميع، ولهم ظاهر فتنوا به الأغمار، وقد نفيناهم عن الجهة التي ظهرت فيها كلمة عترة المختار ﷺ وصارت جنود الظالمين اليوم بيننا وبينهم، وهم لهم مظاهرون ومناصرون والباطنية وقد أحاط الله بالجميع وهو لهم بالمرصاد.

وإنما ذكرناهم لتعجبوا من أمرهم على أنا لم نتمكن من حكاية مذهبهم؛ لأنه يحدث في كل حين كفر بعد كفر حتى أن منهم في هذه المدة من قال: إن الصلاة ليست بواجبة، إنما هي لتصفية الأجسام. وهذا يناسب مذهب الإسلاميين من الفلاسفة من تعبد، وهم مجمعون على أن الموجود بين أظهرنا حجة لنا وعلينا ليس بكلام الله، وكلام الله قالوا: صفة لقلب الملك الأعلى لا تفارقه، وكان بزعمهم فيما مضى بالطريقة العقلية الشيء الواحد لا يجوز أن يكون في وقت واحد في جهات كثيرة، والآن صار نزاعهم بالطريقة الشرعية، قالوا: كلام الله قال الحمد لي وإنما هذا كلام الملك. ومن ذا وما جانسه.

فأما باطنية البلاد فلا يتجاسرون بإظهار شيء من المنكر، وإن ظهر من فعلهم شيء أحالوه إلى العصيان كما يقع من الإنسان.

وهذه المطرفية قد قتلنا من قدرنا عليه منهم، وأوهن الله كيدهم، وجددنا العزم في المستقبل على تحريق من وجدنا من علمائهم وإلى الآن لم نظفر بأحد، ونرجوا من الله الظفر ولكن قدمنا النية لنحرز ثوابها إن شاء الله وإن شئتم علم ضلالهم جملةً لا تفصيلاً فإنهم نفوا أفعال الله عن الله تعالى، قالوا: حاشاه من خلق المحبوب الحلو يكون ذلك محاباة وتفضلا، والمساواة عندهم واجبة وحاشاه من خلق المكروه السمج؛ لأنه لا يخلق إلا الحسن، ومذهبهم في الحسن والقبح مذهب المجوس، وأضافوا أفعال العباد إلى الله، قالوا: بأن الطعن في المطعونين، والضرب في المضروبين وما جانس ذلك فعل الله سبحانه بما جعله يطعن ويضرب، وأفعال البهائم عندهم فعل الله، قالوا: لأنها مجبورة، وعندهم أنها لا تُبعث ولا عوض لها.

فهذا مما نعجبكم به لتعلموا أن في كل قبيلة سعداً، ومن الله سبحانه نستمد العون والنصر على شيع الضلالة وإخوان الجهالة لنا ولكم ولكافة المسلمين، ولا تفتروا في الدعاء لإمامكم بصلاح الحال، وإحماد المبتدأ والمآل، وبلوغ صالح الأعمال في طاعة ذي الجلال.

والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

[كتابه عليه السلام إلى ملك الجيل سالوك بن فيلواكوش]

وكتب عليه السلام إلى ملك الجيل واسمه سالوك بن فيلواكوش:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على رسوله محمد وآله

من عبد الله المنصور بالله أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة بن سليمان بن رسول الله ﷺ إلى الملك المعظم، والمعاذ المكرم، ولي الذرية الزكية، وسيف العترة الطاهرة المرضية، وسلطان العصابة الزيدية، وعمدة الفرقة الموحدة، ونقمة الله المنزلة على المشبهة والملحدة، وسائر الفرق الباغية المتمردة، شمس الدين، نظام المسلمين، عاضد أمير المؤمنين: سالوك بن فيلواكوش.

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك التوفيق لما يحب ويرضى.

أما بعـد:

فإن مطالعة الشيخين الأمينين الداعيين إلى الله تعالى وصلت إلينا إلى أرض اليمن في شهر ربيع الأول من سنة ست وستمائة، يذكران فيها ما انطوت عليه همتك من الشهامة، وما تقلدت بمعونة الله سبحانه من الزعامة، ومكافحتك لليوث الحروب، وتفريجك عن أهل العدل متراكم الكروب، بتصميمك وإقدامك، وصبرك واعتزامك، فحمدنا الله تعالى حيث بقي من أهل هذه المقالة الشريفة النبوية من يدافع أضدادها، وينظم أجنادها، ويقمع حسادها.

واعلم أنه لم يبق اليوم فيما نعلمه على وجه الأرض ملك للزيدية زادها الله علواً سواك، فأصلح نفسك بطاعة الله عز وجل، والانقياد لأمره فيما أحببت وكرهت، والخضوع لأوليائه، والغلظة على أعدائه، واستعمل العدل فيمن وليت أمره؛ فإن العدل يعمر الأعمال، ويوفر

الأموال، وشمر في زوال المعاصي ظاهرها وباطنها، وسرها وجهرها، وأقبحها شرب الخمر؛ لأنها جماع الإثم، فلا يصح ذلك فيمن تحت يدك حتى تستعمله في نفسك؛ لأنك القدوة في الخير والشر، ومن كلامهم المستعمل: (الناس على دين الملك)، فإن شمرت في طاعة الله عز وجل، واستعملت الطاعة تحبب الناس إليك بالطاعة، وتقربوا إليك بالإنابة، وإن ركبت والعياذ بالله المعصية وصلوا سببك، ووطئوا عقبك، فانظر أي الإمامين تكون، ونرجوا من الله عز وجل أن يهديك لأرشد الأمرين، وأسعد العمرين، وأن يجعل عقلك قائد هواك، ويلزمك طريق هداك، ويمنحك النصر على أعدائك، والشفقة على أوليائك، وقد بلغنا بيعتك وبيعة أجنادك وجنود الحق وأنصار الأئمة من علمت سيرتهم وأثرهم، شعارهم خير شعار، ومنارهم خير منار، وبذلك باينوا جنود الضلالة، وأحزاب الجهالة، فشرفوا بذلك على جميع أجناد الأمم، صفوة العرب والعجم، ولا عذر لهم في المعاصي لإثباتهم الوعيد، فإنما أهلك أكثر أهل الضلالة اعتقاداتهم الفاسدة، ومذاهبهم الردية من الإرجاء والقول بالقدر، وإحالة الذنب على الرب، وإثبات الشفاعة لأرباب الكبائر، وأنت من هذا بمعزل، فما العذر لك عند الله تعالى إن ارتكبت الذنب وأنت منطوٍ على اعتقاد الحق، وشيعي لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وشيعتهم منهم كما جاء النص النبوي، وذلك ثابت فيما رويناه بالإسناد الموثوق به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث فيه بعض الطول حاكياً عن ربه أنه قال: «يا محمد، أنت شجرة وعلي أغصانها، وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمارها، خلقتكم من طينة عليين، وخلقت شيعتكم منكم، إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف لم يزدادوا لكم إلا حباً»، فهذه صفة قوم أنت اليوم رأسهم وكبيرهم، فتمم ذلك بطاعة الله عز وجل، وتحفظ من الزلل، واحترس من الخلل في القول والعمل، واحص جميع من في أعمالك ممن يحمل السلاح أو يستطيع حمله في ديوانك، واضرب البعوث عليهم أعداداً مقدرة على مقدار الحاجة إلى ثغور الجهاد، وحارب جهة جهة، وأخلص نيتك لله تعالى، وامحض طويتك في طاعته، وإذا لقيت عدوك فوضت أمرك إلى الله تعالى وتبرأت من الحول والقوة، ولم تعجب بكثرة إن كانت معك، فإن نصرك الله فلا خاذل لك، فقد قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة:٢٤٩]، وادع القوم إلى الله قبل القتال، فإن قبلوا فإخوانكم في الدين، وإن أبوا فاستعينوا بالله عليهم، واحترز من مكيدة عدوك وكبره ما استطعت، وإذا لقيت العدو مستعينا بالله تعالى فدع لك قائداً تثق به في عصابة صادقة، ونخبة

أجنادك تكون فئة، ورد الحادث إن كان، وإن كنت فيها فلا ضير، ومر أجنادك بخفض الأصوات، وحفظ الرايات، فهي حصون الجنود، وقواعد الحفاظ، واحم سربك، واستعن ربك، ولا تبدأ في الإصلاح بأول من نفسك، ثم الأخص الأخص من حاشيتك، ثم من يتصل بأولئك من جندك، ثم رعيتك، فإذا كان ذلك كذلك دعوت الناس إلى دين الحق وطاعة آل الرسول صلى الله عليه وعلى الطيبين من آله فعند ذلك يجب على الله نصرك، ويعلو أمرك، قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٤٠]، وقال: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد:٧]، وهو لا يقول إلا الحق، وظهرت لك المزية على جميع ملوك الدنيا، وشهد فعلك على ولاية أهل البيت لاعتقادك، وبلغت النهاية من أملك ومرادك، ومن قدر على شراء الفرس من المسلمين شراها كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾[الأنفال:٦٠]، ومن عجز عن ذلك يحمل السلاح، ومن لم يطق ذلك عمل بما أطاق، فإن سلفكم الصالح رحمة الله عليهم لما دعاهم أهل بيت نبيهم سلام الله عليه وعليهم أجابوا وأنابوا بصدق وبصيرة، وجد واجتهاد، وقد ذكر ذلك سياهجيل رحمه الله في بعض خطبه وكان في العجم بمنزلة قس بن ساعدة وسحبان وائل في العرب، وذلك عندكم موجود، فلا تكن فيه كجالب التمر إلى هجر واللبن إلى أهل الوبر، والوقعة العظمى مع الناصر عليه السلام بتورود كان الجيش الجيلي والديلمي الصابر السوي، المقلل يقول: سبعة آلاف، والمكثر يقول: عشرة آلاف بسلاح خفيف وآلة رثة[1]، وزوبيتات أكثرها بغير حديد، بل محددة الرؤوس، والجيش الخراساني وعيون القواد، فنصرهم الله على ثلاثين ألفاً، والأتباع في نهاية القوة والاستعداد تحته جنود خراسان وعيون القواد، فنصرهم الله تعالى على عدوهم، فهزموهم بإذن الله، وقتلوا منهم خمسة وعشرين ألفاً، فعز الدين، ورسخت قواعد اليقين، فجددوا ما درس، وحرروا ما انطمس، وكونوا كما قال ابن جعفر:

إنـــا وإن آباؤنـــا شرفـــت

لـــسنا عـــلى الأحـــساب نتكـــل

(١) الرث: البالي.

نبنـــــي كـــــما كانـــــت أوائلنـــــا

تبنـــــي ونفعـــــل مثـــــل مـــــا فعلـــــوا

فأما في مخالفة الفرق الضالة فقد جهدتم، وأما في الامتناع من المعاصي فإلى اتصال الأعلام بنـا ما حمدتم، فنستهدي الله لكم إرشادكم. ومرد هذا الشأن إلى الملـك أرشـده الله، فليهـب نفـسه لله سبحانه هبة لا للتسلي فيها على الله، فلو كان صغيراً لكبر بذلك فكيف وهو كبير في محـل رئاسـة، فإنما يزداد بذلك شرفاً على شرفه، ومجداً على مجده؛ لأن طاعـة الله تعـالى أشرف الملابـس، وأعـلى المراتب، فإن كان ذلك لمن له قدموس[1] مجد كريم ومحـل جـسيم كـان ذلـك كالنـار عـلى العلـم يتنورها جميع الأمم، وسالم من يدنو منك فئة فئة، وحارب أخرى كـما فعلـه رسـول الله ﷺ فإنـه سالم اليهود وحارب المشركين حتى كانت اليهود هي الناقضة للعهد، والأمر يكـون كـذلك، ولا تخلونا من أعلامكم وما يكون لكم وعليكم، والله تعالى يطلع السار من قبلكم، ويتولى معونتكم، ويرفع راية الحق على أيديكم، ويكبت أعاديكم، ويعمر بالألفة ناديكم، ويجعل مجـدكم معمـورا، وجندكم منصوراً، وعدوكم مقهوراً، فلقد تعلقت خواطرنا بأموركم وما تأتي من الأنباء عـنكم، عجل الله السار من قبلكم، واستجاب الدعاء فيكم ولكم بحقه العظيم واسمه الكريم.

---

(١) قدموس: قديم والملك الضخم.

[كتابه عليه السلام إلى شمس الدين محمد بن الداعي جواباً عن كتاب أتى منه]

وكتب عليه السلام إلى السيد الداعي إلى الله الصدر العالم، الإمام شرف العترة، تاج الذرية، قدوة العلماء، لسان المتكلمين، آية الواعظين، شمس الدين، ولي أمير المؤمنين محمد بن الداعي، جواباً عن كتابه الوارد منه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك التوفيق لصالح الأعمال، والتسديد في المبدأ والمآل.

أما بعد:

فإن كتابنا هذا صدر من محروس حوث حماه الله تعالى من ظاهر بلاد همدان مرجعنا من بلاد حمير، كنا فيها لمحاربة الظالمين، ومناظرة الفاسقين عفا الله آثارهم، وهدم منارهم، فكان من أمرنا وأمرهم ما ذكرنا في كتاب القاضي ركن الدين، والشيخ قوام الدين، الداعيين إلى الله تخفيفاً عن الخواطر الشريفة، ولكون المذكورين أيدهما الله مضطلعين بتبيين جمله، وبسط عقله لمعرفتها بالبلدان والمنازل، وكان انفصالنا من البلاد الحميرية إلى مكان يقال له حقل، وهو من حصون الإسلام العجيبة، وطرائفه الغريبة، وعر المسالك، صعب المراقي، كأن رأسه يصعد إلى السماك، ويروم مجاورة الأفلاك، فإذا توقله المتوقل انتهى إلى ناد رحيب، وجناب خصيب، خلف بابه من الزرع ما يؤدي ثلاثمائة مد، والمد اثنا عشر صاعاً بصاع النبي ﷺ وفيه من المناهل العجيبة ما لا يكاد يوجد في غيره، ومن الميادين ما لا تضيق بالخيول الكثيرة من ألف فما دونه، وهو واسطة عقد الإيمان بين بلاد حمير وهمدان، فأقمنا فيه ثمانية أشهر تنقص أياما، ويحميه من جميع الخلائق خمسون رجلاً أو دونهم.

والمراد بذكر هذا وما شاكله سرور المسلمين بتقوي قواعد الدين؛ لأن الحصون أوتاد الممالك، وكانت إقامتنا فيه لحرب المارقين والناكثين بحجة.

فأما المارقة فأصحاب عبد الله بن أباض وعلى رأيه في تكفير علي عليه السلام والبراءة منه، ولما ظهرت كلمة الحق لم يتجاسروا على إظهار شيء من ذلك، فما ظنك باعتقادهم فيمن دونه من ذريته.

وأما الناكثة فحثالة الفرقة المرتدة الغوية المسماة بالمطرفية قطع الله دابرها، وألحق أولها آخرها، وماضيها غابرها، فإنهم شر البرية، وأبغض الخلائق للذرية، ولهم من الأقوال الردية ما لا يأتي عليه الإحصاء، ولو أمعنا في الاستقصاء؛ لأنها بدعٌ تنتجها أفكارهم الفاسدة، وليس لها في دين الإسلام قاعدة، والوساوس لا تنتهي إلى غاية، ولا يدرك لها نهاية، وجملة الأمر أنهم أزاحوا بزعمهم شغلهم الله وخذلهم على الباري سبحانه من التدبير في خلقه، والتصرف لبريته، وقالوا: (خلق أصولاً فأوجبت تلك الأصول هذه الفروع من غير اختيار ولا إرادة).

فهذه زبدة ضلالتهم وإن كان لها شبه بمذهب النصارى في أنه لا يتحصل.

فرأينا من لوازم الدين جهادهم، فأمرنا بحربهم للأمير الكبير شهاب الدين ناصر أمير المؤمنين نبال بن محمد الجردي، والشيخ المعتمد مخلص الدين سيف أمير المؤمنين جابر بن مقبل، فجاهداهم في الله حق جهاده، وجردا الهندي من أغماده، ليلاً ونهارا، واستوليا على بعض حصون المفسدين، وقررا قواعد الدين، وإمداد جنود المسودة إلى الأضداد متواترة، وجموعهم وافرة، وكان كذلك منا إلى أصحابنا، ثم كانت نهاية الأمر جمعنا من أمكن من العساكر المنصورة، وتقدم فيها الصنو عماد الدين يحيى بن حمزة أدام الله عزه، وكذلك فعلت المسودة، فإنهم جاءوا بقضهم وقضيضهم مع سلطانهم المسمى سيف الدين، فسار سير القناع خوفاً من المضاع، فالتقى العسكران في يوم واحد كما قال رب العباد: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾[الأنفال:٤٢]، فسبق أصحابنا على بلدة من بلاد المشبهة، فقتلوا من أهلها طائفة لم نتيقن عدتهم وهم دون المائة إنسان، فيهم من أعلام ضلالتهم بضعة عشر رجلا، وهبت لهم ريح النصر، فلما كان كذلك خالفت القبائل من خلفهم، وأعلنت شعار الظالمين، فانحاز العسكر على حامية لم يقتل منهم

والحمد لله أحد، ولا فت الإسلام بالإيقاع بهم عضد، ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[آل عمران:١٧٤]، ولم يظفر بهم عدو.

ثم أقام الأمير شهاب الدين والشيخ مخلص الدين في نهجها، سادين لثغرهما، حتى صالح من كان في نهجها من الموالين، واستوثق لنفسه من الظالمين، ثم تخلص أصحابنا إلينا موفورين، فالحمد لله رب العالمين، وجاء العدو ففعل لأوليائنا من الإنصاف ما كنا لا نفعله، وأنزل بأوليائه من النكال ما كنا لا نستجيزه، فعجب الناس ولا عجب من أمر الله، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[آل عمران:٥٤]، فصار ما كان آية للمتوسمين، وكان مما صنع العدو أخذ الحصون التي كانت مع أوليائه وسلمها إلى أوليائنا، وقد حاولناها بالحرب الشديد وإنفاق المال العظيم، فلم نتمكن من ذلك، فكاد الباري وكيده متين، وأيد الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، ثم الآن كتب الأولياء عندنا يستدعونا إلى البلاد، وكتب الأعداء يستعطفون ويبذلون الدخول تحت الطاعة والمراد، وامتثال الأوامر الإمامية، والأحكام النبوية، صدرت أجوبتها يوم كتبنا هذا الكتاب لخمس عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة ست وستمائة، وكان الأمر كما نحب، والحمد لله.

والجند الذين معنا في اليمن قد ضاقت عليهم المسالك، وأقضت بالمضاجع والمبارك، وصار رجيفهم علينا بالشام والعراق، ولولا فساد العرب وبعض الشرف لكنا قد أخرجنا العدو من أرض اليمن عموماً أو من أكثرها بنصر الله وعونه لا لضعف فيه ولا لخور في عزيمته، بل بنصر الله ومعونته وذلك يكون إن شاء الله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[القصص:٥، ٦]، وفي أيديهم اليوم صنعاء إلا أنا قد استولينا على أعمالها وبقيت معهم قصبتها، وذمار وقد دنا أمرنا من غربيها وشرقيها البلاد الحبيشية خلصان الزيدية، وعدن، وزبيد، بل أعمال تهامة كلها لهم وما في أيدينا من المدن إلا صعدة حرسها الله تعالى بدوام جلال المشاهد المقدسة بالأرواح الزكية على ساكنها السلام.

وقد بلغ إلينا على لسان الداعيين إلى الله تولى الله عونهما من الثناء على الداعي الأجل الأوحد،

السيد الصدر الإمام، شرف العترة، تاج الذرية، قدوة العلماء، لسان المتكلمين، آية الواعظين، شمس الدين، ولي أمير المؤمنين أدام الله عزه، وأحصف حرزه، ومنع الحوادث أن تبتزه، وخصه بأفضل السلام، ما عطر النوادي، وانتشر في الحاضر والبادي، من حسن الدعاء إلى الله، والتحريض لأوليائه على امتثال أمر الله ومنابذة أعدائه، وتقوية قواعد الإسلام، وتوطيد أركان الإيمان، وذلك هو الظن بك، والرجاء فيك وفي أمثالك من الذرية الطيبة، والشجرة المباركة، وقد أهمنا أمر تلك الجهة وما صار فيها من الحوادث والوهن في الإسلام، وافتراق الكلمة، وشمول الظنة، وإساءة الظن بأهل المعرفة، وطمع السادة، وظلم القادة، وترك التناهي، وارتكاب المناهي، حتى تقوت كلمة المشبهة، وسطع دخان الملحدة، وكان ما لم يخطر بالبال أنه يكون، وإلى الله المفزع والمآل، ومنه نستمد التوفيق في الأقوال والأفعال.

وقد بلغنا ذكر طرف مما بقي في أيدي الزيدية من ديلمان، ومن جيلان وذلك الباقي إن صلحت حال ملوكه وسادته وعلمائه أصلح ما فسد، ورد ما شرد، وإن بقي على ما بلغنا والعياذ بالله كان ما نسأل الله تعالى كفايته، فاجعلوا همكم مصروفاً إلى إصلاح الأكابر، وتعظيم المشاعر.

فالبيت لا ينبني إلا على عمدٍ
ولا عماد إذا لم ترس أوتادُ

فإن تجمعن أوتادا وأعمدة
وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

وأصبح القوم فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهالهم سادوا

فإذا كان ذلك كذلك حرضتم القوم على الجهاد، وآذنتموهم للاستعداد، وهادنتم جهة وحاربتم أخرى، وضربت البعوث على الناس أعداداً معلومة، ونفروا في سبيل الله، ومن كان معه فضل مال ولا يقدر على الخروج مع المسلمين بنفسه استقرض من يقوم مقامه، أو جهز من

ضعفاء المسلمين من يقدر على الجهاد ولا يقدر على الزاد والعتاد.

وأما عذرك في الوصول كما ذكرت في كتابك، فقد عذرك القرآن، وحمدك الرحمن، قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[البقرة:٢٨٦]، و﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾[الطلاق:٧]، ولا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، ولا تخلونا من المطالعة بأخباركم وأعلامكم مفصلة، ولو أن ملوك البلاد استعملوا طريقة العدل؛ لكثرت الأموال، وصلحت الأحوال، فإن خراج العراق على عصر عمر بن الخطاب أضعف[1] على خراجه في أيام الحجاج[2].

ومن المشاهد بين أيدينا أنا أخذنا من البلاد التي غلبنا الغز عليها أضعاف ما كانوا يأخذون منها، وعمرت لما صارت إلينا، فكثر خراجها، وسوى العدل بين القوي والضعيف فهان الأمر، وهذه أحوال كما ترى، فنسأل الله التوفيق.

والحرب بيننا وبين عسكر المسودة قائمة، ومن الله سبحانه نستمد النصر والعون، وقد طلبوا الهدنة وعرضهم القدوم إلى مكة حرسها الله تعالى، فلم نساعدهم إلى ذلك؛ لأنا خفنا أن يلحدوا في بيت الله، ويجحفوا بأولياء الله، ويقطعوا ما ظهر من سنن الإسلام في أذان رسول الله ﷺ فرأينا استمرار حربهم في الله عز وجل أولى على كل حال، ومن الله سبحانه نستمد المعونة، وجاءنا منذ يومين أو ثلاث أن غرضهم الاجتماع لحربنا صاحب صنعاء وصاحب تهامة، ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾[البروج:٢٠]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[الرعد:٤٢]، وتأخيرهم للحج لما امتنعنا من صلحهم، فلا تخلوا من الدعاء فنعم المادة هو على بعد الديار، ونأي المزار، واجتهدوا إلى نهاية الإمكان في تقوية هذا الدين، وأعلامهم تصل إلينا أن الكتب متواترة إليهم من العراق والشام بالتحريض على حربنا ووعدوهم بالمادة بالأموال والرجال على هذا الحال، وعليكم أفضل السلام التام ورحمة الله وبركاته.

---

(١) هكذا في الأصل ولعلها أضعاف.

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفي: قائد، سفاك، طاغية، ولد ونشأ بالطائف [٤٠-٩٥هـ]، انتقل إلى الشام وزحف إلى الشام وقتل عبد الله بن الزبير، بقي في العراق عشرين عاماً قتل فيها وفي غيرها المئات من المسلمين ظلماً وعدواناً ليستقيم الأمر لبني أمية وهو الذي قتل سعيد بن جبير وغيره.

[كتابه عليه السلام إلى سنقر جواباً على كتاب أتى منه]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب جواباً عن كتاب أتاه من سنقر وقد أتاه جماعة من شيوخ المطرفية:

أما ما ذكره السلطان من حضور من يحضر للمحاكمة، فلم نكتب إليه إلا ليقبل الفتوى منا فيهم، وشهادتنا عليهم، فإذا انتهى الحال إلى المقاومة فمن أصل مذهبهم الذي علمناه على اليقين والله على ما نقول من الشاهدين أن الكذب عندهم لتقوية الدين من الواجبات، فكيف تعترف لك فرقة هذا أصل مذهبها، ولكن كان الأولى لو جعلتنا في أدنى منزلة حتى نكون بمنزلة الجاسوس على الظالمين، وجعلت نفسك في أعلى منزلة بمثابة الرسول عليه وعلى آله أفضل السلام إن عملت بقولنا، فقد كان عليه السلام يعمل بأخبار جواسيسه، فكيف ونحن معدن العلم وقرارة الفهم، وفينا وضع التنزيل، ومنا نشأ التأويل، وما ظنك بشجرة أصلها محمد، وأغصانها علي وفاطمة، وثمارها الحسن والحسين عليهم سلام رب العالمين، غرست في طينة عليين، وغذيت بماء الحكمة المعين، فإن جفتها الأمة فلا تكن لها من الجافين، وإن جهلت حقها فلا تكن من الجاهلين.

وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال حاثاً لأمته على اتباع أهل بيته: «قدموهم ولا تَقْدُموهم» [1]، فمن أين يلزم ونحن الحكام بحكم الله سبحانه على الناس أن نجلس مع المطرفية المرتدة الغوية في مجلس الحكم؟!

فأما إن شرطت لنا أنك تحكم لنا فيهم بحكم سعد بن معاذ رحمة الله عليه فعلنا، فجد ما خالفت فيه اليهود إنكار نبوة عيسى ومحمد عليهما السلام وهذه المطرفية شهادتي وشهادة الله سبحانه قبل ذلك منكرة لاختصاص الله سبحانه لأحد من جميع أنبيائه عليهم السلام بالنبوة،

---

(١) تقدم تخريج الحديث.

واصطفائه بالرسالة، بل عندهم جميعاً أن النبوة فعل النبي دون أن تكون فعلا لله، وأرذلهم منـزلة يناظر ويقول: (لو أردت لكنت نبيا) هذا ظاهر فيهم ظهور الفرس الأبلق في الخيل الدهم[1] العراب، وكانوا فيما مضى لو سألناهم أن ينادوا به على رؤوس المنابر لفعلوا، فأما اليوم فقد كتموا ذلك خوف حز العلاصم، فكيف تطمع وأنت صاحب الرئاسة والعقل أن يحضروا ناديك الرحيب، ويجاهروا بالتكذيب؟ هذا ما لا يكون، وقد كنت قلت فيما مضى في قولهم هذا شيئاً من الشعر يكثر عن التعداد. ها هنا نذكر منه بيتين أو ثلاثة:

مطرفة عاصت مقال نبيها
ولم تخش في العصيان لومة لائمِ

فكم فيهم من جاهل متفيهق
كريه المحيا كالكباع حراصمِ

غدا يدعي أن النبي شبيهه
فأعظم بهذا من عظيمة زاعمِ

ولم أطمع فيك لأنك أبله فأغرّك، إنما طمعت فيك لعقلك ورجاحتك التي وهبك الله عز وجل، وأوجب عليك بذلك الشكر إلى منتهى رضاه، فإذا نظرت بعين الفكر علمت أني لا أحاربهم لدنيا أصيبها، ولا لحصون أستولي عليها، ولا أني لم أجد عدوا، فليس من بين يدي يفتقر إلى زيادة، وما فعلت ما فعلت إلا طاعة لله سبحانه في تبيين أمرهم، وإيضاح كفرهم وإن كان طويلاً عريضاً.

ومنه قولهم: إن الله سبحانه قد خلى تدبيره من خلقه وما بقي له صنع، بل خلق أصولاً وجعلها تحيل وتستحيل من دون اختيار الملك الجليل، ولو سألتهم لحلفوا ما يرون بذلك، فاسمع قول من أمرك الرب جلَّ جلاله باستماعه، واتبع منهاج من حضك على اتباعه، قال الله تعالى: **﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** [يونس:٣٥].

---

(١) الأبلق: الواضح من غيره، والدّهم: الأسود.

وقد روينا عن أبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه سلام رب العالمين أنه قال: (اعلموا أن العلم الذي أنزله الله على الأنبياء من قبلكم في عترة نبيكم، فأين يتاه بكم عن أمر تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة، هؤلاء مثلها فيكم، وهم كالكهف لأصحاب الكهف، وهم باب السلم فادخلوا في السلم كافة، وهم باب حطة من دخله غفر له، خذوا عني عن خاتم المرسلين حجة من ذي حجة قالها في حجة الوداع: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[1].

فهذا نص في موضع الخلاف لا تنكره الأمة على ما قد شاع فيها من الاختلاف، فانظر نظر مثلك.

والسلام عليك وعلى كافة المسلمين.

[كتابه عليه السلام إلى أهل وصاب وقد أوقعوا بالغز]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب إلى أهل وصاب وقد أوقعوا بالغز وقعة عظيمة يثني عليهم ويحضهم على مباينة عدوهم.

قال عليه السلام:

هنيئاً لكم معاشر حمير ما حباكم الله سبحانه من الفخر الأشهر، والنصيب الأوفر، فقد جليتم قتام وجوه العرب، ورحضتم العار عن صحيح ذلك الحسب، ووصلتم سببكم من الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بموالاة القائم من عترته بأقوى سبب، فصرتم سيوفاً قاطعة لأعناق أهل الطغيان، ورماحاً شارعة في أكباد أهل العدوان، وواسطة ثمينة في عقد الإيمان، فتجردوا رحمكم الله للجهاد، وتأهبوا للجلاد، وجددوا مآثر الآباء والأجداد، فأنتم أولاد الملوك السالفة التي ملكت الأغوار والأنجاد، وضربت على تخوم الأرض الأعلام والأسداد، فروي فيهم عن

---

(١) سبق تخريج الحديث.

رسول الله ﷺ أنه قال: «حمير ألسنتهم سلام، وأيديهم طعام»، فشمروا رحمكم الله في طاعة الإمام، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «ما خفقت راية حق على رأس رجل مسلم فطعمته النار»، «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين سهرت في سبيل الله»، فما حال من ضرب بسيف أو طعن بسنان، فهنيئاً لكم رجال حمير ما فزتم به من ثواب الآخرة وشرف الدنيا، وقد علمتم حال مذحج خاصة بني حبيش وقيامهم بهذه الدعوة المباركة وكفايتهم لناحية المشرق فاكفونا، كفاكم الله سبحانه جنبة المغرب وثوروا لله سبحانه ثورة حسنة محمودة العواقب ترسخ فيها أقدامكم في قصور الممالك وتسلكون بها أفضل المسالك.

[ومن كتاب له عليه السلام إلى وردسار]

وأتى كتاب من وردسار وجه الخطاب فيه إلى الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم وفيه جفاء وبذاء، وكان الإمام عليه السلام قد أضرب عن مكاتبته لأجل ذلك، فأملى عليه السلام في آخر كتاب كلاماً هذه نسخته:

وأما ما ذكر الأمير من الوفاء بالعقود والأيمان فذلك قاعدة للإسلام وعمود الإيمان، ولكن ما أحوجه إلى مقتضى قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٤٤]، فنحن وإياه لو صحّ عندنا ما قال كما قيل في المثل السائر: (يرى أحدكم القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذعة في عينه) ذهبنا إلى تعداد ما نقص من العقود المبرمة، والعهود المحكمة، لطال الشرح، وانتكى القرح، ولكن نذكر ما يكون عمما في وجه ذلك الصنيع الحالك، وهو ذمته لنا بعقار على أموال بني صاغ عشرة أيام، وصاح بذلك صائحه بمحطته، ووصلت إلينا بذلك رقعته وعلامته وهي محفوظة إلى الآن لم يمض نهار ثاني لأموالهم كما يعلم ولم يحترس، فيا قرب مأتمه من العرس.

وأما ما ذكره من يمين إمامنا، فليعلم أنه عن اليمين له ولغيره أشرف وأجل، فإن روى ذلك له راوٍ فهي من الروايات المستحيلة التي تنكرها النفوس النبيلة.

وأما أيماننا، فقد حلفنا ولا ننكر ذلك، وقد شرطنا بالوفاء فوفينا وإلى ساعتنا هذه نحن وافون، وعلى آثار آبائنا قافون، ولولا ذلك لما رجع من وصاب إلا وقد أنزلنا بجميع أعماله أنواع النكال والعذاب، وكأن نهاية وفاء الأمير تلك الليلة على حدها، ثم تتابعت الأحداث من بعدها.

وأما ما ذكر من المملوكين باس العلوظ وصاحبه وإن أحدهما معه فرس، فما وصل إلينا واحد منهما بفرس ولا سلاح، بل ذكر لنا أن فرسه أخذت في وصاب إن كان صادقاً فيما قال.

وأما ردهما، فيا سبحان الله العظيم ما قوله، لو طلب إسماعيل في زمانه تسليمه إليه وتسليم المماليك الذين وصلوا معه؟ هل كان ذلك يحسن في حكم المروة، ومقتضى شرف الأبوة؟!

وأما قوله: إنا إن فعلنا وإلا كنا من الذين فعلوا في ناديهم المنكر، فنعوذ بالله من هذه الصفة، وما الخطاب بهذا من شرع النصفة؛ لأن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يأتون الذكران من العالمين، ويذرون ما خلق لهم ربهم من أزواجهم، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين من كانوا وحيث كانوا.

وأما قوله: كيف انعقدت لإمامنا الإمامة؟ فأما على رأيه ومن كان على مثل حاله فهي غير منعقدة عنده لإمامنا.

وأما سؤاله كيف انعقدت عندنا؟ فإنها انعقدت بإجماع علماء العترة المرضية، وفقهاء سائر البرية، وظننا أنهم بأمور الدين أعرف من الأمير، ولم يكن ينبغي لمثله أن يخوض في معنى الإمامة، أو يتعرض لذكرها في خاصة ولا عامة، وحسبه ما قد اختار لنفسه من الأديان والأئمة والسيرة والطريقة.

وأما ما ذكره من أن من وصل إليه من قبلنا لم يدعه يلبث، فقد علمنا ذلك إيقاناً، وعلمناه برهاناً، وشاهده الشريف قاسم بن إبراهيم، ومبادرة الأمير إلى تسييره إلينا، وجعله طريقة على عضدان، وقد أتاه زائراً واصلاً، فكانت ضيافته ما أحاط به علمه، وأوجبه حكمه.

وأما ما ذكر من جعفر الدرزاري وحليفه التركي، فقد جاءانا ومعهما جماعة على حالة ضعيفة، فقمنا بهم على قدر الإمكان، واستخلصناهم من ربقة الهوان، حتى استقامت أرواحهم، وظهر

صلاحهم، وركّبناهم ونفعناهم، وهذه عادتنا معهم ومع غيرهم ممن التجأ إلينا، واعتمد علينا ومكافأة أكثرهم ما علم الأمير، ولكنا نعمل لوجه اللطيف الخبير، فإن كان إحساناً فنرجوا أن يكون من أسباب المغفرة، وإن كان ذنباً فإلى الله المعذرة.

وأما ولد عيسى بن ذعفان، وولد علي بن ذعفان، فقتلهما عمرو بن المعترف وأصحابه، وقامت البينة على عمرو بالإقرار بالقتل، فسلمناه إلى ولي الدم فقتله، وألزمنا باقي الجماعة دية الآخر ألف مثقال إمامية منصورية لإيجاب الشريعة النبوية زادها الله على مرور الأيام جلالة، وانتصف لها على أيدينا من أرباب الجهالة.

وأما أحمد بن أسعد الأبرهي، فإنما قتل لفساده في الأرض، وأظهر التوبة فلم تصح توبته فبقي على حكم الأصل في جواز تلف النفس، وقد حملنا الأمير على أن نبين له معاني الشرع الشريف ففعلنا، فكنا كمن يبين لمن لا يعرف جملة الألفاظ العربية معاني التصريف.

[كتابه عليه السلام إلى رجل من الغز يقال له شربارك]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب إلى رجل من الغز يقال له شربارك، كان والياً بحرض وقد أتاه كتابه يريد الوصول في جماعة من الغز، فقال عليه السلام:

ومن اتبعك من أصحابك وشايعك على أمرك من الأولياء كان له التحفة والزلفة في الدنيا ويوم القيامة إن شاء الله تعالى.

وأما الاعتذار عن التأخر إلى هذا الأوان، فكل شيء عنده بمقدار، والأعمال بخواتمها، وكم من لاحق سبق وسابق لحق، وأنت فبادر مبادرة منتهز الفرصة عند إمكانها، ومقتطف الثمرة عند إبانها، فكأنك بهذه الكلمة الصادقة، والدعوة المباركة، قد اتسع نطاقها، وقام ساقها، وأربحت أسواقها، فأولى الأمور بك أن يكون ذلك وأنت درة تاجها، وإقليد رتاجها، ومقوم اعوجاجها، وحافظ ثغورها، وحامي فجاجها.

وقد روينا عن أبينا محمد ﷺ أنه قال: «دخرت شفاعتي لثلاثة من أمتي: لرجل أحب أهل بيتي بقلبه ولسانه، ورجل قضى لهم حوائجهم لما احتاجوا إليه، ورجل ضارب بين أيديهم بسيفه»، فإذا جمعت هذه الخصال حزت شرف الكمال، وكان مآلك أفضل مآل، وحالك أجمل حال، ألا أن هذا الأمر يفتقر إلى تشمير ينسي الوليد تعيوقه، ويغص الشيخ بريقه.

ولا يدرك الحاجات من حيث تبتغي

من القوم إلا المصبحون على رحل

فأيما رجل تكون لا تُجَمِّر ويقطر القوم ولا تبال بمن وصل معك، فمن أتى فهو غير مكروه، ومن تأخر فهو يلحق، فإن مبارز هلدري أتى إلينا في خمس أفراس، وسنقر وبكتمر وحدهما، ووردسار في خمسة صبيان، والأصل الرئيس، فالحزم الحزم، والهمة الهمة، والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى وردسار على لسان غزوان بن أسعد]

وأتى كتاب من وردسار ومحطهم على شوابه، ووجَّه الخطاب فيه إلى غزوان بن أسعد لما علم كراهة الإمام عليه السلام لمكاتبته يعاتب فيه ويتعرض للصلح، فأجابه غزوان، وأملى الإمام عليه السلام هذا الكلام في آخر الكتاب:

أما ما ذكرت من سيرة الإمام، فما علمنا سيرة هي أحمد من سيرته، ولا سريرة هي أخلص من سريرته، وأنت تعلم ذلك في حال جيرته ومعاشرته، وما حال عن تلك الحال، بل ازداد إليها خيرا ورشداً، وهو إلى الحق أهدى.

وأما قولك مستهزئاً: إن الناس معه في راحة، فقد علمت بل كافة الناس أفعاله مع من أطاع الله سبحانه، وسلك منهاج الحق.

فأما من تعدى حدود الله وخالف أمره فما عنده له إلا الشدة والغلظة كما علمت أو سمعت عن جده رسول الله ﷺ وعن الأئمة الراشدين من بعده من امتثال أمر الله تعالى في قوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ

﴿أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وأما بشر والحادث عليه، فما شعرنا حتى وصل الخبر من محطتكم، بأن السلطان نهض لقبض حصن بكر، ثم بانصرافه عنه ولزم بشر.

وأما المشورة منك بأنه كان يأمر له ويمسكه، فلم تجر له بذلك عادة، ولا سوّغه له شرع محمد ﷺ فقد وصل إليه من هو فوقه ودونه من ملوك العرب والعجم، فما صادفوا عنده إلا ما عرفت من الإحسان والإنصاف.

وأما ما ذكرته من أن شوابة على النقلة وكذلك الجوف وصعدة والظاهر والحرب تحمل ذلك، وقد أصاب هذه البلاد من القحط والجراد والخراب فيما مضى شيء كبير، فصبر أهلها ومن ابتلي صبر والجرم على من جنى ذلك وفعله، ولم يجر من الإمام عليه السلام حادث يوجب قود هذه الأجناد المتكاتفة مع تمكنه من الحوادث في بلادكم لو أراد، فإن من هو أقل منه قدرة يقدر على الحوادث العظام في أقوى من هذه المملكة، فإذا لم تبق المطالبة إلا في خراب البلاد فهي تخرب في الجهتين جميعاً، ومن كان محقاً أخربها بحق، ومن كان مبطلاً أخربها بباطل.

وأما حكايتك عن السلطان في هتك الشريفة التي صارت عندكم، فالنقيصة في ذلك على من فعلها لا عليه، وقد حملت نساء الحسين بن علي عليهما السلام إلى الشام فلم يضرهن ذلك، وكان وبالاً على فاعله إلى يوم القيامة، وسبباً لزوال أمر بني أمية، وحجة عليهم لقاتلهم.

وأما إنفاذها إلى مكة حرسها الله تعالى، فصاحب مكة ممن لا عذر له في الغضب في هذا الشأن.

فأما صاحب بغداد فقد جرت الحرب بينهم وبين هذه الذرية من مقدار خمسمائة سنة إلى يوم الناس هذا، ووقع القتل والقتال، فقتل في عصر محمد بن إبراهيم عليهما السلام من الجنود العباسية مائتا ألف قتيل، وكذلك القتلى في عصر علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد مائتا ألف وخمسون ألفا، فما علم أن يداً من أيدي العباسية ولا أحداً من أجنادهم تناولت شيئاً من حرم هذه الذرية، ولا مدت إليها إلا بالإكرام والحياطة والاحترام، وصاحب بغداد أعرف بحق الإمام عليه السلام من جميع الناس؛ لأنه لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل.

[ومن كلام له في آخر كتاب على لسان غزوان]

فعاد جوابه ألطف وأقرب إلى المراد، ويحض على ترك الجهاد، ويحكي طرفاً من محاسن سلطانه وإنفاقه للأموال، واستظهاره على الكفار، فأجابه غزوان عن كتابه، وألحق الإمام عليه في آخره كلاماً هذه نسخته:

أما ما ذكرت من ترك الجهاد في سبيل الله، فهذا باب لا ينبغي أن تقع الغفلة عنه؛ لأنه من باب الدين، والجهاد قد ذكره الله تعالى في كتابه الكريم، وجعله ثلاثة أنواع: جهاد المشركين، وعبدة الأوثان من العرب حتى يؤمنوا ويسلموا كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[محمد:٤] بالدخول في الدين، والانقياد للحكم، وجهاد أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم من المجوس حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، وأنتم بحمد الله بَراء من هذين الوجهين.

وأما استظهار شواني السلطان على الكفار، فمن لم يسره ظهورها على الهند وعلى المشركين فالله لا يسره، وكذلك تسييره المال إلى الثغر فجزاه الله بذلك خيرا وهو خير أفعاله، وعلى كل مسلم أن يعين بفعل أو مال وإن تعذر ذلك فبالدعاء.

وقتال المسلمين فهو أنواع: بغاة، ومحاربون، وعصاة.

فالبغاة هم الخارجون على إمام الحق، المنازعون له أمره بشرط أن يكون ظاهرهم حسنا، وهم محقون في الدين، وهم الذين حاربهم جده أمير المؤمنين.

وجهاد المحاربين والعصاة والممتنعين من الحقوق حتى يفيئوا إلى أمر الله عز وجل، فقد قال أبو بكر بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم: (والله لو منعوني عناقاً وفي حديث عقالاً مما أعطوا رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه) فدل على جواز القتال لمن امتنع من الحقوق، فإذا كان السلطان يلتزم أحكام الشرع، ففي أي شرع النبي ﷺ جواز شرب الخمر! وفعل ما لا يجوز فعله في الدين!

وقتال ذرية النبي ﷺ الآمرين بالمعروف! الناهين عن المنكر، والناس يطلبون أثر رسول الله ﷺ في الحجر والعود يتبركون به، فكيف بلحمه ودمه، فقد قال ﷺ: «حرمت الجنة على من أبغض أهل بيتي، وعلى من حاربهم، وعلى المعين عليهم».

[كتابه عليه السلام إلى بني حبيش وقد راموا الهدنة للغز]

وكتب عليه السلام إلى بني حبيش وقد راموا الهدنة للغز ووقع منهم تهوين في أمر الجهاد لقحط عمّ البلاد:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو المحيط بسرائرنا، والمطلع على ضمائرنا، ونسأله لنا ولكم الهداية في المبتدأ والمآل، والتوفيق في جميع الأحوال، إنه جواد مفضال.

أما بعد:

فقد بلغنا جنوحكم إلى السلم، وذلك أمر قد أذن به الكتاب، وقضت بتصويبه الألباب إن لم يلحقكم في دينكم وصمة، وتمسكتم بسفينة النجاة، والعروة الوثيقة.

وأما إن عمرتم دنياكم بنقصان دينكم، واستبدلتم الشك بيقينكم، وجعلتم وعد العباد الضعفاء أبر من وعد ربكم، ووعيد المساكين الجهلاء أفزع من وعيد خالقكم، فذلك والعياذ لكم بالله حظ غبين، وخسران مبين، قال أصدق القائلين: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[الصف: ١٠، ١١]، ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أهدى من الرسول سبيلاً، وأوضح منه دليلا، وهو ﷺ يقول: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير

من الدنيا وما فيها»، وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «وقفة الرجل في الصف في سبيل الله تعدل عبادة ستين سنة، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ أم قصر كتب له عتق رقبة» إلى غير ذلك من الآثار، فلنرجع إلى قول العزيز الجبار: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[النور:٥٥].

فانظروا رحمكم الله لأنفسكم نظراً يخلصكم عند الله غداً، ولا تتهموه في قوله سبحانه أبداً، ولا تتخذوا من دونه ملتحداً، ولا تؤثروا عليه أحداً.

واعلموا أن شفقة السلطان والأمير عليكم لا تعصمانكم من عذاب الله غداً.

فقد روينا وروت الأئمة عن أبينا رسول الله ﷺ: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم» والإجابة هي الطاعة في جميع الأحوال.

وروينا عن أبينا رسول الله ﷺ أنه قال: «دخرت شفاعتي لثلاثة من أمتي: رجل أحب أهل بيتي بقلبه ولسانه، ورجل قضى لهم حوائجهم لما احتاجوا إليه، ورجل ضارب بين أيديهم بسيفه»، وكل هذه الخلال قد فعلتموها، فالغبن إن ضيعتموها، وأهلكتم ثمرها فحرمتموها، فعليكم بالاستقامة إن أردتم سلوك منهاج السلامة، ونزول دار الكرامة، ومحل المقامة، وأنتم لهاميم العرب وحماتها، وفتيانها وكماتها، كم لكم في هذه الدولة النبوية الإمامية المنصورية من مقام ثبتت فيه أقدامكم عند دحوض الأقدام، وارتفعت أعلامكم عند انتكاس الأعلام، فأنتم في هذه الدولة النبوية الرأس والسنام، ولكم الرتب العظام، فلا ترخصوا غالي ما حزتم من شرفها، وأحرزتم من نفائسها وتحفها، جددوا ما درس، وحرروا ما انطمس، ولا تنسوا الجلوس بين يدي الحكم العدل، في مقام فصل، لا ينفع فيه الهزل، الأنبياء وفوده، والملائكة شهوده، تبلى فيه السرائر، وتمتحن الضمائر، ويبصر فيه الباطن كالظاهر، والماضي كالحاضر، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾[القارعة:٦-١٠].

إن الجهاد مفتاح الرحمة، وباب الجنة، وسنام الدين، وحض المؤمنين، وأساسه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فابدؤوا بأنفسكم فيهما فالناس لكم تبع، وأقيموا الحدود فإنها حق المعبود، وليس في تركها رخصة، وإن وجبت على نفوسكم فليأخذها بعضكم من بعض، فالأمر جد، والشيطان ضد، وليس للحكيم سبحانه ند، فمن يجير العاصين منه إن عصوه، أو يغفر الذنب إن أتوه إلا هو تعالى بفضله وإحسانه، وطوله وامتنانه، إن تاب التائبون، وأناب الآيبون، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، أعدوا آلة الجهاد وجاهدوا، وإن استنفرتم إلى الجلاد فجالدوا، وإن دعيتم إلى السعادة فساعدوا، وقاربوا في طاعة إمامكم وباعدوا، ووالوا وعادوا، وسالموا وعاندوا، واعلموا أنكم بعين الله ومع عترة رسول الله ﷺ وارعوا في حق قرابته ما أهمل الناس، واحفظوا ما ضيعوا، ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾[النحل:٩١]، واجعلوا الجهاد إلى فوز المعاد سبيلا، لِتَرِدُوا من لديه وِرْداً سلسبيلا، وتشفوا المؤمنين غليلا، وتبرؤوا من الإسلام عليلا، وتفيئوا ظلاً ظليلا، وتجتنوا من بركه مرعا وبيلا، فإن يوم التغابن أمامكم، فلا تملك الغفلة زمامكم، وانظروا أمامكم، وانشروا أعلامكم، وأرسخوا في الإيمان أقدامكم، فإن الشيطان قد يئس منكم في معالم العصيان، ولم يبق طمعه إلا في ملتبساته، فتبينوا، ثبت الله قلوبكم وأقدامكم في بحبوحة الإيمان، وأعاذكم من الشيطان، وأحلكم دار الرضوان، والسلام عليكم.

[كتابه عليه السلام إلى بني حبيش أيضاً]

وكتب عليه السلام إلى بني حبيش أيضاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق إلى سبيل الرشاد، وحسن الاستعداد ليوم المعاد، أما بعد:

فإنكم معشر الأولياء أول من أخمد نار الضلالة، وفقأ عين الفتنة، وقص جناح الظلم، واستضاء بنور الهداية، وجبى الأموال ووفرها، وأدى الأمانة وحصلها، وسفك دماء المفسدين، وهزم جنود المعتدين في الأرض اليمانية، في هذه الدولة النبوية الإمامية، والدعوة المباركة المنصورية، زادها الله على مرور الأيام جلالا، وجعل هضابها جبالا، ووهادها قلالا، وجزاكم أفضل ما جزى من سمع الواعية، وأجاب الداعية، إنه سميع مجيب.

وقد رأيتم استمرار هذه الدولة، وقد استطلنا مدة أيامها، وشكرنا الله على دوامها، ورجونا منه تمامها، هذا وقد حكم في كل عام من نوابها وشرفها المعلاّ، وطرفكم المحلى المجلاّ، والثناء عليكم في المحافل والمشاهد، والنوادي والمساجد، والأعمال بخواتمها، فلم تصبح اليوم عصابة فيما نعلم تحت أديم السماء أرضى لله سبحانه من عصابتكم، ولا راية تخفق على جماعة أهدى من جماعتكم، إلا على من كان على مثل حالتكم، وأين هو ومن هو فالله المستعان، وهذا مقام كريم يفتقر إلى الحراسة والصبر على الاستمرار، فلا تنسوا أساس أمركم فهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأبدؤوا بأنفسكم فأصلحوها وأنفذوا أمر الله فيها، أجروا حكمه عليها ليصلح الناس لكم، واقتدوا بالصالحين فهم القدوة، ولا تلبسوا بالطالحين فليسوا في الخطأ أسوة، وقوموا بما أمرتم به، واتركوا ما نهيتم عنه أشد القيام تدخلوا الجنة بسلام، وأعدوا لعدوكم امتثالاً لأمر

ربكم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم، وجددوا معالم دينكم، وشرع نبيكم ﷺ فإن منهاج الحق واضح، وبرهانه لائح، ولم يبتل إمامكم بمثل ما ابتلي به من كان قبله من آبائه عليهم السلام من التخلية، ولا بليتم معشر الأولياء بما ابتلي به أتباعهم رضوان الله عليهم في النفوس والأموال من عظم المرزية، فاحملوا ما حملتم، ولا تعجزوا أنفسكم عما كلفتم، واستعينوا خالقكم.

واعلموا أن من ظاهرتم إليه لا يخذلكم ولا يضيعكم، وكونوا لله تعالى يكن لكم، ولا تنسوا نعمه فهي أعظم من شكركم، ولا تغالطوا أنفسكم فإن النقاد بصير، والمعامل لطيف خبير، واصدقوا وجدوا فإنا نرجوا أن يجعلكم الله تعالى لممالك الدنيا حائزين، وفي الآخرة من الفائزين، فإن أفضل البشر الشفيع في المحشر صلى الله عليه وعلى آله الطيبين أقام ثلاث عشرة سنة في دار المشركين لا يملك من الأمر شيئاً، فأظهر الله دينه على كل دين، وعلم المستهزئون بنبأ أمره بعد حين، فأبشروا معشر المؤمنين بما بشركم به رب العالمين من أن العاقبة للمتقين.

[كتابه عليه السلام إلى العطيف][1]

وكتب عليه السلام إلى العطيف وكان قد أخذ جماعة من العسكر وخيلهم مرجعهم من وقعة المهجم، فرد الخيل وبعض القماش:

اعلم أن العسكر بنوا على أصل صحيح قررناه عندهم، وهو أن الأمر بيننا وبينك واحد، وأنهم لا يخشون من جهتك، ولو خافوا ما افترقوا، وكنت أسعد الناس بالمسالمة لهم، لكنهم جاءوا كالغائب يأتي أهله، وقد علمنا أن كتبك تأتي بالغلاط الذي لا يغبى على عوام الناس، فإن كان الطمع قد غلب على العقل فالأمر لله سبحانه وهو أمر لقياه عاجلاً إن لم تخرج نفسك معه، لا

---

(١) العطيف بن موفق، كان قائداً أو شيخاً لأهل الذنائب، وهي بلدة في أسفل جبل ملحان، كان محباً للإمام وفي طاعته مجتهداً في إصلاح بلده، كاتب أصحاب الإمام سنة ٥٩٨هـ ....تهامة واستأذن الإمام في صلح مع سنقر الذي داهمه في جند كثير، قال صاحب السيرة: وبعد ذلك صار من أشد الناس عداوة. انظر السيرة المنصورية ١/ ٤٠٨،٩٣، ٢/ ٥١٦.

تستثني إلا مشيئة الله وعونه، فلا تغترر وتقبل رأي من إذا بلغ السيل الزبى والحزام الطُبْيَين[1] قلت: يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلا.

واعلم أن الشرفاء لو أشعروا نفوسهم الحادث في جهتك لأخذوا من بلادك أضعاف ما أخذوا من تهامة.

وإن داريت السلطان فهو عذرك ولا يرضى عذرك، وكأنك أنسيت كتابك على يد الشريف حسين بن الحسن وما فيه من ذكر الأيمان والتمسك بحبل الإيمان وطاعة إمام الزمان، وذكر الثلاث المائة المد التي عندك للسلطان، وأنه إن سبق عسكرنا كانت لك عوناً منا.

واعلم أنا إلى الآن نريد لك السلامة وأن تكون في الجملة، وإنا قد عفونا عن القتل لمن أقبل إلى الطاعة.

واعلم أن جنود الحق ما لها شغل إلا التأهب للشرف والعرب حتى يكون الدين كله لله.

وأما قولك: إنهم أتوا على غرة، فهم جاءوا وهم صديق فما ظنك لو جاءوا وهم عدو كيف كانت الحال، فإن قلت: أنا أحترس فما مكنت لأحد فرصة وهو يظن أنه لو تأمنها، واليوم موضع الرأي وغداً موضع الأسف، وأنت مظنة العقل والتجربة، ولو كان غيرك ما أجري إليه بالقلم خطفة.

واعلم أن وردسار عول في مكاتبة السلطان وضمن رد الجواب بكل سار فما أسعدناه لا استصغاراً لحقه ولا تكبراً، فنحن نكتب إلى صغار الناس، ولكن علمنا أن حوله حواشي لا تريد صلاح الأمة وهي الغالبة عليه، وليست الزلة الأولى إنما الزلة التمادي ولا حسام إلا له نَبْوَة، ولا جواد إلا له كَبْوَة، فلا تحسب ما صار إليك بالكسب احسب ما يضيع عليك بالحرب، والانتقال من كرب إلى كرب، وما علمنا في كتب آبائنا وسيرتهم أن أحداً منكم نال ملكاً إلا وكانوا له فئة ومفزعاً كما تعلم من حال جياش وسواه، فإنه قال: والله لو أنها لقمة لأخرجتها من فمي

---

(١) يضرب مثلاً للأمر يتفاقم أو يتجاوز الحد حتى لا يتلافى.

لقاسم بن جعفر، وكان يأمر إلى شهارة[1] في كل شهر بألف دينار والحال دون ما هو اليوم، ولو ذكرنا لطال الشرح.

فانظر نظراً تحمد عاقبته، فإنك تنال بأيدينا شرف الدنيا وثواب الآخرة، وتأتيك الأمور كما تريد، وما بقينا نترك البلاد إن شاء الله لأنا طلاب الثأر لدين الله.

ونحن من القوم الذين يزيدهم

قسواً وبأساً شدة الحدثانِ

وكان الصواب لو مر بك العسكر مكسوراً لكنت تركت ويجمل وهذا لا ينكر، كيف والحال بحمد الله جميل، وليس للعدو بلطف الله إلى الانتصار سبيل؟!

[كتابه عليه السلام إلى سنقر جواباً على كتاب أتاه منه]

وكتب عليه السلام جواباً عن كتاب أتى إليه من سنقر عقيب أخذ بيت مساك:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على رسوله محمد وآله

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك التوفيق لما يحب ويرضى، أما بعد:

فإن كتابك وصل إلينا ثالث عيد النحر المطهر والحج الأكبر عرف الله المسلمين بركته، وأحسن خلافته، وفهمنا ما فيه، وأجبنا عنه، وبقيت أشياء أحببنا إفرادها بالذكر لتدبر معانيها،

---

(١) شهارة: مدينة شهيرة أول من بناها الإمام ذو الشرفين محمد بن جعفر وبها قبره، وقد اتخذها الإمام القاسم بن محمد عليه السلام عاصمة له في القرن الحادي عشر الهجري وانتصر فيها على العثمانيين وكذلك ولده الإمام المؤيد محمد بن القاسم عليه السلام، وهي اليوم من أعمال محافظة عمران.

وتنعم النظر الزاكي فيها موفقاً إن شاء الله تعالى وجملتها ذكر التفصيل على أي وجه يقرر قواعد الصلح، وحسم مواد الشر، وذكرت ثلاثة أوجه ثالثها ليس من قبيل الوجهين الأولين، ولكن أحببنا ذكره.

قلتَ: إما أن يقع الوقوف على أمر معين لا يتعدى إلى سواه، وإما أن نريد تجاوزه والاتساع في البلاد لأنك لا تهملها ولا بد من شرائط، وإما على غلاط إلى إمكان فرصة فهذا لا يحسن، هذا زبدة ما ذكرته.

والجواب عن ذلك وبالله التوفيق: إنك تدعي ملك البلاد قدرة، ونحن ندعي ملكها حكماً من الله سبحانه، وبرهان دعواك مشاهد لا تفتقر إلى نظر؛ لأنه جنود ظاهرة وأموال وافرة.

وبرهان دعوانا تفتقر إلى النظر، والنظر فيه مَدارُه على أهل العلم والدين، فأما في جهتنا هذه والحجاز ومن ينتسب إلى التحقيق في جميع آفاق البلدان الذين بلغت إليهم دعوتنا فما بقي عالم رباني إلا اعتقد إمامتنا، وانقاد لطاعتنا رغباً لا رهباً، وأكثر من في أرضنا هذه ديناً وعلماً الأميران الأجلان شيخا آل الرسول، وحجتا ذوي العقول، العالمان، العاملان: يحيى ومحمد ابنا أحمد بن يحيى بن الهادي إلى الحق عليهم السلام فهما اليوم يتصرفان بحسب الأوامر والنواهي في كل حلو ومر خوفاً من الله رب العالمين، وقد كانت ملوك اليمن وشيوخها وعلماؤها وعبادها بذلت للأمير الكبير الأوحد يحيى بن أحمد النفوس والأموال والحصون على أن يقوم فيها ويكون إماما لها فناظر نفسه، فلما وجد الرخصة له في الوقوف لم يساعدهم إلى ذلك، وقد كان لما دعوناه حاول إسقاط أمر الإمامة بكل وجه يخلص عند الله سبحانه فلم يجد إلى ذلك سبيلاً، فسلم لأمر الله تعالى، وانقاد لحكمه، وبالغ في النصيحة، وتابعه على ذلك فضلاء العترة، وعلماء الأمة، ولم يكن لحاضر أن يرجع، ولا لغائب أن يحاد، بل شمل الفرض الكافة شمول الليل والنهار، ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، فهذا كما ترى، وأخرى إن شئت جعلناها لك وهي لا تدع لمعتذر عند الله عذرا وهي أن تجمع كل فقيه وعالم في أرض اليمن حنفي ومالكي وشافعي وحنبلي، ثم تسلمون الأمر لعشرة رجال من أعلمهم أو أكثر أو أقل، ثم توجههم إلينا للمراجعة في هذا الأمر، فإن لزمتهم لله سبحانه الحجة في إمامتنا وقامت في وجوب اتباعنا التزمته وسبقت

الملوك كلهم إلينا، وكان لك ملك الدنيا بين أقطارها ملكا حلالاً وملكا في الآخرة، وإن وجدوا حجة تسقط إمامتنا وتقضي بوجوب هذا الأمر لغيرنا سقط فرض إمامتنا عن الجميع، وعلمت أن أمرنا من جنس أمر المتغالبين على الدنيا الطالبين لحطامها، وشمرت في حربنا بجد واجتهاد وأنت على يقين من أمرك، فإنا قد روينا عن النبي ﷺ أنه قال:«من حاربني في المرة الأولى وحارب أهل بيتي في المرة الثانية كان من شيعة الدجال»، ولا نجاة من هذا إلا بهذا، فلا تضيع عقلك وتهمل من رحمة الله تعالى نصيبك، فقد ذكر لنا القاضي الكيلي أنك قلت: لو أن الإمام من مكة أو من المدينة أدام الله جلالهما على مرور الأيام لجاهدت بين يديه بجندي ومالي، ولكنه أتى من وَرْوَرْ ولغيرك الجهل، ليس ورور بأم ولا أب إنما هو بلد رأى الإمام سكناها لغرض فسكنها، فإن شئت معرفة جملة من نسبه فها هو نذكرها، فاسأل عن صحتها علماء الأنساب نحوك وأهل المشجرات والتأريخات.

وهذا قوله: أنا عبد الله الإمام ابن حمزة الجواد ابن سليمان البر التقي ابن حمزة النجيب ابن علي العالم الزاهد ابن حمزة النفس الزكية ابن أبي هاشم الحسن الإمام القائم بأمر الله ابن عبد الرحمن الفاضل ابن يحيى نجم آل رسول الله ابن عبد الله العالم ابن الحسين الحافظ ابن القاسم ترجمان الدين ابن إبراهيم الغمر ابن إسماعيل الديباج ابن إبراهيم الشبه ابن الحسن الرضا ابن الحسن السبط ابن علي الوصي ابن أبي طالب عليهم السلام فالحسن بن رسول الله أبي لقول النبي ﷺ: «كل بني أنثى ينتسبون إلى أبيهم إلا الحسن والحسين فهما ابناي وأنا أبوهما»، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ أمي والحسين سيد شباب أهل الجنة عمي، والفواطم في الإسلام والعواتق في الجاهلية مجتمعات في نسبي.

وشرح هذا يطول وله فروع وأصول نذكر منه طرفاً ليكون دليلاً على ما سواه، والقليل يدل على الكثير، وضوء البارق يشير بالنوء المطير.

فاطمة بنت الحسين أم جدي إبراهيم بن الحسن، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ أم جدي الحسن بن علي عليهم السلام وفاطمة بنت أسد الشريفة المكرمة التي كبر عليها النبي ﷺ أربعين تكبيرة لأربعين صفاً من الملائكة عند موتها في حديث طويل أم جدي علي بن أبي طالب، وخديجة

الكبرى أم جدتي فاطمة بنت رسول الله ﷺ وجدة أبي فاطمة بنت الحسين جدة جدي إبراهيم بن الحسن، وجعفر الطيار وحمزة أسد الله على المشركين والفجار سلفي، فأي شرف يعدل شرفي أو نصاب إمامه يساوي نصابي؟! ونزيدك يقيناً إن كنت من المتوسمين أن الله سبحانه لو بعث نبيه اليوم فهو على ما يشاء قدير لحل لابنتي الخروج إليه والمشاهدة له وحل له مثل ذلك منها، وحرم عليه نكاحها بالحكم المشروع على يديه صلى الله وملائكته عليه وعلى الطيبين بخلاف ذلك القاعد ببغداد لو بعث الله نبيه لحرم عليه النظر إلى ابنته وحل له نكاحها، فأي قرابة في دعوى الخلافة تراها أقرب من هذه القرابة؟ وأي حجة أظهر من هذه الحجة؟! ومما نعجبك به في أثناء حوادث الدهر تصاريف العجب أن رجلاً وصل إلينا في هذا العام وهو ممن يعتقد فضل ابن عمنا صاحب بغداد ويدين بصحة إمامته يحكي على وجه البشارة أن الخليفة قد تاب من شرب الخمر!! فإنا لله وإنا إليه راجعون كيف يجوز مثل هذا على أهل العقول السليمة؟! وأنا أقسم لك يميناً كنت عنها غنياً لو خفت الحنث فيها ما رأيت الخمر من يوم عقلت الدنيا إلى يوم كسرناها في صنعاء، وإني لكما قلت في بعض أشعاري:

لا أعـرف الخمـر إلا يـوم أهرقهـا
ولا الفـواحش إلا حـين أنفيهـا

فإن أردت النظر لنفسك فانظر، وإن أردت غلاطها فكأنك بما أنت فيه قد زال فكأنه ما كان إما باستلاب وأنت حي فيكون عليك حسرة، وإما بقتل أو موت فيكون أسفاً وندامة تذهب لذته وتبقى تبعته، فالمغرور من غر نفسه، والجاهل من جهل سبل نجاته، ونحن ندعوك إلى طاعة لله وطاعتنا والالتزام بأمرنا انقياداً لأمر الله لا خوفاً من سطوتنا، فأنت ممن في عنقه بيعتنا ولا تقل: كيف أطيع من لا قدرة له عليّ؟ فإنما الطاعة على الحقيقة هذه، وأما طاعة المخافة فتلك طاعة العبيد والأشرار ولا فضل لمن دخل فيها، ولو كان الإمام وحيداً والأرض كلها لك جنوداً وأطعته كان أرفع لك ذكراً، وأعظم عند الله أجرا، ولو لم يطع الإمام إلا من قدر عليه لما أطاعت بنو حسن بالحجاز واليمن ولا أطاع أهل حلي وبنو حبيش؛ لأن أكثر أهل هذه البلدان ما رأى الإمام ولا رآه الإمام ولا أطاع من جاءنا علم طاعته بخراسان والجيل وديلمان.

واعلم أن اليوم من الملوك من تأتينا مطالعته يعرض علينا ما نحن نطلب منك، فإن كان ذلك لأنه بعيد عنا فقد كان أزهد الناس في رسول الله ﷺ من عاشره وناظره وجاوره وحاوره، بل من قاربه في نسبه وداره كان أشد الناس له عداوة، فلنا فيه أسوة حسنة ﷺ وقدوة مستحسنة، وقد حضرتنا وشاهدتنا، فلم نظن أنك عاينت ما يوجب الزهد في أمرنا.

واعلم أن الداعي إلى الله عز وجل بشر مثل المدعو إليه يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق كما حكى سبحانه في كتابه، وقد حكم سبحانه على المكذبين إن أنتم إلا بشر مثلنا ولم تقع مناكرة في صورة المماثلة ولا فرق إلا فيما خص الله به الهداة من فضلة الاختصاص ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[الحديد: ٢١].

واعلم أنك إن قبلت ما سألتك لم يبق سهل ولا جبل في أرض الحجاز واليمن إن شاء الله تعالى إلا يجبى إليك ماله، وتطيعك رجاله، ولا يبقى الحديث إلا في الشام والعراق، فما به بلدة إلا وفيها داع ومستجيب، ولا تستبعد هذه الأمور فما أراد الله سبحانه قرب بعيده، وألان شديده، وقامت شهوده، فهذه الأولى وهي بك وبأهل العقول أولى.

وأما الثانية إن كرهت هذه بعد ظهور دليلها، ووضوح سبيلها ولم تقع مساعدة إلا إلى الهدنة، فها نحن ذاكرون لشروطها من قبلنا، من ذلك:

أن ترى لأهل هذا البيت حرمة الكرامة من رسول الله ﷺ ولحريمهم، وتجعل لهم مزية على غيرهم، ولا تسلط عليهم من لا يرجوهم ولا يرحمهم ممن قد لهج بالجمع والادخار، وضم الدرهم إلى الدرهم والدينار إلى الدينار، فديناره أحب إليه من دينه لو نازعه النبي ﷺ على اليسير من حطام الدنيا لضاربه دونه، فهذا وجه.

والثاني: أن كل بلد في أيدينا قبل انعقاد الهدنة لا تعارضنا فيها، وكل بلد خلفنا لنا فتحها، وكل من كان منا قبل انعقاد الهدنة تأتينا الحقوق من قبله ويمتثل أوامرنا بالكتاب والرسول فهو داخل في أمرنا، وما كان سوى ذلك كان إليك وكان أهل الإسلام يداً واحدة على من سواهم أقصاهم وأدناهم، فأنت تعلم أنا ندعوا كل يوم جمعة لخاصة المسلمين وعامتهم في الثغور والجبال

والبحار، وحّدنا ريدة وما هنالك بحر يدعو لصاحب حربه، وإنما ندعوا لك ولأهل البر والبحر من المسلمين، ولا يدخل في خاطرك أنا نريد شر الأجل الحرب والمنازعة، وما مرادنا إلا أن يهديك الله سبحانه إلى سبيل السلامة، ودار الكرامة، وأن تكون سلطاناً للمسلمين عامة، فنحن ندعوا بظهور سلطان الحق والله قريب مجيب، ولكنا ما نعلم ممن يقرب منك ويختص بك من يظهر في أمرنا كلمة إما كراهةً لنا أو بغضة، وإما احتراساً منك وخيفة، فلا تجعل بيننا وبينك فيما قلنا لك وعرضنا عليك وسألناك إلا عقلك وصالحي أصحابك، وميز ملتبسات الأمور بلبك، فإنه برهان الله عليك وحجته عندك.

وأما ما ذكرت من الحروب وتقايضنا فيها، وما لحق أصحابنا بحرض والمهجم فلم نجب مناقضة لك في جواب الكتاب، بل أظهرنا أن كل ما قلت هو الصواب، فأنت لا تقول إلا ما يقوله العساكر، وما عسى أن يكون كلامهم إلا ما سمعت وأنت فخذ كلامي: كم ما تباعد الناس تقاربوا إلا ما يفعله الله سبحانه من صلاح المسلمين وحقن دمائهم.

واعلم أنهم لو صادفوا دون المهجم ثلاثمائة فارس أو دون ذلك مصحرين لا يلوذون بشجر ولا مدر لافترسوها وغنموا خيلها وسلاحها، وما كان ينجو إلا من سبق لا نستثني في ذلك إلا مشيئة الله وعونه، وما قلنا إلا ما تغلب في ظننا صحته والله على ما نقول وكيل.

واعلم أن رجوع العسكر من حرض ما كان من جبن، ولكن لأمور لا نشتهي ظهورها، فإن كانت قد جاءتك فهو ذلك وإن لم تأتك وجمع الله على طاعته شملنا ذكرناها لك وعلمت صحتها، ولو ضربوا في اليمن ما لقيتهم دون زبيد من يقوم لهم.

فأما الشام فلم يكن لهم في نية؛ لأن يكتم لم يكن قد بدا منه في حق حريم آل رسول الله ﷺ إلا خير وما يمنع اليوم من خيل الحق إلا جماهير العساكر، وجموع الجنود، فأما الدور والقرى فهم كما تعلم قوم عرب لا آلة معهم للحرب والحصون، فمن قال لك غير ذلك فلا تصدقه.

واعلم أن رسول الله ﷺ حارب الطائف، فلما اعتصموا منه بالجدار لم يتمكن منهم حتى لحقوه إلى المدينة وأسلموا بعد ذلك بشهور، وقد مر برجل من ثقيف في دار له في حائط، فحمته

داره من جند رسول الله ﷺ فأمر بقطع نخيله، وهذا أمر عرض ولم يكن لنا في غرض.

فأما المراد فأن يكون جند المسلمين واحداً ويدهم واحدة، فلا يظن عند اتفاق الكلمة بقاء بادية ولا حاضرة ولا سهل ولا جبل يمتنع بإذن الله عز وجل.

فانظر في هذا الأمر نظراً مخلصاً في دار الدنيا اليوم وعند الله غداً، ولا توسع لأحد في الكلام القبيح إن ظهر منه أنكرته وأنلت صاحبه عقوبة.

واعلم أن أكثر العرب والعجم لا تشتهي بيننا وبينك عافية، أما العجم فللجامكية والاقطاع[1]، وأما العرب فلأن يخرجوا في الوسط من مطالب الجهتين ومن كان منهم باغضا يدنون مع إحدى الطائفتين، وليس لمن مال إلى أهل الدين رغبة في الدين، ولا لمن مال إلى جنبة الملك محبة للملك وإنما غرضه التافه اليسير، ولا ينظر إلى دين ولا دنيا، وكل منا ومنك يزكي نفسه إلى أن نرجع إلى المناصحة وعرف كل إنسان خلل جنبته، والصواب الاجتهاد في صلاح الإسلام العام وتسكين قلوب نافر هذه الأمة بما يرضي الله سبحانه.

وقد بلغنا أن المعاصي والمنكرات كثرت في أكثر الجهات، فإن رأيت تمام العدل بزوالها فلك في ذلك الحظ الأسنى والقدح المعلا وأنت به أسعد، وعاقبته لك أحمد، فافعل في ذلك ما أراك الله عز وجل، فقد نافست في أمر الدنيا حتى بلغت أعلاها، فواثب مراتب الدين حتى تحوز أسناها، فمن قدر على الكمال وقصر فهو العاجز.

واعلم أنا نكتب إليك كتاب الإدلال والاسترسال جرياً على مقتضى حكم المحبة وسالف قديم الصحبة:

إن المعارف في أهل النهى ذمم

وما بقينا نخبرك بكل ما نعيب من الناس؛ لأن كل من حققنا لك خبثه وبغضته صافيته ونفعته وقويت خبره، وعلم الله لئن قبلناه لأبعد منا، ولكن معاذ الله أن نتخذ الظالمين عضدا، فإن جمع

---

(١) الجامكية: المرتبات.

الله الشمل وأصلح الأمور أخبرناك بعجائب تضحك منها العجائب، وقوانين اليمن ثلاثة أعمال، وأموالها معلومة منها عملان معطلان للتشاجر والثالث لاحق بهما.

لما رأت أختها بالأمس قد خربت
كان الخراب لها أعدى من الجرب

وقد طولنا حتى لم يبق شك عند من ينظر بعين التوفيق ويميز بعين التحقيق، أن ذلك لأمر يخصنا أو فادح قد كربنا والله يعلم أن ذلك لغير ذلك، والسلام.

[كتابه عليه السلام في آخر كتاب جواباً عن كتاب أتاه من سنقر وقد بلغه قتل بشر بن علي الذعفاني]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب جواباً عن كتاب أتاه من سنقر وقد بلغه قتل بشر بن علي الذعفاني وكان عنده بمنزلة وفي كتابه قساوة وغلظة، فكتب في آخر الجواب كلاماً هذه نسخته:

أما ما ذكرت من إطباق الأكثر من الأمة على خلاف ما نحن عليه في جميع ممالك الدنيا فالأمر كما ذكرت، ولكن إجماع الأكثر على خلاف قولنا لا يكون حجة، بل لو جعل إجماع الأكثر دلالة للخطأ لكان ذلك بالصواب أولى، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿**وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾[المؤمنون:٧٠]، وقوله: ﴿**وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ**﴾[الأعراف:١٠٢]، وقوله: ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾[يوسف:١٠٣]، وقال في الأقلين: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[سبأ:١٣]، وقال: ﴿**وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾[هود:٤٠]، وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ**﴾[النساء:٦٦]، وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام في مثل ذلك اقتداء بذلك وقد سأله الحارث بن حوط فقال: يا أمير المؤمنين، أترى أن أهل الشام مع كثرتهم على الباطل وأن أهل العراق مع قلتهم على الحق؟ فقال: يا حار، إنه لملبوس عليك، الحق لا

يعرف بالرجال وإنما الرجال يعرفون بالحق، فاعرف الحق تعرف أهله قلوا أم كثروا، واعرف الباطل تعرف أهله قلوا أم كثروا).

وسئل عليه السلام عن السنة والبدعة، والجماعة والفرقة؟ فقال عليه السلام: (السنة والله ما كان عليه محمد ﷺ والبدعة والله ما خالفها، والجماعة والله أهل الحق وإن قلوا، والفرقة والله أهل الباطل وإن كثروا)، وما به مملكة من الممالك إلا ولنا فيها أتباع وأشياع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقضون بالحق وبه يعدلون، فأمرنا والحال هذه لا يكون بدعة، ودعاؤنا إلى الله عز وجل لا يكون بغيا إلا عند الذين زعموا أن الحسين بن علي خارجي، وأن يزيد بن معاوية لعنه الله إمام هدى، وحاشى لعقلك وألمعيتك أن يجوز عليك مثل هذا.

وأما ما ذكرت من فقهاء الأمصار وأنهم على غير رأينا فإن أئمة جمهورهم مالك وأبو حنيفة والشافعي وابن حنبل رحمة الله عليهم وعلى من تبع منهاجهم قولاً وفعلاً، فاعلم أن كل واحد من هؤلاء سلم الأمر لصاحب عصره من آبائنا عليهم السلام وسمح بالبيعة، ودعا الناس إليه، وأفتاهم بوجوب اتباعه، ولزوم طاعته، وخلع طاعة صاحب الأقطار والممالك في عصره، وأبو حنيفة مات في حقنا مسموماً، والشافعي مقيداً مظلوماً، ومالك هارب إلى أرض المغرب وما لو ذكرناه لطال الشرح وهو ظاهر مشهور، لا ينكره إلا الشقي المثبور، وأنت الذي أطمعنا في نفسك بحسن سيرتك، وظهور عدلك، وكمال عقلك، فظننا أنك تتولى النظر لنفسك بنفسك، ولا تعطي زمامك من يعبد بطنه، ويتخذ إلهه هواه، وهو كل على مولاه، يطلب الدنيا بالدين، ويلبس للناس جلد الضأن من اللين، لسانه أحلى من السكر، وقلبه قلب الذئب الأغبر، يأمر بالمعروف ولا يعرف المعروف، وينهى عن المنكر ولا يعرف المنكر، فقد تردد بين العرفان والإنكار، فهو من أمره على شفا جرفٍ هار.

وأما ما ذكرت من أن صاحب بغداد شريف البيت، رفيع الصوت، أمرك بحربنا، فذلك لا يبعد من مثله وهي فينا طريقة لأن آباءنا عليهم السلام في فورة دولتهم، وعنفوان سلطانهم تشتتوا تحت كل كوكب، وبدلوا أسماءهم وأنسابهم، وكانوا منهم بين طريد وشريد، وقتيل وأسير، حبسوهم في المطامير المظلمة، والسجون المؤلمة، ففي بعض الحالات لم يعرفوا ليلاً ولا

نهارا، إلا بقراءة أجزاء القرآن، فما زالوا كذلك حتى ماتوا مظلـومين، وفـارقوا الـدنيا مغمـومين، فرحمة الله على أرواحهم في الأرواح، وعلى أجسامهم في الأجسام، وعليهم من الله أفضل الـصلاة والسلام.

وقد روينا بالإسناد الموثوق به عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ مـن قبـل العرش: ألا لا يجوزن أحـد إلا بجـواز، فيقـال: ومـا ذلـك الجـواز؟ فيقـال: حـب أهـل البيـت المستضعفين في الأرض، المغلوبين على حقهم، فمن لقيني بحـبهم أسـكنته جنتـي، ومـن لقينـي ببغضهم أسكنته مع أهل النفاق»، فإذا أمرك صاحب بغداد بحربنا فاعلم أنه لا يغني عنك من الله شيئا، فاذكر مقامك بـين يـدي الله غـداً ومـا أعـددت للخـصام إذا جاءك محمـد عليـه أفـضل الصلاة والسلام في حربنا وقلت: حاربتهم لأنهم دعوني إلى أمر لم يجر لمثلي به عـادة، ولا ظهـرت لهم عليّ قدرة، وكنت في طاعة من هو أقدر منهم وأكثر أتباعاً، ومن اسـمه وأمـره أكـبر في أقطـار الدنيا، بل لو قلنا كلها إلا القليل اليسير لكان غير بعيد، فالنظر في مثل هـذا صـعب جـداً فتأملـه أفضل تأمل فإن أكثر الأعـذار لا تقبـل عنـد الله غـداً، ولا تيـأس أن يعمـر الله قلبـك بـالتقوى، ويوفقك للنظر بعين الهدى، ونحن نسألك بحق الله عليك وإحسانه إليك، فحقه عليـك عظـيم، وإحسانه لديك جسيم أن تبحث أهل الثقة والأمانة والستر والصيانة عن حـال صـاحبك الـذي أمرك بحربنا وعدله وسيرته وهديه وعلمه وورعه وحال المستقرين في دار هجرته ومستقر مملكته وجميع أسبابه فإن علمت خيراً فكيدون جميعاً ثم لا تنظرون، وإن علمت غير ذلك فأنت بلا شك تعلمه نعشت ضعفنا بقوتك، وغلظت قلبنا بكثرتك، وعملت ما يخلصك عنـد ربـك، ونـصرت عترة نبيك ﷺ الذين هم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء.

وأما الشرفاء الذين ذكرتهم في بلاد الأعاجم وسائر الممالك وما فيهم من الفضل والخـير فهـم أهل لذلك، ولو تعين عليهم فـرض القيـام لقـاموا، وإن أكثـر القـائمين عـلى الـدولتين الأمويـة والعباسية، وما العباسية بأخفهما علينا ثقلاً ولا أقلهما لنا قلاً، إنما قاموا في بلاد الأعاجم ولو شئنا تفصيل ذكرهم بأسمائهم وألقابهم وأنسابهم وأصحابهم لفعلنا، ولكن يطول الشرح، وقد صـنف

العلماء في ذلك كتبا مجردة، منها كتاب (مقاتل الطالبيين)[1] علموا وجوب القيام عليهم فقاموا، وعلموا أنهم يقتلون فصبروا، اجتمع عليهم من ذكرت من دهماء الناس من جميع الأمصار فغلبوهم وقتلوهم فما نقصهم ذلك شيئاً عند الله سبحانه، بل اجتمع القاتل والمقتول عند الحكم العدل وشيكا، فجزى الذين أساءوا بما عملوا وجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

وأما ما ذكرت من أنا إن ذكرنا هذا الباب أتى من جهتك ما يكون شيئاً لضيق الصدر وشعل الشر وما لذلك قصدنا ولا إياه أردنا، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود:٨٨]، ولو أردنا هذا ففي الناحية من يحسن السب والأذى نظماً ونثراً، ولكن لا سبيل إلى ذلك ولا تسمع مكروهاً من جهتنا إن شاء الله تعالى وما قلنا ما قلنا إلا محبة ورغبة في أن يكمل الله سبحانه بنصر عترة نبيه أمرك، ويعلي بطاعتهم ذكرك.

واعلم هداك الله وأرشدك أن شرب الخمر والمعاصي التي نهى عنها الحكيم سبحانه لا يجوز فعلها لأحد من المسلمين، ومن حسّنها ممن يدعي العلم والدين ورخص فيها وقال لا ضير في ركوبها فهو من علماء السوء الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وآله بأن أهل النار يتأذون من نتن رائحتهم في النار، فنعوذ بالله من شرهم لنا ولك.

وأما ما ذكرت من أنه إذا تهيأ لنا أن نستزل بعض أهل العقول الناقصة فلا نطمع في أهل العقول الراجحة والله يعلم وكفى به عليماً وشاهداً على ضمائر القلوب مستقيماً ما طمعنا فيك إلا لأنك من أهل العقول الراجحة، بل لاعتقادنا أن أهل العقول الراجحة عليك في العقل عيالا، ولو اعتقدنا نقصاناً في عقلك أو فساداً في ذهنك لما ذكرنا لك من هذا كلمة واحدة، ونحن نشهد لك وإن كرهت الشهادة أنك أعدل وأرحم وأعف وأقل اشتغالاً باللهو والملاهي من أمير المؤمنين الذي صليت عليه في كتابك، وذلك أنه متفرغ في دار مملكته لهذه الأمور، وقد كفى بك وبأمثالك إلا ما كفى الله سبحانه حرب الخوارج عليه بزعمه منا ومن أمثالنا، وهو إمام الهدى

---

(١) كتاب مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني. كتاب نفيس ذكر فيه مآسي عديدة خصوصاً ما لاقوه أهل البيت النبوي من ملاحقة وتشريد وقتل وصلب وغير ذلك. طبع الكتاب مرات عديدة.

كما قلتم، ويكرهنا أن يكون إمام الهدى ينسب إليه مثل ذلك لأنه أخونا في النسب، وشريكنا في الحسب، ونحن وإياه لأم ولأب إلا ما خصنا الله تعالى به من ولادة نبيه بفاطمة عليه وعليها وعلى الطيبين من آله أفضل السلام، ولكن فرض علينا أن نقول الحق كان لنا أو علينا، وأنت رجل لا تقرأ فألزم حتماً واجباً من يقرأ لك كتاب الأغاني، وانظر اختيارات أئمة الحق بزعم الأمة الذين ذكرت كم هي من أنواع الغناء على العيدان والأصوات والملاهي، وكم للرشيد منها، وكم للواثق، وكم لفلان وفلان هذا والعهد قريب، وثوب الإسلام قشيب، وأقربهم إلى النبي ﷺ أفضلهم، كما أن من سبقنا من آبائنا عليهم السلام أفضل منا.

وأما ما ذكرت من أنا نريد انتهاز الفرص ولا نتحرم من انتسب إلى جنبتك، وجعلت دليلك بيت مساك، فإن خطنا عندك شاهد علينا، وهو شاهد لنا لأنا ما قدمناه إلا إجلالاً لك، وذكرنا خطيئة صاحب بيت مساك، وابتداؤه بالشر وجواره للضاعنين الذين أخذوا الغنم من الطاهر وسعايته إلى منتهى قدرته بالفساد علينا، وأنت تعلم أنا قلنا لا بد من مكافأته، هذا ذكرناه في كتابنا أو ما هذا معناه، فتقديمنا للعدد قبل الفعل استعظام لحقك لا استصغاراً.

وأما أن أخذنا لبيت مساك وقتلنا لصاحبه لا ينقصك، فلسنا نريد نقصك ولكن قد غرس بغضنا في قلبك فصعب خروجه، ولعن الله وملائكته والناس أجمعين من يريد نقصك، بل نريد زيادتك ونحن نعني السلطان الملقب سيف الدين سنقر القائم بأعمال اليمن وحرب ثغر الهند والسند سنة خمس وستمائة، وإنما عينّا هذا التعيين لئلا يقول بعض المفسدين تأولنا أو ورينا فيا سبحان الله العظيم، فهذه يمين كبيرة حملنا عليها إرادة قطع الشك باليقين إن كان الشك مما ينقطع، وما فعلنا مع بشر ومع أخيه إلا كما قال أخو همدان:

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم

فهل أنا في هذا يا لهمدان ظالم

وأحسن من هذا ما هو أليق بالتقديم وقول رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأما ما ذكرت أنا نشير في كتابنا أنك على غير طريقة مستقيمة فمعاذ الله أن نقول ذلك جزافاً

أو نقضي به عموماً، بل الأكثر من أفعالك مستقيم، وإنما نقول: إن شرب الخمر من أفعالك غير مستقيم، وكذلك الرضى بظاهر المعاصي في دار مملكتك وأنت قادر على إزالته ولا يرضاه الله سبحانه ولا الصالحون، فأما ما خفي من المعاصي فلا يمكنك الاحتراز منه ولا يمكن سواك، وإن قست نفسك إلى الصالحين فمن تمام الصلاح ما ذكرنا، بل هو تمام الملك والجلال.

وأما ما ذكرت من الأيمان التي بيننا وبين وردسار فكانت على شروط هي عندنا محفوظة، فما نهض ركابك من ريدة حتى نقض ذلك بطلوعه الظاهر، وخراب ما أمكن من القرى والزرايع بعد يمين الشرفاء على ما كان في التذكرة مشروطاً بالوفاء، فإن كان المراد أن يقع الصلاح على أنا نمسك من جهتنا والأيدي علينا مطلقة وصوبت ذلك فالرأي ما رأيته، وإن رأيت التقيد من الجهتين جميعاً فهو الذي نريد.

وأما أن الصلح يقع بأيمان منا فلسنا نستحسن اليمين في مثل هذا، بل اليمين رأساً، ولكن ذمة المسلمين يجب الوفاء بها ومن غدر فارض له بسخط الله تعالى.

وأما الإحالة التي إلى الأشراف باليمين فلم يجعل ذلك إلا لأنهم يباشرون أكثر التصرفات والأمور التي تتعلق بالنقض والوفاء، أردنا الأيمان تكون من قبلهم توكيداً لأن يحفظوا جنبتهم، فإن نقضوا أيمانهم لم يضروا إلا أنفسهم والأحداث لا تضرك ما دام عمود الملك مستقيماً.

وأما يمينك فليس المراد إلا سكون نفوس الدهماء من الناس؛ لأن جانبك يخشى، فإن سمحت بها فبفضلك، وإن عقدت عقداً فهو رضى وتركت الأيمان من الجنبتين جميعاً.

وأما قولك إن من كاتبنا كان من جهتنا فما ذلك قصدنا، ولو كان هذا عم ذلك جميع العرب وكثيراً من العجم الذين في جهتك، وإنما قولنا من جري الصلح ويدنا مستقرة عليه، وأمرنا نافذ فيه، وجملة الأمر أن ما هذه الكتب موضع تفصيل الصلاح وشروطه، ولكن إن كان المراد صلاح الأمة وحقن الدماء كانت ذمة تجري بين الناس مرسلة شهراً أو شهرين أو أقل أو أكثر في عرضها الخطاب، فإن انصرم حال بما يوجب اتفاق الجميع فذلك المراد، وإن تفاقم أمرٌ فالخيرة بيد الله سبحانه.

وأما الذي في ظننا فإن الصلح لا ينتظم إلا أن يشاء الله لا من قبل أنك تكرهه ولكن من جهتك وممن يلوذ بجنبتك ممن يعلم أو يظن أن نعمته لا تدوم له وبضاعته لا تنفق منه إلا باستقامة الحرب بين الطائفتين، فيأتي من طريق بعيد، ويكيد كيداً دقيقاً، ويوهم أن الصواب أن يسومنا ما يعلم باضطرار أنا لا نساعد إليه، فإذا لم نساعد قال: ألم أقل إنهم لا يرغبون في صلاح، ولا يريدون إلا الشر وكذا وكذا ويشفع ذلك بالأيمان الكاذبة، وتهوين الأمور الصعبة، وتقريب الأسباب البعيدة، فإذا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال: إني بريء منك، ومن هلك من الفريقين حمد الله تعالى على هلاكه.

وأما الكتب الواصلة إليك من مكة حرسها الله تعالى من جهة الشام والمادة بالمال والرجال فلا قلة فيها عندك من مال ولا رجال، ولا ذلة في جند ولا سلطان، ولا أمر من قبلنا كارث يوجب ذلك، وليت أن صاحب بغداد مدّ ملوك الشام المحاربين على ثغور الإسلام أعزّ الله جنبتهم، وحمى حوزتهم بالمال والرجال، فكانت تلك الجهة بالمادة أولى، وأنت عارف بالحال كيف هي.

وأما الكتاب إلى الشريف أبي عزيز أعزه الله فلا حقيقة لذلك، لأنه وصل إلينا جماعة من الشرفاء من الحجاز وهذا العام فما رفعوا من هذا الأمر شيئاً، ولكن قد سئل حراب لي فيئس ورفع التأذين بحي على خير العمل فاعتذر بأن أبا قبيس لولده حسن وأمره إليه وأن التأذين بحي على خير العمل أذان رسول الله ﷺ ومذهب ذريته وما ترك إلا في أيام عمر فخاف أن يتثاقل الناس عن الجهاد، وقال لهم: إن الأمة مختلفة في المذاهب، فإن أجمعت هذه الأمة على مذهب واحد رجعنا مع الناس إلى ما أجمعوا عليه، ومما سألوه صلح صاحب المدينة، فأجاب إلى ذلك بشرط تسليم صاحب المدينة لنصف الحاصل إليه؛ لأن ثلثي مال المدينة كان لبني حسن، فلما انفصل بنو حسن عنها جعلوا لصاحبها السدس لمكان إمارته في المدينة وولايته على المال، والكل يسير هين، إنما هي صدقات وأوقاف والحاجة شاملة للفريقين الحسني والحسيني كما قال أبو فراس في قصيدته:

بنو علي رعايا في بلادهم

والأرض تملكها النسوان والخدمُ

وإنما ألجأتهم الضرورة إلى الملاحاة على غير طائل، وذكروا تقدم خادم الشريف أبي عزيز لاستخلاف الحسيني ولا ندري ما يكون، والله تعالى يصلح الأمور، فهذا ما بلغنا، ويمكن أنه تأتي إليك من حقائق الأمور ما لا يبلغنا.

وأما قسمك أنك تكره مضرتنا ولا تتأخر عن مساعدتنا إذا طلبنا الممكن، فاعلم أنا لا نطلب المستحيل.

وأما أنه إذا حدث منا شيء لم يمكن السكوت عليه، فما يحدث بعد الاتفاق إلا كل خير وعافية في الدنيا والآخرة، وليس أحد من العامة يرضى لنفسه التقلب وقلة الوفاء، فكيف نرضاه لنفوسنا، ولكن الأمر كما ذكرنا يواثقنا من يعتدي علينا، فإذا كافأناه على فعله رمى بدائه وزوق نطقه، وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه، ورفع إليك فعلنا وكتم فعله ولم يجعل للحادثة سبباً ولا علة.

[كتابه عليه السلام إلى الفقيه العالم يحيى بن مسلم]

وكتب عليه السلام إلى الفقيه العالم يحيى بن مسلم في آخر كتاب وكان قد بلغه اشتغاله عن التدريس فقال فيه:

فهمنا ما ذكره من أمر المتدرسين، وهو غير ضنين ولا متهم، ولا أجلنا شغله إلا على العوارض التي لا يكاد أحد ينجو منها، فلما عاد كتابه زال ذلك الاعتقاد، وبنينا على الصحة أمره دون الفساد، ولم تكن المبالغة إلا حرصاً على فائدة الطالبي الفائدة قبل محاجزات الأيام، نسأل الله سبحانه كفاية شرها.

فأما ما ذكر من تعليمنا، فإنا ركبنا البحر والريح راكدة، والمطية جامدة، وكانت العوائق فاتحة الثغور، كالحة النيوب، ولا معين إلا توفيق الكريم، وعطف الرحيم، فحمداً لمن ساقنا إلى رياض المعرفة، وأنهلنا من حياض الحقيقة حتى قام عمود الدين لنا وبنا، وثقبت أنوار الهدى في أبصارنا، فعرفنا حقيقة الحق بسلطان مبين، وجزى الله عنا شيخنا خيراً، لقد كان مفتاح كل مقفله، وإقليد كل مشكلة، ورشا كل نطفة بعيدة القرار.

[كتابه عليه السلام إلى أهل وقش]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب إلى أهل وقش يعرض لهم في إقامة الجمعة وكانوا قد قطعوها بعد الإقامة لها فقال:

ما عقدت لنا راية إلا كان النصر لها قريناً، والتوفيق ضمينا، والتأييد صاحباً ومعينـا، وعوائـد الله سبحانه فينا جميلة، وأياديه عندنا جزيلة، وقد وجب على الكافة شكر الله سبحانه فيما فعل لنـا وفينا، وبذلك قام عمود الدين على ساق، وسكنت شقاشق النفاق، وخمدت نيران الفساق، فأصبح رَبْع الدين معمورا، وضده مقهورا، فكلما قال أهل العناد ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾[الحديد:١٣]، ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[الفرقان:٢٣]، وصارت الجمع التي هي أركان الدين في جميع الأعمال الإمامية المنصورية قائمة موفورة محصورة، جوامعها حافلة، وجماعاتها كاملة، ومرابعها آهلة، ولكل نبأ مستقر، ولا بد لكل شجر من ثمر، ونحن في نظم الجيوش المنصورة إن شاء الله، فعند تمامها واستحكام نظامها يكون طلوعها على الضد مثل قيام الساعة، فترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

[كتابه عليه السلام إلى الشرفاء الحرابيين وقد أحاطت بهم ألوف من قبائل خولان]

وكتب عليه السلام في آخر الكتاب إلى الشرفاء الحرابيين وقد أحاطت بهم ألوف من قبائل خولان وأرادوا إهلاكهم وحصروهم من الماء أياماً حتى أشرفوا[1] على التلف فصدقوهم القتال، وقتلوا منهم طائفة:

---

(١) في المخطوط: أسفوا.

اعلموا أن الحادث عليكم من جملة الفتوح لما أظهر الله سبحانه من نجدة أهل هذه البيت وشرفهم وصبرهم، ولو أن جنداً[1] من جنود الضلال وكانت ألف فارس لكانت عليهم الدائرة، فالحمد لله الذي شرف مجدكم، وأسعد جدكم، وبيض الله وجوهكم، فلقد بيضتم وجوهنا بصبركم وفعلكم، وكنتم كما قال الشاعر:

وما يضرك يوم كنت فارسه

وكان غيرك فيه العاجز الصرع

وليس ما ضاع بضائع، ولا هو عند العاذرين بفائت، من وجدناه عقربياً عرقبناه، أو أصرمونا صرمناه، أودهكنا دهكناه، ولا نستثني في ذلك إلا مشيئة الله، وعلم الله لقد غمنا هذا الأمر وسرّنا، أما غمّه لنا فخطره، وأما مسرتنا فبما ظهر من النجدة والجودة، والأفعال المحمودة، بالتوفيقات النبوية، والعزائم الماضية العلوية.

[كتابه عليه السلام إلى السيد أبي عزيز قتادة بن إدريس يحكي جملة من أخبار الغز]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب إلى السيد أبي عزيز قتادة بن إدريس يحكي له جملة من أخبار الغز وخبث أفعالهم وقبضهم لشرائف من بني سليمان رهائن:

واعلم أن قيامنا لحرب القوم لأمور حدثت لا إغضاب عليها، منها أنا حاللناهم بشريفتين بحصن بيت مساك حلال جيرة ومنعة، فلما تمكنوا قبضوا عليهما، ومنها أنهم لما تمكنوا من مخلاف بني سليمان صاروا يأخذون الشرائف رهائن، فلما كان الأمر كذلك لم نر للسلم وجهاً، وإلا فالقوم في قوة عظيمة من الرجال والأموال واتساع الحال، وما نحاربهم إلا بنصر الله عز وجل وقدرته، وهو نعم المعين عليهم، وعلى أجناسهم من الظالمين، وقد علمت بظهور هذه الدعوة

---

(١) في المخطوط: جند.

النبوية، ولزوم فرضها للكافة، والتكليف عليك ألزم منه على غيرك، وقد طال التفريط، والموت لا يؤمن مفاجآته، والدار التي خُلقنا لها أمامنا، ولولا تعين الفرض في جهاد القوم لارتكابهم معاصي الله سبحانه وعداوتهم لعترة رسول الله ﷺ وشدة بغضتهم لهم، واستخفافهم بهم، وانتهاكهم لحرمته ﷺ في حريمه وإن كان سلطانهم هذا من أكبرهم عقلاً، وأمثلهم طريقة، ولكنه لا يوجد معه من يأمره بموالاة أهل البيت، ولا يحضه على إجلالهم، وذلك لفساد اعتقاداتهم، فهم بين رافض وناصب، ومرجٍّ ومحارب، فصار كالبائع لهم، وقد علمت أمر مخلاف بني سليمان وما أصاب حرم رسول الله ﷺ من الاستخفاف والهوان، وقد تعين الفرض في نصرتهم ديناً وحمية، فأما نحن فما بقينا نفكهم من الحراب مستعينين بالله تعالى، فلا تغفل عن الاهتمام في هذا الشأن بالمادة والمحاربة، فهذه أمور لا يسع الغفلة عنها، وقد صار الأمير المؤيد في أيديهم، وقد استولينا على أمرائهم في غير عقد ولا ذمة، آخرهم أسد الذي تولى أعمال صعدة، فنزل على حكمنا في سبعين فارساً بخيلهم وسلاحهم، فآثرنا العفو والمروة على السطوة، وسلمناهم من القتل، فإن صالحونا على فك الأمير المؤيد وخلاص بلاده فربما نساعدهم، وإن تمادوا على الضلالة ولم يكافئوا بالصنيعة حاكمناهم إلى الله تعالى، واستعنا به عليهم وهو خير ناصر ومعين.

[كتابه عليه السلام إلى جده رسول الله صلى الله عليه وآله يشكو إليه جفوة أهل عصره]

وكتب عليه السلام إلى جده رسول الله ﷺ يشكو إليه جفوة أهل عصره وتظاهرهم عليه، ويسأله الشفاعة إلى الله تعالى في نصرته:

بسم الله الرحمن الرحيم

من المملوك الصغير الحقير في جنب حق النبي البشير النذير، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا حجة الله، السلام عليك يا ولي الله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على

محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أما بعد:

يا رسول الله، ويا حبيب الله صلى الله وملائكته وأنبياؤه والصالحون من خلقه عليك صلاة دائمة إلى يوم الدين، فإنا نشكو عليك جفوة هذه الأمة، وتظاهرها علينا بالإثم والعدوان، وجعلها ما منَّ الله تعالى به عليها ببركتك وعزتك وظهور كلمتك وسيلة إلى استئصال شأفة ذريتك، نالوا بأمرك سؤلهم، وخلفوك في ذريتك بئس الخلافة، وكافوك بأقبح المكافاة، فأنكروا حقنا، وصغروا قدرنا، وجحدوا فضلنا، وصرنا فيهم كالغريب الذي ساقته المقادير إلى عدوه من غير عقد ذمة ولا جوار، يا رسول الله، وها نحن شاكون إليك، فاشك لنا إلى ربك ملوك بلادنا هذه وجندهم وضُلاَّلهم: سنقر ووردسار وبكتمر وأجنادهم وإخوانهم وأودادهم والفرق الضالة المعينة لهم من الباطنية والمطرفية وأهل الجبر والتشبيه وضلال هذه الأمة.

اللهم، فاحصهم عددا، وفرقهم بددا، ومزقهم طرائق قددا، ولا ترض عنهم إن لم يتوبوا أبدا، فإنا نسألك يا مقبول الشفاعة الشفاعة، ويا من حصل للخلق به النفاعة النفاعة في أن يرد ربنا الأمر الذي لنا بك إلينا، وأن ينصرنا على من بغى من هؤلاء المذكورين علينا، فإنهم نالوا الملك بك، ثم جعلوه ذريعة إلى استئصال شأفة ذريتك، أنت من لا يرجى بعد الرب إلا هو، ولا يعول بعد الخالق في عظائم الأمور إلا عليه.

اللهم، فصلِّ على محمد وآله ولا تخيب رجاءنا في نبيك صلى الله عليه وعلى آله ولا رجاء نبيك لنا فيك بحقك يا كريم، وصلى الله على محمد وآله.

اللهم، وإن مكنتنا منهم فوفقنا لإقامة الحق فيهم، وجنبنا البغي عليهم بحقك يا عظيم، وصلى الله على محمد وآله.

اللهم، إنا نتشفع إليك بمحمد عبدك ونبيك وخيرتك من خلقك صلى الله وملائكته عليه وعلى الطيبين من آله في أن ترزقنا ذرية طيبة مباركة بحقك يا ذا الجلال والإكرام، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[كتابه عليه السلام ردا على كتاب جاءه من رجل من شيوخ برع]

وجاء كتاب من رجل من شيوخ جبل برع[1] كان قد وصل إلى الإمام عليه السلام يحكي فيه وصول مكاتبات الغز إليه وما وعدوه وأهل بلدته وامتناعه من إجابتهم واستقامته على الطاعة.

فكتب إليه عليه السلام في آخر كتاب كلاما قال فيه:

وأما ما يرومون ويحاولون من إطفاء نور الله بأساطيرهم فالله متم نوره ولو كره الكافرون، وقد فتح الله تعالى لك ونرجو أن يفتح على يديك فتكون من الذين قال تعالى فيهم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة:١٢٢].

وهذه دعوة نبوية قد تعين على الأمة فرضها، ولزم الكافة حقها، دعوة محمد ﷺ حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، إنما هي الدعاء إلى الأمر بالمعروف الأكبر، والنهي عن الفحشاء والمنكر، وإحياء السنة، وإماتة البدعة، وإقامة الحدود، وطاعة المعبود، وبذل المجهود، في جهاد أهل الطغيان والجحود، فمن أعان على ذلك ولو بشطر كلمة كان شريكاً للمستحفظين، وكائناً[2] مع الصادقين.

واعلم أنك أيمن مولود في قومه أن جعلك الله سبحانه سبباً لهدايتهم، ومفتاحاً لباب نجاتهم، وإياك والفتور والسهو عما يلزم التحفظ عنه.

---

(١) بُرع بضم الباء: جبل شامخ شهير بالشرق من مدينة الحديدة بمسافة ٦٠ك.م وعلى ارتفاع ٢٠٠٠متر من سطح البحر، وهو ناحية مستقلة من أعمال لواء الحديدة. (المقحفي، معجم البلدان والقبائل ص٥٠).

(٢) في الأصل بدون نقاط ولا همزة ولعل ما أثبتناه هو الصحيح.

وأما ما ذكرت من توقيت مدة الوصول فلا يوقت الأوقات إلا مدبرها، فأما عزمنا فنكشف عنه بتوفيق الله تعالى مشروطاً بعونه ومشيئته، فإنا ننهض من الظاهر لنصف جمادى مستعينين بالله تعالى متوكلين عليه، ولقاؤك لنا إن شاء الله تعالى إلى البلاد الحميرية، والحركة تكون بعون الله في جنود منصورة تعض البيد، وتكثر عن التعديد، النصر قائدها، والتوفيق سائقها، والرشد رائدها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[كتابه عليه السلام إلى يحيى بن عيسى القاسمي جواباً على كتاب أتى منه]

وجاء كتاب من الشريف يحيى بن عيسى القاسمي وهو ممن سلم من القتل يوم براقش يحكي عدة القتلى من الشرفاء بأسمائهم.

فكتب إليه عليه السلام في آخر كتاب:

أما الحادث على الشرفاء فهو عادة الأجداد والآباء وإن كان يصمينا لكونه غدراً ولكن أتاه ما بينتاه من كشف الحُرم وتجريدهن على أعيان الملأ، فقد حزنت لذلك والله قلوبنا، وقطرت ماء عيوننا، وسألنا من لا يخيب سائله أن يمكننا من العدوين العربي والعجمي حتى ننزل بهما النكال، ونحل بهما الوبال عاجلاً إن شاء الله تعالى، وقد شفى بعض الوجد أنا جزرناهم في الجنات[1] جزر الأنعام لوفاء ثلاثة أيام، ولو قتلنا أربعة أخماسهم لم يفوا بأنملة من أنامل رجل من الذرية، فالله المستعان.

(١) الجنَّات: قرية من عزلة عمران محافظة عمران على بعد ٣ كيلو مترات شمال مدينة عمران.

[كتابه عليه السلام يوم وقعة الحباب إلى الأمراء يحضهم على هلاك الغز]

وكتب عليه السلام يوم وقعة الحباب إلى الأمراء يحضهم على هلاك الغز الذين بها:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى.

أما بعد:

فإنكم أصبحتم اليوم حماة سرح الدين، وكفاة ثغور المسلمين، وسيوف أمير المؤمنين، فاحمدوا الله على ما وفقكم له، واستعينوا على أمركم به، واعلموا أنه لم يأمركم بها أمركم به لحاجة منه إليكم ولا إلى فعلكم، بل رحمة خصكم بها، ونعمة وهبكم إياها، فاشكروه بحسن طاعته، والصبر على الدفاع عن دينه، وشمروا عن ساق الجد في منابذة أعدائه، وصلوا الليل باليوم، واستبدلوا السهر بالنوم، وقوموا على ساق حتى يقوم عمود الدين، وينقطع دابر المعتدين، وباشروا الأمر بأنفسكم، واستبقوا الناس إليه ليعينوكم عليه، واعلموا أنه لم تبق اليوم فوق أديم الأرض راية تدعو إلى الحق إلا رايتكم هذه ومن انتسب إليها، فليكن قيامكم بأمرها على قدر معرفتكم بحقها، اثبتوا ثبوت الجبال، وأنزلوا بأعداء الله النكال، وتوكلوا على ذي الجلال، ومهما لحقكم من تعب أو نصب عرفتم ما في مقابلته ليهون عليكم حمله، ويخف ثقله، فاجعلوا الليل أخا النهار، وجدوا في الأعمال، فإن ثقفتم أعداء الله فشردوا بهم من خلفهم، وابسطوا أيديكم بحكم الله على مقتضى أمره، ولا تسرفوا، ولا تقتروا، ولا تعلوا، ولا تهنوا، ولا تداهنوا، ولا تأخذكم في الله لومة لائم، ولا تغفلوا عن أمر تخافون فواته، ووطنوا أنفسكم على الصبر وعلى

كسر جند كل ضلالة تلقاكم إن شاء الله تعالى من جنود الظالمين، إلا من هو طعمة لكم بعون الله، فخذوا طوائف الضلال في كل جهة قبل أن تجتمع جماهيرها المخذولة، وجنودها المفلولة، وارموا كل فئة بقاصمة، وخذوها أخذ القرى وهي ظالمة، ولا تسوفوا الأعمال وتصغوا إلى الأمثال.

والصنو يحيى أمير الكل إن اجتمعتم وإن افترقتم لغرض، فكل رئيس أمير أصحابه، فاعلموا ذلك، والسلام.

[من كلامه عليه السلام في صدر كتاب]

ومن كلامه عليه السلام في صدر كتاب:

لم يزل فضل الله عليك عظيماً، ونبت عوارفه في رياض مسارحك بارماً وجميماً، وريح النصر على معاندك صرصراً عقيما، ومرعى أضدادك في أسلة مذاهبهم هشيما، وصراط نهجك إلى سبيل المصالح مستقيما، وأولى ذلك بصرف الهمة إليه، والاعتماد في حالتي الفراغ والشغل عليه، الإقبال إلى طاعة الله التي بها النجاة من كل هلكة، وحصول كل خير وبركة، وملاك العمل خواتمه، والمراد منه عواقبه، وما فات جلب إنابة، ومنح إصابة، وقد اشتغلت خواطرنا بك، وحجزتنا موانع الخوف عليك عن المواصلة لك، وما نسينا فلن ننسى الأيام ما بيننا وبينك من المودة، والرجاء من الله تعالى في لم الشمل، وتجميل الأمر.

[كتابه عليه السلام إلى صاحب مرباط رداً على كتاب أتاه منه]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب جواباً عن كتاب أتى من صاحب مرباط يحكي استقامته على الطاعة وحفظ البيعة.

قال عليه السلام:

والله الله في طاعة الله فإنها قوام الأمر وقاعدته، وحسن السيرة في الرعية، واستعمال العدل، ونفي رسوم الجور، واطراح الحقد فإنه يهدم الرئاسة، ويخل بالسياسة، تجب ما مضى تحت قدمك، وأحسن كما أحسن الله إليك، ومر بالمعروف، وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور، ولا تفرح بما أوتيت، ولا تحزن على ما فاتك، فإنها الدنيا خيرها غير طائل، وشرها غير هائل لمن عرف حقيقة أمرها، إنما هي أحلام النيام، وغفلة الليالي والأيام، ثم ينكشف الغطاء عن الآخرة بمفارقة الحياة حيث لا يمكن الاستعداد، فانظر لنفسك، ومهد لرمسك، وعلق بالآخرة فكرك، وأشغل بأمرها ذكرك، فهي أهل ذلك لعظم خيرها وشرها، فنسأل الله تعالى حسن الاستعداد لملاقاته، والفوز بمرضاته، وإياك أن تفتتن بالمداحين، فإنهم الضالون على الحقيقة، وليكن أحب الناس إليك من عرفك عيوب نفسك، وبين لك خَرَبك، فذلك الأخ على الحقيقة، وإياك أن تشغلك نخوة الرئاسة عن تفقد أمور ضعفاء رعيتك، وشاور أهل الدين والعقل إليهما ما إليهما لتصيب في أمورك، والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى رجل يعزيه في ولده]

وكتب عليه السلام إلى رجل يعزيه بولده:

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك التوفيق للرضى بقضائه، والصبر على بلائه، الذي هو دلالة كمال الإيمان.

أما بعـد:

فإنه بلغنا أن المعير استرد عاريته، والواهب استرجع هبته، ولغير حاجة كـان منـه ذلـك، بـل لمصلحة تعود عليك، فالزم نفسك الصبر وإن مرت جرعه، والتسليم وإن صعب موقعه، وإن مـا نقصك في الدنيا وزادك في الآخرة خير لك مما زادك في الدنيا ونقصك في الآخرة، ولأن يكـون في ميراثك خير لك من أن تكون في ميراثه، فارض به، ولك برسول الله ﷺ أسوة حسنة، ولو كانت الدنيا دار قرار ومحل مقام لما نقص فيها المؤمن وزن الخردلة، ولا قيد الأنملة.

واعـلم رحمك الله أن الباقي إثر الماضي، ولئن لم يرجعوا إلينا لنلحقن بهم عما قليل، فعليك بـما قال الصالحون: إنا لله وإنا إليه راجعون، لتؤتى أجرك بغير حساب.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال لبعض أصحابه: «لسقط واحد خير لك من ألف فـارس»، وفي غريب الحديث أنه ﷺ قال لأصحابه: «ما تعدون الرقوب عندكم؟ قالوا: من لم يولد له ولد، فقال: الرقوب من لم يمت له ولد».

فإذا قرأت كتابي هذا ذكرت وقوفك بين يدي الرب سبحانه في مقام لا يجزي والد عـن ولـده شيئاً ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً، يسأل الناس فيه عن أعمالهم لا عن أولادهم، فـإن ذلـك يهون عليك أمر الدنيا، ولولا أن التعزية من سنة خاتم النبيين ﷺ وسيما أهل الـدين لما عزيتـك؛ لأن الدنيا أحقر من أن يعزى بمصيبتها أو يهنأ بنعيمها، ونسأل الله تعالى أن يخلـف المـاضي علينـا وعليك بصلاح ديننا، والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى السلطان يعزيه في امرأته]

وكتب عليه السلام إلى السلطان يعزيه في امرأته وقد أصابه جزع شديد ورثاها بأشعار كثيرة:

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فإنا سمعنا من مراثيك في الحرة الكاملة المتوفاة إلى عفو الله إن شاء الله ما دلنا على تمكن الجـزع

من قلبك، وهو أمر إذا أعطاه الإنسان مقوده نزع به إلى غير غاية، ولو كانت الدنيا باقية وكنا فيها مخلدين لحسن الإفراط في الجزع، ولكن الباقي في إثر الماضي وإلى الله المصير، ففريق في الجنة وفريق في السعير.

يهـــون مــــا ألقـــى مــــن الوجـــد أننـــي

مجـــــاوره في داره اليـــــوم أو غـــــدا

وهو فلتتأسّ بسيد البشر رسول الله ﷺ بعد خديجة، وسيد العرب علي بن أبي طالب عليه سلام الله ورحمته بعد فاطمة سلام الله عليهما وعلى آلهما، وكل حي ميت، وكل جديد بال، وكل شيء من هذه الدنيا إلى نفاد وزوال، ولولا أن الموت حوض مورود، ومنهل مشهود لعظم الخطب في نزوله ببعض دون بعض، ولكنه على بني آدم كطوق الحمامة يستنزل الملك من سريره، ويطرق الطير في وكوره، ولا باقي إلا من استحق البقاء، ووجبت له العبادة.

واعلم أن ما بلغنا عنك بشغلك عن أمر نفسك التي هي أعز الأنفس عليك عند كشف الغطاء، فعليك بالاشتغال بطلب علم التوحيد الذي به الحياة الطيبة الأبدية، وعلوم الدين، فإن في ذلك مشغلة عما سواه.

واعلم أن البكاء على الذنوب أجدر من البكاء على الحبيب، وأن في ذكر هول الآخرة ما يشغل عن ذكر فقد الدنيا، ولئن كانوا من أهل الجنة ونحن من أهلها لتطولن الألفة هناك، ولئن اختلفت الدار ليشتغلن بعض عن بعض بما هو أدهى وأمر.

ولما بلغنا ما ذكرناه رأينا أن ننهي إليك هذا الكتاب لعل الله سبحانه ينفعنا وإياك به، وقضاء لما يلزم من حق أخوتك في الدين فقد قال رسول الله ﷺ ـ: «تهادوا النصائح ولا تهادوا الأطباق»، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

فانظر في ذلك، وفقنا الله وإياك لإصابة الصواب.

[كتابه عليه السلام في آخر كتاب بعد موت الأمير الأجل شمس الدين]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب بعد موت الأمير الأجل شمس الدين يحيى بن أحمد بن الهادي عليه السلام قال فيه:

والله تعالى يقدس روحه وجثمانه، ويسكنه جنانه في الرفيق الأعلى من سلفه الطاهر الأسنى، فلقد عاش هادياً مهدياً، ومات راضياً مرضياً، فعند الله نحتسبه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لواجب الأمر، والتزاماً بمفروض الصبر، فلئن غمت وفاته المؤمنين فلقد أقرحت قلوب الصالحين، ولقد استبشرت الشياطين وأحزاب الشياطين، وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، وعمروا من الضلال قصوراً، وبنوا دورا، ونرجو أن يمكن الله تعالى حتى نقدم إلى ما عملوا من عمل فنجعله هباءً منثوراً، فيدعون هنالك ثبوراً، فنقول ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾[الفرقان:١٤]، لئن مات شمس الدين لقد بقي بدره، وأحد النيرين كافٍ يا معشر الأشرار في تقوية أشعة الأبصار، هذا والكواكب به مديرة، والنيرات كثيرة، فاخسئوا عن كيد الإسلام فقد مات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلم يضيع الله دينه، بل حرسه بالذرية الأعلام، هداة الأنام، بدور التمام، والحمد لله على كل حال، من شدة أو رخاء، ونعمة أو بلاء، كما هو أهله، والسلام.

[كتابه عليه السلام عقداً لأهل الذمة]

وكتب عليه السلام عقداً لأهل الذمة لعنهم الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

هذا شرح كتاب قد تقدمت عقوده، وتأكدت عهوده، بالذمة المحروسة المكرمة، ذمة

رسول الله ﷺ لليهود الساكنين في السود[1] بعد عرض الإسلام عليهم على مقتضى حكم الشريعة النبوية زادها الله شرفاً، فأبوا، فأمرنا بأخذ الجزية عليهم، فسلموا ما لديهم من ذلك بتأريخ غرة شهر رجب كرمه الله تعالى وافياً تاماً، فلما صح قبضه كتبنا هذا الكتاب بذكره لهم، وأماناً من جميع من التزم طاعتنا من جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فمن اعترض لأحد منهم في ذلك بمعرة في مال أو نفس فلا يلومن إلا نفسه، فنحن المطالبون بما فعل فيهم حفظاً لذمام جدنا رسول الله ﷺ وحراسة لذمته الوافية، وذلك ما استقاموا، ولا يكثروا لنا عدواً، فإن من فعل ذلك سفكنا دمه، وسبينا ذريته بحكم الله تعالى، وما وفوا فنحن وافون، فليثقوا بذلك وبالله الثقة وبيده الحول والقوة، والسلام.

[كتابه عليه السلام إلى حاتم بن عمرو الشهابي]

وكتب عليه السلام إلى حاتم بن عمرو الشهابي وقد مال إلى جنبة الغز بعد سوابق كانت له في الجهاد:

إن أشقى الناس من كان الشقاء خاتمة عمره، وأضلهم عن الرشد من كان هوى نفسه ملاك أمره، والسعيد من وعظ بغيره، والمتحفظون على خطر، وقد تغربت بعد الهجرة، وخذلت بعد النصرة، فإن أدركت الغرض في دنياك فهو لا ينصفك فيما فاتك من أخراك، فانظر لنفسك قبل الندامة العمرية، والحسرة الدهرية، فإن كان لك بنفسك حاجة فأدرك، وتفكر في عاقبة أمرك، ولو عقلت ما فاتك لما اغتبطت بما أنت فيه لو كان فوق ما أوتيت، فالحذر الحذر قبل حلول العبر، وتعفي الأثر.

وبلغنا أنسك بالفرقة الملعونة، والعصابة المفتونة، فإن كان تعلّم فلا تستغن عن علم ما علمته، وإن كان تحنيثاً فقد خرجت وأثمت.

---

(١) السود: مديرية من أعمال محافظة عمران، تقع في غربي جبل عيال يزيد.

[كتابه عليه السلام إلى السيد أبي عزيز قتادة بن إدريس يهنئه بفتح بلاد هذيل]

وكتب عليه السلام في آخر كتاب إلى السيد أبي عزيز قتادة بن إدريس يهنئه بفتح بلاد هذيل قال فيه:

وقد سرنا ما فتح الله لك وعليك، ويسر من النصر للذرية الطيبة على يديك من الاستيلاء على تميمة الدهر، وفريدة العصر بلاد هذيل المعصومة على مرور الأزمان، من جميع ملوك أهل الأديان، كما عصمت السفينة من الطوفان، فصاروا كما حكى الكريم المنان في محكم القرآن، بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾[الحشر:٢]، فله الحمد كما هو أهله، فلقد ملأ الأولياء سروراً، والأعداء عويلاً وثبوراً، فابتهل الفضلاء والعلماء، وفتحت أبواب السماء، وكان كما قال الشاعر:

فتح تفتح أبواب السماء له
وتبرز الأرض في أثوابها القشب

فالحمد لله الذي جعل السيد الأجل أبا عذرتها، وحباه بفتحها ونصرتها حمداً كثيراً.

وأما أخبارنا مع هؤلاء الأعداء، فالحرب بيننا وبينهم كاشرة الناب، حاسرة الجلباب، قد كشفت عن ساقها، وأرعبت بإبراقها، والثغور بيننا وبينهم فاتحة الأفواه، والمشارب مطروقة الأمواه، وخيلنا وخيلهم صقور على مراقب، عصائب تتبعها عصائب.

فيوماً تضيء المشرفية نحرها
ويوماً تراها في ظلال عوالي

وهم أعد عدة وأكثر، ونحن أوفى ذمة وأصبر، والقوم قد ظهر فشلهم، وبان خللهم، وتقطعت بهم

الأسباب، ورأوا العذاب، فصارت تهامة إلا القليل من السكن خالية وحالها غير حالية، وقرى صنعاء طلولاً بالية، ورسوماً عافية، قد أحاطت بها الداهية من كل ناحية، وشنت عليها العادية، في الحاضرة والبادية، وقد بلغوا في طلب السلم الغاية، ووصلوا إلى النهاية، فرأينا حربهم أقرب إلى السلامة من سلمهم، وأكثر ما نالوا منا في حال الهدنة، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[التوبة:١٠]، فنسأل الله تعالى كفاية شرهم، ودفع ضرهم، ونحن بالله واثقون، وعليه متوكلون.

وأكثر ما أتعبنا في حرب القوم العرب ومن ظاهرهم من الشرف، فإن يد الجميع صارت على عداوة الحق واحدة، ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾[البروج:٢٠]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[الرعد:٤٢]، والصواب لا يعدو تلك الهمة السنية، الزاكية العلية، في تولية رجل صالح يفتقد الأمور الدينية في جميع أعمالك، فقد صرت والياً على أشرف بقاع أرض الله، وأنت من أشرف أجناس خلق الله.

من يكن من محمد، وعلي أبوه
فقل له اكتلت وافي

فاجتهد في صلاحها أشد الاجتهاد، فلا يظهر فيها منكر ولا شرب مسكر، ولا يظهر شيء من الملاهي والعيدان في أقطار البلدان إلا نكلت فاعله وسامعه وعامله وكاتمه، فعند ذلك يقع الإنزجار، وتسكن الأقطار، ولا تكن كمن يطفي النار بالنار، ولا ينفعك في ذلك إلا الأبرار.

واعلم أنك قد زدتنا شرفاً إلى شرفنا، ومجداً إلى مجدنا، وعزاً إلى عزنا، فجزاك الله خيراً عنا، وكافاك بالحسنى، وجعل نصيبك من توفيقه الأسنى، فلقد كنا إذا نهينا عن المنكرات قيل لنا: كيف تنهون عنها وبنو عمكم يفعلون بفناء بيت الله وجوار مسجده مثل هذا، فالآن نطقت الألسن بالصواب، وتمكنا من السؤال والجواب.

وقد وجدت لسان القول ذا سعة
فإن وجدت لساناً قائلاً فقلِ

والسلام عليك وعلى كافة المسلمين قبلك ورحمة الله وبركاته.

[كتابه عليه السلام إلى بلاد بني ربيعة]

وكتب عليه السلام إلى بلاد بني ربيعة من بلاد مذحج:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ذا العزة والطول، والقدرة والحول، حمداً يستمري مزيده ونعمه، ويكافي جوده وكرمه، وصلى الله على أشرف البرية، وعترته الطاهرة الزكية.

أما بعد:

فإن الفقيه الأوحد المكين، الموفق الأمين محمد بن إبراهيم تولى الله توفيقه، ويسر طريقه، أتانا من جهاتكم مشيراً ببنان الحمد إليكم، ناشراً برد الثناء عليكم، حاكياً من صفاء ودادكم، وخلوص اعتقادكم ما حدانا على تجديد هذه المطالعة لكم، وقد علمتم معشر المسلمين تولى الله هدايتكم، وأحسن رعايتكم، ما كان من وجوب حق محمد صلى الله عليه وآله وسلم على هذه الأمة، بل على الكافة من الإنس والجنّة، لما جعله الله الرسول إلى الثقلين، والهادي لهما بأمر الله سبحانه إلى النجدين، فأنقذ من قبل النصيحة، وهدى من رغب في الهداية من الهول العظيم، وأوصل إلى النعيم الجسيم، فتضاعف حقه على الأولين والآخرين، والماضين والغابرين، ولم يسأل على ذلك أجراً إلا المودة في القربى في مماته ومحياه، فقال حاكياً عن ربه تعالى وتقدس رباً: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[الشورى:٢٣]، فما ظنكم بمن ظلم محمداً صلى الله عليه أجره؟ هل وزر أحد وزره؟! فانظروا في ذلك نظراً يصلكم نفعه، نظر من صفا ذهنه، ورهف سمعه، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[(١)].

---

(١) سبق تخريج الحديث.

فأوجب التمسك بالولاية بعد تأدية أجر الهداية، وأمَّن من الضلال من تمسك بهم على كل حال، جعلهم منصباً للإمامة، وأجرى ذلك لهم إلى يوم القيامة، فهل تطلب النجاة بغيرهم، أو يلتمس الرشد من سواهم، هذا ما لا يكون، ولا يحيط به من أهل المعارف الظنون.

وقد علمتم شذوذ هذه الأمة عن هداتها، ومعاداتها لرعاتها، إلا القليل المستثنى، فإنهم للفظ الأمة كالمعنى، وقد ظهرت هذه الدعوة النبوية على حين فترة، وتخاذل من أهل النصرة، كانت قبائل مذحج ومن اتصل بها من ولد قحطان ممن أقام في هذه الدعوة النبوية عمود الإيمان، ودحر حزب الشيطان، فذكر ذلك في المشاهد والمجامع، وقام به النداء من رؤوس الصوامع، فدبت عقارب الأظغان، وسرت وساوس الشيطان، حتى صيرت الحزب الإلهي أحزاباً، وعمران الإسلام في ذلك الصقع خراباً، وأيببته يباباً، فالله المستعان، فهل من رجعة رحمكم الله إلى نصرة الذرية، وعطفة فيها أريحية، فإن شرائع الدين أولى من حاطه أهل الحفاظ، وتغوري فيه بالألظاظ[1]؛ لأن به النجاة الأبدية، والسعادة السرمدية، فكونوا جنب برادتكم في هذا الشأن، فإن به يعز الإيمان، فاحزموا من لصوص الدين وسراق العقول من المتنسبين إلى الإسلام، وليس لهم فيه ورد ولا صدر، فإن ضررهم أعظم ضرر، فكونوا منهم على أشد الحذر، أين سارق الجراب من سارق الألباب، فإنهم أخذوا الدنيا بالدين، ولبسوا للناس جلود الضأن من اللين، فهم بمنزلة السراب، كما حكى رب الأرباب، ومنزل الكتاب: ﴿**يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ**﴾[النور:٣٩].

فإياكم والاغترار بهم فإنهم يصدونكم عن آل نبيكم ﷺ صدود الواردة عن النطفة الباردة، فأي وتر أعظم من هذا عند أهل العقول السليمة، والنفوس الحرة الكريمة، فصرحوا العداوة وإن كانوا في كورة المستضعفين، وتعوذوا منهم كما يتعوذ من الشياطين، واقبلوا قول هداتكم وساعدوهم تسعدوا، وشمروا في أمر الجهاد فإنه سنام الدين، وحصن المسلمين، به قامت الفرائض، وحيت السنن، وهو النعيم البارد، والملك الوارد.

---

(١) التغور: الدخول في الشيء. والألظاظ: اللزوم والإلحاح، واللظ: الرجل العسر المتشدد. (القاموس المحيط).

روينا عن النبي ﷺ أنه قال: «لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها».

وفي الحديث عنه ﷺ: «لوقفة الرجل في الصف في سبيل الله تعدل عبادة ستين سنة، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ أو قصر كتب له عتق رقبة»، فلا تضيعوا ما هذا سبيله، فقد صاح بكم دليله، واتضح لكم سبيله، فارحضوا درن الأوزار بالأصائل والإبكار في غزو الفجار، ومباينة الأشرار، وعودوا إلى أحسن العوائد من طاعة إمامكم، وحفظ بيعتكم وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الصف:١١-١٣].

وقد علمتم حال الحقوق الواجبة التي مصرفها إلى الإمام، وما يجب فيها على جميع الأنام، وقد ولينا على قبضها وقبض ما يتعلق بنا هناك من نذر أو بر أو خمس أو واجب من أنواع الواجبات الفقيه الأوحد الأمين، الموفق المكين محمد بن إبراهيم تولى الله معونته ورعايته، وكتب في سعي الصالحين سعايته، فمن سلم إليه شيئاً من ذلك فقد برئت ذمته، ووجب على الله أجره، وقد أمرنا المذكور بعد طاعة الله سبحانه وطاعة ولي الأمر من عترة نبيه ﷺ بما يحقق لكم شفاها، ويجليه وجاها، فما أمر به من ذلك فهو أمرنا، والسلام عليكم.

[كلامه عليه السلام رداً على بعض روافض الشيعة]

ولما بلغه عليه السلام كلام من بعض روافض الشيعة وطعنهم عليه، عجب من ذلك، وعجب أصحابه الحاضرين، وقال:

لقد كان لهؤلاء القوم مندوحة عما ارتكبوا من ثلاثة أوجه:

أما الأول: فتحسين الظن فيه، وأن يعلموا أنه لا نقدم على أمر حتى نتشدد فيه ونبحث عنه، ونكون منه على يقين، فهذا هو الواجب في آحاد المسلمين أن يحسن بهم الظن في أفعالهم فضلاً عن أئمتهم.

والثاني: أن يرجحوا حاله على حال من روى لهم الحديث، فيجعلوا روايته أوضح، وعمله أصح، ولا يلتفتوا إلى شيء من الروايات المستحيلة.

والثالث: أنهم قد أقروا بلسان الاضطرار وغيرهم أنه من جملة العلماء، فإن المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (اتفق رأيي ورأي عمر في جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ على تحريم بيع أمهات الأولاد، وأنا أرى الآن جواز بيعهن، فقال له عبيدة السلماني: يا أمير المؤمنين، إن رأيك في الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك) وهو رأي للإمامية ورأي الناصر عليه السلام من الأئمة.............

فصل

[ومن إملائه عليه السلام]

ومن إملائه عليه السلام:

مذهبنا أن عترة الرسول ﷺ هم علي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين وأولادهما في جميع الأعصار سلام الله عليهم جميعاً.

والدليل على ما ذهبنا إليه الإجماع، فإن الناس لم يختلفوا في كونهم عترة الرسول ﷺ وإنما الخلاف فيمن سواهم من أقاربه، هل يضمون إليهم أم لا؟ والإجماع حجة على ما نذكره من بعد، ولأن كونهم عترة الرسول ﷺ معلوم، وكون غيرهم مشكوك فيه، فلا يجوز العدول عن المعلوم إلى المشكوك فيه لغير دلالة ولا دلالة على ذلك فوجب الاقتصار على المقطوع به من ذلك.

ومما يؤيد ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام تحت كساء، فجاءت أم سلمة رضي الله عنها لتدخل معهم تحته، فدفعها وقال: «لست منهم، وإنك لعلى خير»، ثم قال: «اللهم إن هؤلاء عترتي أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم

تطهيراً»[1]، فنـزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

وهذا الخبر مما ظهر ظهورا يستغنى معه عن إقامة الدلالة على صحته في نفسه، ووجه استدلاله لنا بهذا الخبر أنه ﷺ أفردهم بقوله: «عترتي أهل بيتي» دون سائر أقاربه، فلا يجوز إدخال غيرهم فيما خصهم به، فثبت أنهم عترته وأهل بيته دون من عداهم من سائر أقاربه، فصح ما ذهبنا إليه.

فصل

[في إجماع آل رسول الله صلى الله عليه وآله]

اعلم وفقنا الله وإياك لإصابة الصواب أن العلماء من آل الرسول عليهم السلام وغيرهم من علماء الأمة قد كثر كلامهم في الفروع، واشتدت عنايتهم في تمييز الحق من الباطل، وإيثار الراجح على السائل، ولم يقصر أحد منهم في ذلك، وكان من جملة ما تكلم فيه الناس الإجماع، فإن الخلاف واقع فيه، فمن الناس من منع منه رأساً، ومنهم من أثبته.

واختلف المثبتون له، فمنهم من جعله لكافة الأمة، ومنهم من ذكر إجماع العترة، ولا غرض لنا في تبيين كلام كل فرقة، إنما قصدنا أن نبين أن إجماع أهل البيت عليهم السلام هو الحجة دون من عداهم من إجماع الأمة، ونذكر الأدلة على ذلك على وجه الاختصار، والله المعين والموفق.

اعلم أن لك في الاستدلال على أن إجماعهم دون غيرهم حجة طريقان: جدلية، وعلمية.

فالعلمية: الكتاب والسنة، والجدلية: ما نذكره من بعد إن شاء الله سبحانه.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج:٧٨].

---

(١) تقدم تخريج الحديث.

ووجه الاستدلال بهذه الآية أن الله تعالى اختارهم له شهداء، فلو لم يكن قولهم حجة لما اختارهم، وهذه الدلالة مبنية على أصلين:

أحدهما: أنه اختارهم له شهداء.

والثاني: أنه لو لم يكن قولهم حجة لما اختارهم.

فالذي يدل على الأصل الأول وهو أنه اختارهم له شهداء فظاهر؛ لأنه ينطق بذلك في قوله: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾، والاجتباء هو الاختيار، وظهوره في اللغة يغني عن الاستشهاد عليه، فثبت الأصل الأول.

وأما الأصل الثاني وهو أنه لا يختار له شهداء إلا من يكون قولهم حجة واجبة الاتباع، فما دل على عدله وحكمته يوجب ذلك، ألا ترى أن قاضياً من قضاة المسلمين لو قال: قد اخترت فلاناً شاهداً ووجب عندي قطع الحق بقوله، لدلنا ذلك أنه قد رضي بقوله وثبتت عدالته عنده، وأنه لا يقول إلا ما يجب العمل به، فعلام الغيوب أولى بذلك، لأنه إذا اختار هذا النصاب للشهادة على الناس دل ذلك على أنهم عدول عنده، وأنهم لا يقولون إلا الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون.

وقول من يقول: إن عموم الآية تتناول جميع ولد إبراهيم من اليهود والنصارى وغيرهم من سائر القبائل من ولد إبراهيم قول لا وجه له، وإن كان كذلك فإن الأخبار الواردة من جهة النبي صلى الله عليه ما أوجب مبايعة من عدا عترته من القبائل، والآية وإن كانت عموماً قد خصتها الأخبار الواردة عن الرسول ﷺ والكتاب والسنة يجذبان إلى جهة واحدة، فلا يجوز الفرق بينهما، ولم ينص الرسول على أن قول غير عترته من القبائل حجة، فيجب حمل الآية على أن المراد بها عترته عليهم السلام دون سائر ولد إبراهيم لهذه الدلالة، فهذا الذي دل عليه الكتاب.

وأما السنة فالدلالة منها قول النبي ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[1].

---

(١) سبق تخريجه.

والكلام في هذا الخبر يقع في موضعين:

أحدهما: في صحته في نفسه.

والثاني: في وجه الاستدلال به.

أما الكلام في صحته، فإن ظهوره بين الأمة وانتشاره فيها بحيث لا دافع له ولا راد لـه دلالـة على صحته؛ لأنه لو لم يكن من الرسول ﷺ لدفعوه وردوه؛ لأنه يتضمن وجوب متـابعتهم قـولاً وعملاً واعتقاداً، وذلك يقضي بوجوب اتباعهم في الأصول والفروع على ما بينته.

وأما الوجه الثاني فهو أن ظهور هـذا الخـبر جـار مجـرى ظهـور الأخبـار الـواردة في أصـولِ الشريعة، كالصلاة، والزكاة، والحج، والصوم؛ لأن وصولها إلينـا عـلى حـد واحـد، والعلـم لنـا بأحدها كالعلم بالآخر، فالمنكر لذلك متجاهل أو جاهل.

وأما وجه الاستدلال به، فإن النبي ﷺ أمّننا من الضلال أبداً ما تمسكنا بعترته، والتمسك بهم هو متابعتهم في القول والعمل والاعتقاد، فلولا أن إجماعهم حجة لما أمّننا، وهـذه الدلالـة مبنيـة على ثلاثة أصول:

أحدها: أن النبي ﷺ أمّننا من الضلال أبداً ما تمسّكنا بعترته.

والثاني: أن التمسك بهم متابعتهم في القول والعمل والاعتقاد.

والثالث: أنه لو لم يكن إجماعهم حجة لما أمّننا.

فالذي يدل على الأصل الأول، وهو أنه ﷺ أمّننا من الضلال أبداً ما تمـسكنا بعترتـه، فـذلك ظاهر في لفظ الخبر بحيث يستغنى عن تبيينه والاستدلال عليه؛ لأنه قال: «إني تارك فـيكم مـا إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً»، وهذا في غاية الظهور والجلاء.

وأما الأصل الثاني: وهو أن التمسك بهم هو متابعتهم في القول والعمل والاعتقـاد، فلأنـه لا يحسن من أحدنا أن يقول: إني متمسك بطريقة فلان ولكني لا أقول قوله، ولا أعمـل عملـه، ولا أعتقد اعتقاده، بل يعد من قال ذلك مناقضاً نازلاً بمنـزلة مـن يقـول: إني متمـسك بطريقـة غـير

متمسك، ولأنه عليه السلام قرنهم بالكتاب، ولا خلاف في وجوب متابعة الكتاب في الوجوه الثلاثة التي قدمنا، فكذلك العترة؛ لأن حالتهما عنده عليه السلام على سواء.

فإن قيل: ما أنكرتم من أن يكون ذلك في الأصول؟

قلنا: هذا بحكم؛ لأنه لم يفصل ولأن الواجب في الأصول الرجوع إلى أدلة عقلية يجب اتباعها دعا إليها الواحد أو الجماعة العترة أو غيرهم وتجويز من يجوز ممن قال إجماعهم حجة مخالفتهم في الفروع لا وجه له؛ لأنه لا يخلو إما أن يقول بأنه أمارة مفضية إلى الظن كخبر الواحد، أو دلالة هي مؤدية إلى العلم والقطع، فإن قال بالأول يبطل بشهادة الكتاب والسنة، ولأنه لا يجوز مخالفة خبر الواحد في الشرعيات متى يحصل الظن لصدقه، وإنما يجوز مخالفته عند فقد الظن، فقد ثبت بطلان جواز المخالفة على هذا الوجه، وإن قال بالثاني من الوجهين، فكيف يجوز مخالفة المعلوم المقطوع به إلى المظنون المتوهم، هل ذلك إلا عين التنكب لطريقة الإنصاف.

وأما الأصل الثالث: وهو أنه لولا أن إجماعهم حجة ومتابعتهم واجبة لما أمّننا، فلأن المعجزات الظاهرة على يديه عليه السلام قد أزاحت عنا تجويز التلبيس والتغرير في أخباره، فلو لم يكن قولهم واجب الاتباع لكان قوله عليه السلام «ما إن تمسكتم به لن تضلوا» أمان لنا من غير مأمون، واستدعاء لنا إلى ارتكاب المخوف، وذلك أعظم التغرير وأقبح التلبيس، وقد ثبت أنه لا يجوز عليه شيء من ذلك.

وأما الطريقة الثانية من الطريقتين المتقدمتين فهي أنا نقول: قد ثبت لنا بما قدمنا كون إجماع أهل البيت عليهم السلام حجة، فلا يخلو القائل بأن إجماع الأمة حجة إما أن يعتبر أهل البيت أو لا يعتبرهم، فإن لم يعتبرهم فقد أخرج أفاضل الأمة عن أن يعتد بهم ولا قائل بذلك، وإن اعتبرهم، فالحجة لازمة لقولهم لما قدمنا، فلا معنى لجعل إجماع الأمة إجماعاً ثابتاً غير إجماع العترة، فقد صح لك أن مدار الحق على العترة في الحالتين جميعاً وذلك يكشف عن أنه لا اعتبار بمن سواهم؛ لأنا نجعل الحجة ما كان قائماً بنفسه في الدلالة، فلو شاع جعل ما ليس بحجة إذا انضم إلى الحجة حجة لشاع قول من يقول: إن قول الواحد حجة يجب اتباعها إذا انضم إلى دليل عقلي وذلك ظاهر الفساد بمن الله وعونه.

فهذا هو الكلام في هذا الفصل على وجه الاختصار وفاءً بما وعدنا به في أول الفصل وإلا فالآيات المنزلة والأخبار الواردة كثيرة واضحة أضربنا عن ذكرها كراهة الإطالة، والسلام.

وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم.

[كتابه عليه السلام إلى كافة الشرفاء بني سليمان بتهامة]

وكتب عليه السلام إلى كافة الشرفاء بني سليمان بتهامة، وتمثل بهذه الأبيات في أوله:

تعالوا نقاتل عن مقام أبيكم

ونـدفع عنه بالقنا وظبا الهند

فما قمت إلا ثائراً بدمائكم

فإن لم تعينوني ثأرت بها وحدي

عليَّ لكم أن لا يمد عدوكم

إليكم يداً إلاّ وجذّت من الزندِ

سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى.

أما بعد:

فإنكم معشر الآل في جفوة متصلة، وأثرة دائمة مستمرة، شاب فيها الصغير، وهرم فيها الكبير، بل توالت عليها الأعصار وتكررت، وتراكمت الدهور وتكورت، فلا رعيت لكم حرمة القرابة والولاء، ولا جعلتم فوضى كسائر الملأ، وأنتم الجناة على أنفسكم في ذلك لقلة تناصركم وتآزركم، وكثرة تقاطعكم وتدابركم، وقد علمتم قيامنا لحرب عدونا وعدوكم، ومنابذتنا عن ديننا ودينكم، ودعانا إلى ما كان عليه صالح سلفكم سلام الله عليهم أجمعين، فناهضتنا الأمة

بأيدها، ونصبت لنا حبائل كيدها، وكثرت سواد عدونا، وصارت معه إلباً علينا، فحاكمنا الجميع إلى الله سبحانه، فقضى لنا عليهم في مقام بعد مقام، وقيام بعد قيام، فقدمنا أجمل قدوم، وصفحنا أحسن صفح، فما بقي أمير من أمراء الدولة العباسية إلا وفي عنقه ربقة أسار أو ذمة جوار، فلما ساقت إليهم المقادير ما ساقت من أمر الأمير الأجل جمال الدين أحمد بن القاسم بن غانم منوا منة تهزأ منها المنن، ويعجب لها أهل الفطن، أطلقوا الرجل المحتمل للحبس والقتل، واعتقلوا الحريم الذي تستعر دونه فوات نفس الكريم.

كتب القتل والقتال علينا

وعلى المحصنات جر الذيولِ

فإن عددتم هذه منة يا معشر بني سليمان فأنتم يد قوية في الذرية الزكية، وبكم القدوة، وفيكم الأسوة، ولكن هذا لا تسلمه أهل العقول السوية، والهمم السنية، وقد كان من العدو إلينا ما يشبه هذه الصنيعة، ويداني هذه المنة، وهو أن الشريف قاسم بن إبراهيم بن محمد الحمزي لما جاور بشر علي الذعفاني بحريمه خلّى سبيله، واعتقل حريمه وعنى في ذلك وردسار وبالغ في إكرامهم غاية المبالغة، وأحسن غاية الإحسان، فكافأناهم بصدور السمهرية، وحروف المشرفية، ونحور الأعوجية، وكان بيننا وبين بشر بن علي خاصة ما شرحه يطول، وله فروع وأصول، نهايته أن الله تعالى مكن منه، فضربنا عنقه، وأخذنا حصنه وماله، وحاربنا الجند العباسي بعد ذلك حرباً مستمرة، تغص الشيخ بريقه، وتنسي الشاب لذيذ عبوقه، حتى خلصوا الحريم، واعتذروا ودافعوا عن الإساءة وأنكروا.

وقد عملنا بعد الاستخارة لله سبحانه على أن نتجرد لمكافأة سنقر بهذه المنة التي قلدنا، واليد التي أسدى إلينا بأن خلص ولد قاسم، واعتقل ابنة قاسم ومن شايعها من الحرائم إلى الكرايم، ولسنا نيأس أن يمكننا الله سبحانه من المكافأة وبئس المجازاة.

ستعلم ليلى أي دين تدينت

وأي غريم في التقاضي غريمها

وأما أمر حرض وما طرأ فيها من الأمر وعرض، فإنما هو خرق سفينة، وتابوت سكينة، والمقصود غير ذلك، ولم نجن ما هنالك:

شتان ما يومي على كورها

ويوم حيان أخي جابر

إنما أردنا مباعدة القوم ورفع أيديهم عن مظالمتكم التي قد صغرت جليل مقاديركم، وحقرت عظيم حقكم، فإلى الله المآل وعليه الاتكال.

والقوم لما عجزوا عن حيصها أرادوا مبغلها، فاستودعوها أهلها، فإن انتظم حالهم ولن ينتظم إن شاء الله تعالى.

فلا بد يوماً أن ترد الودائع

وإن كان غير ذلك كانوا قد تخلصوا من مؤنتها، واستنفعوا بها يسنح من معونتها، وهذا فعل الرجال أهل تدبير الممالك، السالكين لها أصعب المسالك، وقد جاءنا كتاب الكافة من بني سليمان ولا غنى لنا من خطاب الكافة، نحن مطالبون الأمير والمأمور بتأدية حقوق الله، والذب عن دين الله، والجهاد في سبيل الله، وموالاة الولي، ومعاداة العدو، وهذا أمر لا رخصة في تركه، ولا نجاة إلا به، فلو كانت الكلمة منكم لزمنا ما ألزمناكم، ووجب علينا ما وجب عليكم، فما أنتم قائلون وفاعلون، أخاذلون أم ناصرون، أسائرون أم جائرون ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١٦] أين النفوس الحسنية؟ وأين الهمم الأبية؟ وأين العزائم العلوية؟ وأين المحامد النبوية؟ كم بين من يروم افتتاح الممالك، وبين من أكثر همه أن يتارك؟ اسألوا أكبر سلاطين العجم عن أبيه وفصيلته التي تؤويه لا يريكم إلا السنان والحصان، وأكثرهم أبكم عن البيان، وما همهم إلا مصاولة الأقران، وشن الغارات على البلدان، ولا تسمع في أعقاب خيلهم أنا ابن فلان، إنما هو كرير ككرير الثيرة في الليلة المطيرة، وهرير كهرير الكلاب في الليلة المرسية الأطناب، لا تجمعهم أنساب، ولا يضمهم نصاب، إلا الجنسية كما في البهائم الإنسية، فهل يكون

هؤلاء القوم على أمرهم أحنى منكم على أمركم، وأشد صبراً على الدفاع عن سلطانكم، منابركم عمرها غير ذكركم، ومراتبكم نزلها من هو معكم بمنزلة الخف من السنام، غفل القوم عنكم لأشغال عرضت كالشجى المعترض في مصرط الجرض[1]، فلو تنفس عليهم عقد الخناق، ونزع بهم عرق الآباق إلى قبح المعاملة وسوء الأخلاق، ولصاروا إلى أشر المعهود من عاداتهم، والمكروه من إراداتهم.

العبد ليس لحر صالح بأخ
لو أنه في ثياب الحر مولود

فانظروا أيدكم الله سبحانه في هذا الأمر أشد النظر، واعملوا صائب الفكر، وقد وصل الشريفان الفاضلان: مهنّا بن مسلم، وأبو الجيش بن يوسف، وحققا ما جرى به القول، وشفع ذلك الشرفاء الأجلاء: أحمد بن راجح، وأحمد بن حسين، وفاضل بن يحيى الحرابيون بما ينبغي أن يكلم به مثلهم، وكان للشيخ سليمان بن جعفر من الكلام ما ينزل العصم، ويسمع الصم لو أنه قال في موضع مقال، أو جال في ميدان مجال.

فقد يكهم السيف المسمى منية
وقد يرجع المرء المظفر خائبا

ورددنا إلى أسماع الكل تكراراً ما تدبروا قليبه، وأداموا تقليبه، وقد أمرناهم بعرضه على تلك الخواطر الشريفة، والهمم العالية المنيفة، فإن وقع له قبول، فذلك مقتضى حكم العقول، وإن رد فرب نصح مردود وغش مقبول.

ألا رب نصح يغلق الباب دونه
وغش إلى جنب السرير يقربُ

وكنا كما قال أخو هوازن:

---

(١) الجرض: الريق.

أمـــرتهمُ أمـــري بمنعـــرج اللِّـــوى

فلـــم يـــستبينوا الرشـــد إلا ضـــحى الغـــدِ

هبوا هبوب الحازم العازم، واشحذوا رقاق العزائم، وأنزلوا عن منازلكم أشباه البهائم، فلا هم لهم إلا ترتيب الكلام، ونقص الذرية الكرام، يجعلون المقدم[1] في بدر وحنين وأحد رابعاً، والمتبوع في المقامات الهائلة في ميدان السلامة تابعاً، هذا من الإنصاف إن لم يكن هذا الخلاف فما الخلاف؟!

وإذا تكـــون كريهـــة أُدْعَـــى لهـــا

وإذا يحـــاس الحـــيس يـــدعى جنـــدب

هـــذا وحقكـــم الـــصغار بعينـــه

لا أم لي إن كـــــــــان ذاك ولا أبُ

أأرضى أن يكـــون أبـــو حـــسين

رباعيـــاً وفي كفـــي حـــسامي

معـــاذ الله لـــيس يكـــون هـــذا

ولمـــا يحتـــسى جـــرع الـــزؤامِ

وترقـــل للقـــراع بنـــو عـــلي

كإرقـــال المـــصاعب في الـــسوامِ

ولا بد من العمل لثلاثة أوجه:

إما للدين فهو الأصل، وعليه ابتنى العقد والحل.

وإما للحمية والعصبية، فكم هلك في ذلك من الجاهلية والإسلامية.

---

(١) يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وإما للنخوة العربية، والمروءة الفاطمية، فالقوم إن غفل عنهم لم يغفلوا، وإن حوملوا لم يحملوا، لا سرب مواليهم آمن، ولا جانبه ساكن.

لهم حبائل من عقد ومن ذمم

لا كالحبائل من أوتاد صيّادِ

وأخبارنا ما يحققه الواصلون، والسلام عليكم بقدر شوقنا إليكم.

[كتابه عليه السلام إلى أهل جيلان رداً على كتاب أتاه منهم]

وأنشأ عليه السلام جواباً عن كتاب وصل من أهل جيلان سنة ثمان وستمائة قال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

الحمد لله الذي أنعم بِطَوله، وقهر بحوله، فاض بحر إحسانه فطما، وأشطأ زرع ولاء أوليائه فنما، وخص بأنواع نعمه، وطبق الآفاق والأقطار بعوارف جوده وكرمه، فما به نفس منفوسة إلا وهي بالآلاء معمومة، وبالمنن محروسة، يقبل على من تولى عنه بجوده الذي لا يجارى، ويتغمد المعرضين عنه بإحسانه الذي لا يبارى، ينقص ويزيد، ويبتدي ويعيد، وهو الحكيم الحميد، ولا إله يستحق الإلهية سواه، ولا رب يستوجب الربوبية إلا إياه، وصلى الله على المنتخب من طينة الكرم، المختص بالشرف على قبائل العرب وشعوب العجم، وعلى آله مصابيح الظلم، وينابيع العلم والحكم، وعلى الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، والأئمة الصادقين، والشهداء والصالحين، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فإن كتاب الإخوان الواصل من ناحية جيلان حرسهم الله وحماهم، وحاطهم وكلاهم، وصل

إلينا إلى أرض اليمن صدر سنة ثمان، فنزل نزول الأمان، وكان أجل وافد وأيمن وارد، أهدى فرائد القلائد، وقيد شوارد الأوابد.

حكمه أتى بك من فارس
كسوتها لفظ فرس البطاح

فقلنا: متى كان في العجم سحبان؟ وما أبعد من شبه السحر بالبيان، ولن يحرم التوفيق من نظر بنور الإيمان، ونطق بلسان الإيقان، وتحققنا ما شرح الإخوان، من صورة الحال وما آل الأمر إلى ما آل من انحلال العقد بعد انتظامه، ونقصان الأمر غب تمامه، وذلك لتفرق الآراء، وتشتت الأهواء، وتباين الأغراض، وتناهي الأعراض، واطراح الذكر، وكلال الفكر، فلو نظر الجميع في العواقب، وصبروا على النوائب، لذلت لهم المصاعب، وأدركوا المآرب، وهابهم الأباعد والأقارب، ﴿**فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ**﴾[محمد:٢١]، عجزوا أنفسهم فعجزت، وتنجزوا عدات التسويف فنجزت، اجتمع أهل الباطل على باطلهم فسبقوا وبسقوا، وتفرق أهل الحق عن حقهم فغمروا ومحقوا، فإلى الله المفزع من سوء الاختيار، وعمل يوجب الخلود في النار ويحكم، فمن يضرب خراطيم الفتن، ويخمد نيران المحن إلا الكتائب الزيدية في أيام الأئمة المهدية، فيا أحسن الناس أولاً، لا تكونوا أقبحهم آخراً، فإنا نعلم في الآثار أنه ما أشبه إسلام أحد من العرب إسلام سلفكم رحمكم الله إلا همدان فشرفوا بذلك على جميع العربان، ومدحهم علي عليه السلام بالقصيدة الميمية[1]، ومَنْ مادِحُه علي كيف يكون حاله؟ اعملوا بمقتضى العلم، فقليله يوجب عملاً كثيراً، قال تعالى: ﴿**يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ...**﴾[الأحقاف:٣١]الآية، فقد دعاكم الداعي، قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران:١٠٢]، وقد تعين فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ**

---

(١) القصيدة الميمية هي القصيدة المشهورة التي يقول فيها أمير المؤمنين:

ولو كنت بواباً على باب جنة   لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾[التوبة:١١١]، وقد لزم فرض الجهاد وانفتح بابه، وتهيأت أسبابه، فلا عذر لتاركه، النائم على أرائكه، وقد ورد في تركه الوعيد، وهول المطلع شديد، والشهيد حفيظ عتيد، والموت أقرب من حبل الوريد، فشمروا عن ساق الجد فإن الأمر جد، وارفضوا الهوينا فإن الهون في جوفها كامن، وليس الخائف كالآمن، إن خوف الله منع الأجفان المنام، وهون ورود الحمام، من خاف البيات أدلج[1]، ومن أدلج في المسير وصل، وإنما تعرفون عواقب أعمالكم لو قد طويت صحائف آجالكم.

فانظروا لأنفسكم رحمكم الله نظراً يخلصها في موقف الحساب، عند وضع الميزان ونشر الكتاب، ولا تهملوا الاستعداد، واستكثروا من الزاد فإن السفر بعيد، والمسلك شديد، وإن الشيطان قد بسط حبائله، وشمر ذلاذله، واستنفر أراذله، ولم يدع مكيدة إلا عملها، ولا موبقة إلا جملها وسهلها، فاحترسوا من كيده، واستعينوا بالله على فك قيده وفل يده، وقد كان شرق صباحكم، وأضاء مصباحكم، وعلا مناركم، وسطعت أنواركم بإظهار معالم الدين، وطمس رسوم المعتدين، وطلنا بذلك على الفرق الضالة، وأطلقنا عليهم كلمة الجهالة، فما استتم الحامد حمده حتى صرفه ورده، لقد كان العذر ولا عذر لمن طال عليه الأمد، بما يقول فيمن حر ساعة وبرد، وسال وجمد، وهب وركد، إنكم قد بليتم بفرق الجبر والإلحاد، فإن لم تفضها الجماعات لم يفرقها الآحاد، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة:٢]، وشمروا للجهاد، ووطنوا النفوس على الجلاد، وانفروا واستنفروا، واجهدوا ولا تقصروا، وامحضوا النصح لإخوانكم، وسهلوا السبيل لأعوانكم، وقربوا ولا تبعدوا، وهونوا ولا تشددوا، ولا تطلبوا الكل فيفوتكم الكل، وقد علمتم سيرة الناصر عليه السلام في أول دعائه لأولكم، كيف كانت، حتى أقبلت القلوب فلانت، وهو القدوة في الدين، وإمام المتقين عليه سلام رب العالمين، وسيرته فيكم ظاهرة معلومة، وخطبه ورسائله

---

(١) البيات: العمل في الليل.
أدلج: السير في أول الليل.

معروفة مفهومة، ومقاماته مشهودة، وطرائقه محمودة، فاسلكوا سبله ومنهاجه، وجوبوا فجاجه، وشقوا عجاجه، والسادة أطوادكم، والعلماء أوتادكم، والملوك عمادكم، فاصلحوا الجميع بالجميع، والعاصي بالمطيع، وانظروا بعين اليقين، واجمعوا شمل المتقين، وحاربوا فرق الضلالة فئة بعد فئة، وأديروا بإحكام الحق الأرحية، ولا ترجوا الأحكام الإمامية النبوية فتشبهوا بالمرجية، إن نهج الحق قويم، وصراطه مستقيم، فلا تكونوا كأم مجالد حملت، فلما دنا وضعها أملصت، فلا هي ذات حمل ولا ذات ولد، أعدوا ما استطعتم من قوة، واقطعوا في حق الله الأخوة والأبوة، ولا تعللوا، ولا تسللوا، واصدقوا ولا تضللوا، وانصبوا المنار، واعلنوا الشعار، فإن تنصروا الله ينصركم، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، وتطفى مصابيحكم، وتتوقد تباريحكم فتندموا حين لا مندم، وتقدموا والعياذ بالله لكم وفيكم شر مقدم، ما العذر بعد إعطاء الله سبحانه صفقة الأيمان على التزام شرائع الإيمان ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[الفتح: ١٠].

عصمكم الله بعصمة الإيمان، وأوردكم شرائع البر والإحسان، ورفع شأنكم فوق كل شان، وأيدكم بالتوفيق في كل أوان، وصلى الله على النبي وآله.

وأما أخبارنا فكما يسر الأولياء ويكبت الأعداء، فالحمد لله حمداً يوازي نعمه، ويضاهي كرمه، نحن في أرض اليمن مع العدو الذي بلغكم خبره، نتجاذب حبلاً بيده منه طرف وبأيدينا طرف، فلما طال عليهم أمد الجذاب، وأيقنوا بنزول العذاب جنحوا للسلم اضطراراً، ومالوا إليه فراراً، فأجبناهم غير واثقين منهم بتمام، إلا أن يخافوا موارد الحمام، ولولا مشايعة أشرار العرب إليهم، وحنوهم عليهم، ومكاتفتهم لسوادهم، وتغليظهم بإمدادهم، لقد قلعنا جرثومتهم[1]، واخترقنا أرومتهم[2]، وقصمنا عمودهم، ومزقنا جلودهم، وفشأنا وقودهم، والله تعالى ملي بقهر الجميع، وقد كان قبل هذه الهدنة تقدم الجيش المنصور إن شاء الله تعالى إلى ناحية تهامة عليهم حي الأمير

(١) جرثومتهم: أصلهم.

(٢) أرومتهم: أصولهم.

الأوحد مجد الدين يحيى بن محمد بن أحمد قدس الله روحه، ونور ضريحه، والصنو الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة، والأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم، والأمير علم الدين سليمان بن موسى، والشيخ المكين مخلص الدين جابر بن مقبل، فجاسوا خلالها، ونفروا حلالها، واستاقوا أموالها، وساروا كأحسن ما يسير الجيش الغانم الظافر السالم، ولما لم تبق المخافة إلا من قدامهم قدموا الأمير صفي الدين في جمهور المجاهدين، وكان في الساقة مجد الدين ومعه الأمير علم الدين، والصنو أسد الدين، والشيخ مخلص الدين في عدة يسيرة من المؤمنين دون العشرين، فما شعروا بالعدو حتى أكب عليهم، وأناخ بكلكله[1] لديهم، وكانت الخيل جنايب، فتواثبوا إليها كأنهم جُنّة عبقر[2]، فيقرب المركوب تقدم من تقدم، ويبعده تأخر من تأخر، فكان أول من وثب في صدر العدو مجد الدين والصنو أسد الدين، فخاضا غمارهم، وأغشيا أبصارهم، فتكاتفت عليهما الكتائب، وأرهقا من كل جانب، فصرعا بعد أن أتلفا أنفاراً، ولقاهما العدو وظهر أمدارا، فأما مجد الدين فرزق الشهادة، وفاضت نفسه الشريفة في المعركة، وأما الصنو أسد الدين فمد أجله إلى حين بعد جرائح مثخنة من خلف السلاح، واشتغل العدو بسلبهما بعد أن انتهر من كلبهما وشدة طلبهما فهو كذلك، إذ أدرك أرباب النعم، وفاز أصحاب الكرم، فأقبل الأمير علم الدين، والشيخ مخلص الدين، في عصابة صادقة من المسلمين، وكل ما حكينا أقرب من (كلاّ) و(بلا)، فصدفوهم الحملة، فشدوا الأسلاب، واعتصموا بالهراب، ورتعت فيهم سيوف المحقين، وذلك حين طفلت الشمس للإياب، فقتلوا منهم على ما حكى الحاكون ما يدنو من العشرين من فرسانهم وشجعانهم، وأخذوا خيلهم وسلاحهم، وغمرهم الليل، وحماهم الشجر، فكانوا عتقاء الظلمة والضراء، ونبذ قتلاهم بالعراء، ورجع المحقون فاحتملوا أميريهم قتيلاً وجريحاً، وأسلابهما وافرة.وراحوا وقد عظم الخطب فيهم لذهاب الأمير، وإن كان العدو لم يمتع بسروره، ولا تهنى بحبوره، فالحمد لله رب العالمين.

---

(١) الكلكل: الصدر، ومن الفرس: ما بين محزمه إلى ما مسّ الأرض منه إذا ربض.

(٢) جنة عبقر: كثير الجن.

وكان قبر الأمير بالخموس[١]، ومشهده بالزيارة مأنوس، وبالملائكة والصالحين محروس، وكانت الهدنة بعد ذلك، وهي باقية إلى الآن، ثم ظهر نفاق قبائل في العرب يقال لهم: ظليمة[٢] وبعض الأهنوم[٣] وبنو أفلح[٤] وحجور[٥] وقحطان[٦] وقبائل شظب[٧] وهذه بلاد ذكرناها لعل الداعيين إلى الله تعالى قبلكم يوضحان خبرها، ويشرحان سبرها، والمذكورون من قبائل العرب كثيرة العدد، منيعة البلد، في جبال شامخة، وحصون منيعة عالية، فلم نر إلا النهوض في سبيل الله تعالى، فنهضنا للنصف من شعبان سنة ثمان [وستمائة]، ففتح الله تعالى تلك الجبال والحصون بعضها صُلحاً وبعضها عنوة، وأقام العسكر المنصور يتردد في أرجائها لإحكام أمرها باقي شعبان وشهر رمضان المعظم وسبعاً من شوال، وزالت الفواسد من شظب وظليمة وقُصِّرن وتُوّبن وزوِّجن وأخذ شطر ما في أيديهن إلى بيت المال، والباقي أقر في أيديهن ترغيباً للأزواج فيهن، وضمن الشيوخ بوجوههن إن بدا منهن ما يوجب أحكام الله سبحانه، وسمنا أهل هنوم الإتيان بالضال المسمى راشد المرتد الغوي لنمضي فيه حكم الله سبحانه، فاتخذ الليل جملا وطار وجلا، فأمرناهم بإنكاح امرأته لانفساخ النكاح بردته، متى خرجت من عدته، ورحنا والأمور على أحسن قضية وأيمن طوية.

وصدر الكتاب من محروس ظفار يوم السبت من شوال سنة ثمان وستمائة، والله يطلع السار من قبلكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) الخموس: قرية مشهورة في جبل المحابشة بجوار قرية الصاية. (معجم المقحفي ١/ ٥٨١).

(٢) ظليمة: جبل واسع من بلاد حاشد، يشكل في أعماله مديرية مركزها مدينة (حبور) وهي من اعمال محافظة عمران. (المقحفي ١/ ٩٧٨).

(٣) الأهنوم: سلسلة جبلية تشكل في أعمالها اليوم وحدتان إداريتان هما: مديرية شهارة ومديرية المدان من أعمال محافظة عمران. (المصدر السابق ١/ ١١٤).

(٤) أفلح: جبل من بلاد حجور، في شمال مدينة حجة، يشكل في أعماله وحدتان إداريتان من أعمال محافظة حجة هما أفلح الشام وأفلح اليمن.

(٥) حجور: بطن من حاشد وهو ثلاثة أقسام: حجور الشام، وحجور اليمن، وحجور البشري.

(٦) قحطان: هو الجد الجامع لقبائل اليمن، ومن أمهات قبائل قحطان: حمير وكهلان وحضرموت ويعرب وكِندة.

(٧) شظب: جبل فوق مدينة السودة غربي مدينة خمر من بلاد حاشد تنسب إليه السودة فيقال: سودة شظب. (المقحفي ١/ ٨٦٦).

[كتابه عليه السلام إلى ملك الزيدية بجيلان سالوك بن فليواكوش]

وأنشأ عليه السلام هذا الكتاب إلى ملك الزيدية بجيلان واسمه سالوك بن فليواكوش:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

الحمد لله المستحق للحمد بما وجب له من المحامد، وصلى الله على خير راكع وساجد، محمد الأمين، وآله الطيبين، صلاة دائمة إلى يوم الدين، سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولك الهداية في البداية والنهاية، والبلوغ إلى أسعد غاية.

أما بعد:

فإن أسعد الناس ملك سعد بسعادته رعيته، وأشقاهم ملك شقي بشقائه أهل مملكته، وليس لهذه الفرقة الزيدية ملك نعلمه على وجه الأرض سواك، فكن قليلاً طيباً، فإن القليل الطيب أفضل من الكثير الخبيث، وأخلص نيتك، وامحض لله سبحانه طويتك، وساو بسريرتك علانيتك، وارفض المعاصي رفضاً، وامحض الإيمان محضاً، واهجر الذنوب، وأطع علام الغيوب، وكن مثل الصالح من ملوك الإسلام وأفضل منهم؛ لأنك تعتزي إلى أئمة أفضل من أئمتهم، ودعوة أشرف من دعوتهم، ولك الفضل على جميعهم باعتزائك إلى ذرية الرسول، وسلالة البتول، فاشفع ذلك بحسن الاستقامة، وسلوك نهج السلامة، وحلول دار المقامة بحسن الاستقامة.

واعلم أن الظلم يشين ملوك الكفار فكيف بسلاطين الإسلام، والعدل يعمر الديار، ويثمر الأموال، وما بلغ مال العراق مع الحجاج بجوره ما بلغ به عمر بن الخطاب بعدله، وإن البلاد التي في أيدينا كانت تجبى مع الغز ربع خراجها اليوم معنا، وكانت معهم دامرة وهي معنا عامرة، ولو لم تجد العدل إلا تجارة لكنت رابحاً، واحرص في زوال المنكر عن الأجناد الذين معك من

شرب الخمر، وإتيان الفاحشة، فإن رسول الله ﷺ وهو الصادق القيل، الحسن السبيل، الواضح الدليل، قال: «مروا بالمعروف تُحبوا، وانهوا عن المنكر تُنصروا» فمثل هذا يتعرض له.

وقد كتبنا إليك رغبة في صلاحك، ومحبة لظهور أمرك وعلو قدرك؛ لأنك لنا سلطان، وأعوانك لنا أعوان، ومنسوب إلى الولاء، رفيع يديك عند الملا، فلا تخمد ما أضرمت، ولا تنقض ما أبرمت، وكيف تقدم على المعاصي وأنت ممن يدين بالوعيد، وتخليد الظالمين في العذاب الشديد، وقد علمنا من بإزائك من سلاطين المشبهة، وملوك الملحدة الكفرة المموهة، فاستعن بالله على حرب الجميع، وأحسن في الصنيع، وصالح فيه، وحارب فيه، وغلظ سواد المسلمين بحسن السيرة، وطيب السريرة، وأثبت الألوية العلوية، وكافح عن الدين بنية صادقة قوية، وعزمة صالحة سوية، ولا تخلنا من أعلامك وأخبارك، وسانح أوطارك، وعظم جلال الله في قلبك، وفر إلى ربك من ذنبك، وأحسن معاشرة المسلمين، ومعاملة أهل الدين، وقرب العلماء والفضلاء، وجالس الصالحين العقلاء، وكن بالأرامل قائماً، وللأيتام راحماً، فالسلطان ظل الله في أرضه، والقائم بفرضه، فإن كان صالحاً فهو ظل رحمة، وإن كان طالحاً فهو من السموم واليحموم، وكم بين الذم والحمد، والجزر والمد، والحر والبرد، والهول والكد، والسعادة والشقاء، والهلاك والبقاء، وما ظنك بأمر عظمه الرحمن في محكم القرآن، فقال وهو العزيز الكريم: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]، واحرس نفسك لنفسك وللمسلمين، وكن كما قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[القصص:٢٦]، فالكل منا يعمل بالآخرة، ويسأل الله المعونة والنصرة، وكيف يتعرض العاقل لسخط من يطلب منه المعونة، ويسأله دفع المؤونة، ونحتاج إليه في كل أوان، ونرجو منه الإحسان، وإذا انقطع النفع من الإنسان، والتفت حلقتا البطان لم يبق لكشف اللأواء إلا هو، ولدفع المكروه سواه، فكيف يُعصى من هذه حاله؟ فالله المستعان!

ومتى تقررت قواعد الأمر على الدين، وطاعة رب العالمين زكا ونما، وحمد صاحبه في الأرض والسماء، وانتهى حاله إلى الزكاء والنماء، وزال عنه الجهل والعمى، وأحبه الفقهاء والعلماء، والسادة الكرماء، وكم بين من هؤلاء أولياؤه، وبين من هم أعداؤه، والشياطين من الجن والإنس قرناؤه؟ وقد فزت باعتقاد الحق ففز بعمله، واسلك الواضح من سبله، وكن لنفسك من الذنوب

مكرما، وللصالحين من عباد ربك معظما، وصل يدك بأيديهم، واسلك في واديهم، واجعلهم شعارك دون الدثار، ونفسك دون الشعار، فإن ذلك مما يعلي قدرك، ويعظم له أمرك، ويشرح بالإيمان صدرك، ويرفع ذكرك، ويضع وزرك، فلا تزهد في الخير الذي به نجاتك، ولا ترغب في الشر الذي فيه والعياذ بالله تعالى لك ولكافة المسلمين هلاكك.

واعلم أن السلطان الظالم بين خطرين عظيمين: إما تعجيل العقوبة فهو خسران الدنيا والآخرة، وإما التخلية فتلك الصفقة الخاسرة، والتجارة البائرة، نعوذ بالله من ذلك لنا وللمسلمين، إن أمرين أهونهما التخلية لعظيمان في المزرية.

فانظر لنفسك نظراً يخلصها يوم القيامة في موقف الحسرة والندامة، ولا تقبل ممن لا يرشد نفسه ولا يرحمها، ولا يزكيها ولا يكرمها، وكن للرشد طالباً، وللخيرات كاسباً، ومن الموبقات هارباً، وفي المنجيات راغباً، وللذنوب راهباً، لتفوز مع الفائزين غداً، وتعيش عيشاً هنيئاً رغداً ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا**﴾[آل عمران: ٣٠]، فنافس في طلب الثواب الأسنى يوم يجزي ﴿**الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾[النجم: ٣١]، هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت، وتأتي على ما خلفت، فيا لها من حسرة لا تعقبها مسرة، ومضرة تردفها مضرة، ورهن علق بما فيه، وزلل لا يمكن تلافيه.

والسلام عليك وعلى كافة المسلمين ورحمة الله وبركاته.

[كتابه عليه السلام إلى الأمير بدر الدين يعزيه في ولده]

وكتب عليه السلام إلى الأمير الأجل الكبير بدر الدين يعزيه في ولده مجد الدين رضوان الله عليه:

سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فإن الدار التي خلقنا لها أمامنا، وإنما دار الدنيا الطريق إليها، فالسعيد من انتقل عنها وهو مرضي عنه، وإن من في الدنيا ضيف وما في يده عارية، الضيف مرتحل، والعارية مردودة، وإن ولدك قدس الله روحه ونور ضريحه كان ظلا فقبضه الله إليه، واختار له ما لديه، باع من الله نفسه بيعاً ربيحاً، يغبط من انتظمت له صفقته، فلا تتبعه نفسك، وهل علمت رابحاً في الثمن بكى على المثمن، فهنيئاً له ما صار إليه من رحمة الله ورضوانه، وسكنى جنانه.

وكونه في ميراثك خير لك من أن تكن في ميراثه، فاحتسبه عند الله وفي الله، فقد أصبت خيره حياً وميتاً، فرحمة الله على روحه في الأرواح، وجسده في الأجساد حياً وميتاً ومبعوثاً، وهو سلف وفرط إلى الله سبحانه وإلى الرفيق الأعلى محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم جميعاً، وإنما سبق ونحن في الأثر كما يسبق المدلج[1] المبتكر.

وما نحن إلا مثلهم غير أننا

أقمنا قليلاً بعدهم وتقدموا

ومثل حاله التي فارق الدنيا عليها تنشأ فيها التهاني لا التعازي؛ لأنه قتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، سعى إلى الموت وهو يبصره، ونحن لاحقون به، فنسأل الله تعالى بحقه العظيم أن يصلي على النبي وآله، ولا يحرمنا مثل خاتمته من الثبات والبصيرة.

---

(١) المدلج: المسافر في ظلمة الليل.

[من كلامه عليه السلام في بعض المحاورات]

ومن كلامه في بعض المحاورات:

بلغنا أن في جهتكم من يفتي أنه لا يجب تسليم الزكاة إلى الإمام حتى يملك البلاد، فإذا كان لا يملك البلاد إلا بالجند، ولا يجتمع الجند إلا بالمال، ولا مال إلا مال الله، ومال الله لا يجب تسليمه إليه إلا بعد الظهور، فهذا هو التوقف والدور، وهذا تخذيل عن الأئمة، وفت في عضد الدين، فنسأل الله تعالى الثبات في الأمر.

ولقد سئل حي الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى قدس الله روحه هل يجوز للإنسان أن يستوهب الزكاة متى كان من أهلها من البلاد التي لا ولاية للإمام فيها بغير إذنه؟ قال: لا.

قال: فإن كان في بلد فلان بعيد المسافة؟

قال: وإن كان في مصر، ولولا وجوب ذلك لما حاربت الأئمة عليهم السلام من لا يسلم الحقوق الواجبة ولما قال أبو بكر: (لو منعوني عقالاً مما أعطوا رسول الله لحاربتهم) بمشهد الصحابة، فلم ينكر عليه أحد، فكان إجماعاً، ولو كان في ولايته لما احتاج إلى المحاربة، والولاية من الله سبحانه للإمام على كافة الأمة، فالكل في ولايته حكماً، فلا يجوز التصرف في الحقوق إلا بأمره.

[كتابه عليه السلام إلى ورد سار في أمر المطرفية وقد قربهم وأدناهم]

وكتب عليه السلام إلى ورد سار في أمر المطرفية وقد قربهم وأدناهم كل ذلك لما يعلم من شدة عداوتهم وبغضهم له عليه السلام فقال عليه السلام:

لا رأي لمتهم، والعاقل ينظر لنفسه وإن خالف رأي نظره هواه، وقد كان بيننا ما يقضي بدوام الصحبة، وخلوص المودة، ولو كان اتفاق الأمر يؤدي إلى الخروج مما هو فيه لكان من يطلب الملك معذوراً في بغاضة الحبيب، وعداوة القريب، ولكن كان الاتفاق لجمع خير الدنيا والآخرة، وقد صرت تفعل أفعالاً تؤيسنا منك، وتفعل أفعالاً ترغبنا فيك.

فأما الذي ترغبنا فما تفعله من الطاعات في قطع الخمر وعمارة المساجد والمشاهد وما يجانس ذلك.

وأما الذي يوحشنا فتسليمك للمطرفية المرتدة الغوية مع قدرتك عليهم، وما تركتهم إلا لأنهم يبغضونا وهي بغضاء لا تضرنا، والقوم كفار في دار الإسلام، وقد كتموا مذهبهم ولقوا دونه الأيمان والله يشهد إنهم لكاذبون، فإن رأيت قطع دابرهم فأنا شريكك في دمائهم ألقى الله بذلك.

وعلم الله لقد قال لنا الصنو يحيى بن حمزة: هذا خطأ نأمر إلى الأمير بعداوة ناس فيحمله ذلك على صداقتهم ورفع منارهم، وقد علم الله تعالى ما عداوتنا لهم إلا لله عز وجل ولتنزيه الإسلام من كفرهم، نحن نشهد شهادة يعلم الله صدقها أنهم يلعنون أصحاب رسول الله ﷺ وأنا نناظرهم في حال الصغر على أن ذلك لا يجوز، وينكرون أن يختص الله سبحانه بالمطر بلداً دون بلد، وأن ينزل البرد، وأن يمتحن بالأمراض أو يميت الأطفال، وأنه ما بقي له تصرف في العالم بعد خلق الأصول، بل يحدث ما يحدث بغير إرادة ولا قصد، فإن أردت تكفير الذنوب فطهر دين محمد ﷺ منهم فأنت تعلم أنا قدرنا على الغز مراراً فما سفكنا لأحد منهم دماً إلا من سُبقنا عليه، وأنت تعلم أنا ما قدرنا على أحد من المطرفية فشرب الماء البارد، ما نريد بذلك إلا رضى الله سبحانه، فانظر في هذا.

[كتابه عليه السلام في قتل رجلين من المطرفية في حصن بكر]

وكتب عليه السلام وقد جاءه جماعة من المدرسة المعمورة بحصن بكر إلى حصن ظفار حماها الله تعالى، وكانوا قد قتلوا رجلين من المطرفية - أعني أهل المدرسة - فأنكر ذلك عليهم أهل البلاد، فكتب إليهم هذا الكتاب قال فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

إلى كافة من وقف على كتابنا هذا من المؤمنين والمسلمين في ولاية الصنو عماد الدين، سلام عليكم، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله لنا ولكم التوفيق لما يحب ويرضى.

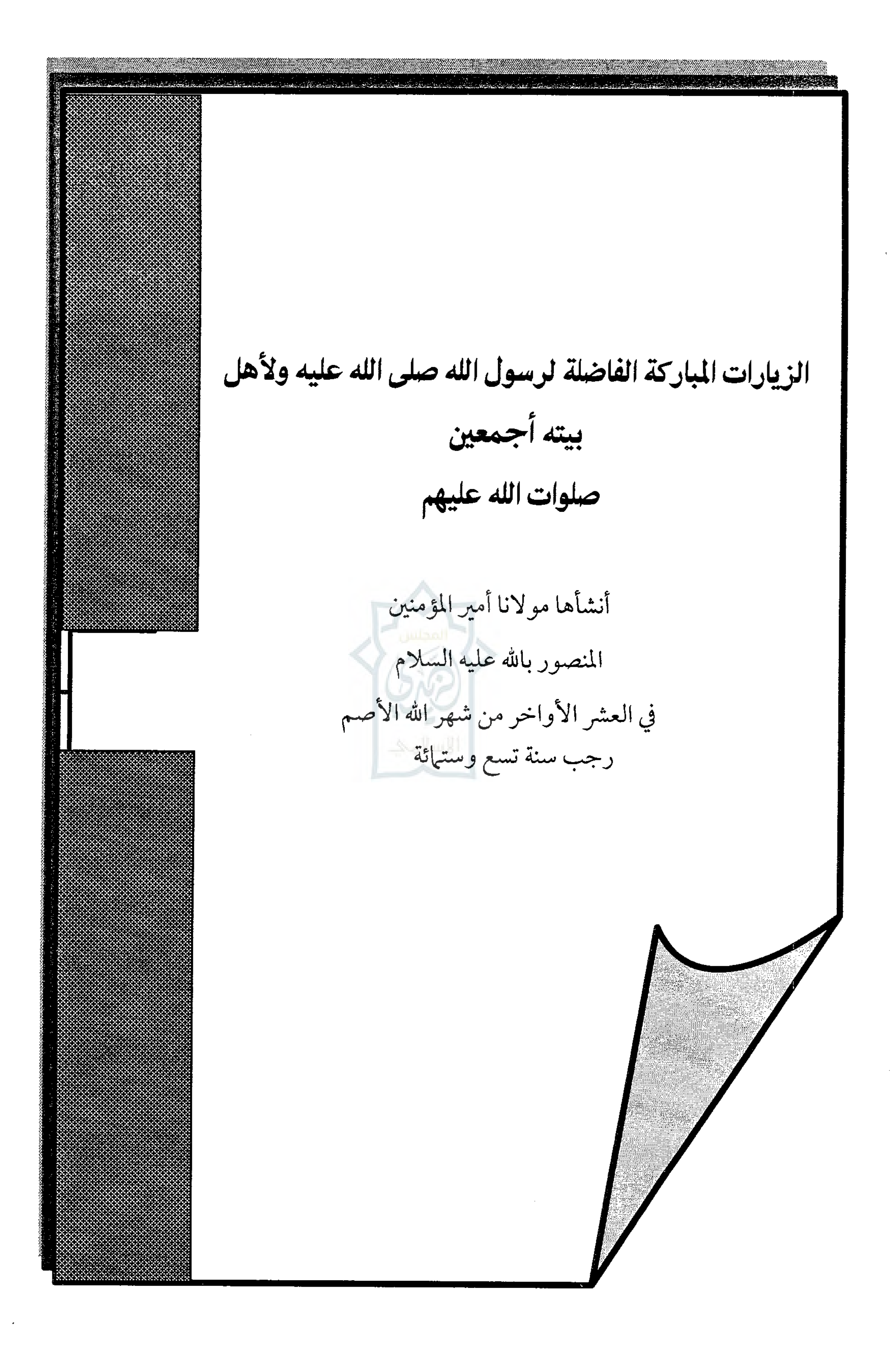
أما بعـد:

فإن الله تعالى لما استخلفنا في بلاده، وائتمننا على عباده، وأمرنـا أن نجاهـد فيـه حـق جهـاده، وكان الضلال في الدين من أهم ما يلزم فرض تبيينه الأئمة الهـادين، وكـان التطريـف مـن أقـبح أنواع الكفر لإضافة أهله له إلى عترة خاتم المرسلين، وتلبيسهم بذلك على عـوام المسلمين بـأنهم من جملة المسلمين، وهم بشهادتنا وشهادة من تقدمنا من آبائنا الطاهرين سلام الله عليهم أجمعـين من أخبث الكفرة اعتقاداً وأظهرهم لأهل بيت النبي ﷺ عناداً، وقد أطلقنا لكافة المسلمين قتلهم وأخذ أموالهم، وسلبهم فيء، وذممهم حـلٌ طلـق لكافـة المسلمين، وقتـل مـن اعتقـد اعتقـادهم أو حسَّن الظن بهم أو داهنهم وأمنهم وخالطهم.

وبلغنا أن من الناس من يتشكك في ذلك، أو يكرهه ومـن تـشكك في شيء مـن أمـرهم فقـد صوبهم، ومن صوبهم فهو في حكمهم لقول النبـي ﷺ: «مـن أحـبّ عمـل قـوم شرك معهـم في عملهم»، و«المرء مع من أحب، وله ما اكتسب»، والله الله في أديانكم لا تبطلوهـا، وفي بيعـتكم لا تهملوها، وفي عترة نبيكم لا تبغضوها، وفي إمامة إمامكم لا ترفضوها للتمسك بفرقة عنـد جميـع فضلاء آل الرسول ﷺ ملعونة، وفي دينها مفتونة، جحدت كتـاب الله جحـداً ظـاهراً، وجعلـت القائل ببقائه ونزوله كافراً، وخالفت نصوصه الواضحة، وجحدت أدلته اللائحة، وصدت الأمة عن ولاة أمرها بالتدليس والتلبيس، وقامت في ذلك مقام إبليس، فهي أبالسة هذه الأمة ومردتهـا العاتية من غير قدرة بادية، فنسأل الله تعالى أن يرسل عليهم من عذابه غاشية، وأن يأخذهم أخذةً رابية، حتى لا تبقى منهم على الأرض باقية بحقه العظيم واسمه الكريم، ونصلي على النبي وآلـه، فالله في أنفسكم لا تهلكوها، وفي عـروة أيمانكـم لا تهتكوهـا، وحبـال ولائكـم مـن ولاة أمـركم لا تبتكوها، فحـذار معـاشر المسلمين حـذار، مـن المطرفيـة الكفـار، ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم:٢٨، ٢٩].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته





الزيارات المباركة الفاضلة لرسول الله صلى الله عليه ولأهل بيته أجمعين صلوات الله عليهم

أنشأها مولانا أمير المؤمنين

المنصور بالله عليه السلام

في العشر الأواخر من شهر الله الأصم

رجب سنة تسع وستمائة